

هُجُوعُ الْعَالَمِينَ
دَوْرَةُ الْعُلُومِ وَالْعَارِفِ لِأَسَانِدِهِ
٢

مَعْرِفَةُ الْأَوْفِكَ

أَبُو عَبْدِ السَّامِيِّ

تَأَلَّفَ

سَمَّا حَتَّى الْعَمَلَامَةِ الزُّجَلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجُّ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الْحُسَيْنِيُّ الْحُسَيْنِيُّ الطَّهْرَانِيُّ

أَفَاضَ لِي عِلْمًا مِنْ بَرَكَاتِ نَفْسِهِ الْقُدْسِيَّةِ

تَعَرَّفْتُ عَلَى هَبِاشِمٍ

وَأَرَادَ الْحِجَّةَ الْبَيْضَاءَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هوالمزین

امام شناسی

بحث های تفسیری، فلسفی، روایی، تاریخی، اجتماعی

در باره امامت و ولایت بطور کلی
و در باره امامت و ولایت امیرالمؤمنین علی بن ابیطالب

و ائمه معصومین سلام الله علیهم اجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علی بن محمد زکریا

و روایات وارده از خاصه و عامه؛ و ابیات حلی و نقدی

پیرامون ولایت

لموافقه الحقیقه:

سید محمد حسین حسینی طهرانی

محقق عمد

هو العزيز

معرفة الإمام

بحوث تفسيرية، فلسفية، روائية، تاريخية، اجتماعية

حول الإمامة والولاية عموماً؛

و حول إمامة و ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دروس استدلالية و علمية متخذة من القرآن الكريم

وروايات مأثورة عن الخاصة والعامة؛ وأبحاث حلّية ونقدية

حول الولاية

لمؤلفه الحقيق

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

عفي عنه

الفهرست

فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة الإمام
المجلد الثاني

الصفحة

المطالب

الدرس الخامس عشر :

تفسير الآية : أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ

الصفحة ٣ إلى الصفحة ١٩

يشمل المطالب التالية :

- | | |
|----|---|
| ٥ | القسمان من إطاعة رسول الله |
| ٧ | حدود صلاحيات أولي الأمر |
| ٩ | لزوم العصمة عند أولي الأمر |
| ١١ | تفسير أولي الأمر في الروايات |
| ١٥ | انطباق أولي الأمر على الأئمة |
| ١٧ | نقد نظرية عصمة اجتماع أهل الحلّ و العقد |
| ١٩ | جانب من الانتهاك و الظلم الذي نزل بساحة أمير المؤمنين |

الدرس السادس عشر :

أكمليّة أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الفضائل

الصفحة ٢٣ إلى الصفحة ٣٧

يشمل المطالب التالية :

- ٢٥ لزوم إطاعة أولي الأمر بشكل مطلق
- ٢٧ لقب «أمير المؤمنين» أفضل ألقاب علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٢٩ أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأكمل لجميع الفضائل
- ٣١ الآيات التي يمثل أمير المؤمنين عليه السلام مصداقها
- ٣٣ اجتماع الأضداد في أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٥ كلام ابن أبي الحديد في الصفات المتضادة لأمر المؤمنين
- ٣٧ جلّ معنك أن يحيط بك الشعر !

الدرس السابع عشر :

نقد نظرية «عصمة اجتماع أهل الحلّ و العقد»

الصفحة ٤١ إلى الصفحة ٦٦

يشمل المطالب التالية :

- ٤٣ نقد نظرية «عصمة اجتماع أهل الحلّ و العقد»
- ٤٥ مغالطة الفخر الرازي في تفسير آية أولي الأمر
- ٤٧ الإجابة على مغالطة الفخر الرازي
- ٤٩ رواية «لا تجتمع أمتي على خطأ» مرفوضة كلاً
- ٥١ الصحابة و التابعون لم يستدلوا مطلقاً بإجماع أهل الحلّ و العقد
- ٥٣ جرائم الحكّام المنصوبين من قبل أهل الحلّ و العقد
- ٥٥ جرائم و مظالم أبي بكر زمن خلافته
- ٥٧ عمر نفسه يسمي بيعة أبي بكر «فلتة و قى الله شرّها»
- ٥٩ احتجاج مالك بن نويرة ضدّ خلافة أبي بكر
- ٦١ قتل خالد الوليد مالك بن نويرة و زناه بزوجه

٦٥

دفاع أبي بكر عن جرائم خالد

الدرس الثامن عشر :

الإمام هو الإنسان البالغ مقام التوحيد ، والقرآن يهدي الناس بواسطته

الصفحة ٦٩ إلى الصفحة ٨٣

يشمل المطالب التالية :

٧١

خلق العالم و الإنسان على أساس الحقّ

٧٣

قوانين الدين على أساس التوحيد

٧٥

تعاليم الإسلام و القرآن تقود الإنسان إلى التوحيد

٧٧

القرآن يهدي الناس بواسطة الإمام

٧٩

مقام الإمامة خاصّ بالمخلصين

٨١

اعتراف أبي بكر بضعفه

٨٣

غضب أبي بكر للخلافة عالمًا بحقانية أمير المؤمنين

الدرس التاسع عشر :

أصوات الأكثرية ليست معياراً في انتخاب الإمام المعصوم

الصفحة ٨٧ إلى الصفحة ١١٧

يشمل المطالب التالية :

٨٩

عجز أكثرية الناس عن انتخاب الإمام

٩١

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

٩٣

الأكثرية تسعى وراء المصالح

٩٥

آيات القرآن الواردة في كون أغلب الناس من المنحرفين

٩٧

وجود الإمام الحق ضروري لهداية الأكثرية الضالة

- ٩٩ خضوع عامة الناس للعواطف
- ١٠١ سؤال و إشكال على مناصري الديمقراطية
- ١٠٣ بحث كتب التاريخ و علم الاجتماع في أسلوب تفكير عموم الناس
- ١٠٥ قصص عن أسلوب تفكير الأكثرية
- ١٠٧ «... هَمَجٌ رَعَاعٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ»
- ١٠٩ إِنَّ لِلإمام فرقاناً إلهياً يميز به الحق من الباطل
- ١١١ حديث الإمام الرضا عليه السلام الخاص بشروط الإمام
- ١١٣ إِنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء و إرث الأوصياء
- ١١٥ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى
- ١١٧ ليس للعامة من سبيل لإدراك كمالات الإمام

الدرس العشرون :

ينبغي أن يكون الإمام أفضل الأمة و على رأس أمورها

الصفحة ١٢١ إلى الصفحة ١٤٤

يشمل المطالب التالية :

- ١٢٣ لزوم نصب الإمام المعصوم حسب قاعدة اللطف
- ١٢٥ اعتذار أهل السنة بشأن عدم انتقاد عمل الصحابة هو اعتذار الجاهليين
- ١٢٧ أبحاث الشيعة مع أهل السنة ليست بالأبحاث التاريخية
- ١٢٩ علماء السنة يقولون بأن العصمة و الأفضلية غير واجبتين في الإمام
- ١٣١ تصريح أهل السنة في عدم لزوم الإمام المعصوم
- ١٣٣ الروايات المنحولة في لزوم إطاعة الحاكم الجائر
- ١٣٥ الآيات الدالة على حرمة طاعة أهل المعصية
- ١٣٧ يجب أن يكون الإمام هو الأفضل و على رأس أمور الأمة

- التصدّي للشؤون الاجتماعية من قبل غير المعصوم عرضة للزلل و الانحراف دائماً ١٣٩
 ليس لأولي الأمر حق التشريع ١٤١
 انتقاد أمير المؤمنين لغاصبي الخلافة ١٤٣

الدرس الحادي و العشرون :

الأئمة المعصومون هم المقصودون بأولي الأمر

الصفحة ١٤٧ إلى الصفحة ١٦٥

يشمل المطالب التالية :

- ١٤٩ لا يكفي كتاب الله وحده بدون أهل البيت
 ١٥١ تحقيق في عدم افتراق الثقلين ، و معية أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن
 ١٥٣ استدلال منصور بن حازم على لزوم وجود الإمام لفهم القرآن
 ١٥٥ مناظرة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام مع الشامي في الإمامة
 ١٥٧ مناظرة هشام بن الحكم مع الشامي حول الإمامة
 ١٥٩ خطبة أمير المؤمنين حول منزلة آل محمد عليهم السلام
 ١٦١ سبب عدم قيام أمير المؤمنين عليه السلام
 ١٦٣ أخذ من أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد للبيعة
 ١٦٥ كيفية أخذ البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام بالقوة

الدرس ٢٢ إلى ٢٤ :

الإشكالات الواردة على آية «أولي الأمر» مع أجوبتها

الصفحة ١٦٩ إلى الصفحة ١٩٩

يشمل المطالب التالية :

- ١٧١ إشكالات أهل السنة في انطباق آية أولي الأمر على الأئمة المعصومين

- ١٨١ النصوص الصريحة في الكتاب و السنة حول ولاية أمير المؤمنين
 ١٨٣ اعتراف أبي بكر بتقدم أمير المؤمنين عليه السلام عليه
 ١٨٥ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ
 ١٨٧ أُخُوَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ
 ١٨٩ الروايات الواردة في أُخُوَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ
 ١٩٥ خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى
 ١٩٧ الشواهد على أَنَّ أُخُوَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولِ اللَّهِ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَةِ حَقِيقَتَيْهِمَا
 ١٩٩ استشهاد أمير المؤمنين بأخوته لرسول الله عند بيعة أبي بكر

الدرس ٢٥ إلى ٣٠ :

وصاية أمير المؤمنين عليه السلام من قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 الصفحة ٢٠٣ إلى الصفحة ٢٦٩

يشمل المطالب التالية :

- ٢٠٥ الوصية من الأحكام الفطرية والعقلية
 ٢٠٧ الولاية أهم مسألة في الدين
 ٢٠٩ وصاية أمير المؤمنين من قبل رسول الله
 ٢١١ الروايات الواردة في أَنَّ وصاية أمير المؤمنين من قبل رسول الله
 ٢١٣ استدلال أمير المؤمنين بحديث أنس المشهور
 ٢١٥ بحث في سند حديث أنس
 ٢١٧ معنى «قائد الغر المحجلين»
 ٢١٩ بحث في دلالة حديث أنس
 ٢٢١ صدر وذيل حديث أنس يدلان كلاهما على وصاية وإمامة أمير المؤمنين
 ٢٢٣ حديث كلام الله تعالى مع رسوله في شأن أمير المؤمنين

- ٢٢٥ نقل الرواية بسندين
- ٢٢٧ جملة من الأخبار في وصاية أمير المؤمنين من قبل رسول الله
- ٢٣١ من أحاديث الوصية : حديث سلمان الفارسي
- ٢٣٥ كنتُ أنا و عليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم
- ٢٣٧ أغلق رسول الله أبواب المسجد إلّا باب أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٣٩ ذكر فضائل أمير المؤمنين على لسان عمرو بن العاص
- ٢٤١ ذكر بعض فضائل أمير المؤمنين
- ٢٤٣ كلام رسول الله مخاطباً فاطمة الزهراء في شأن أهل البيت
- ٢٤٧ دلالة هذا الحديث الشريف على وصاية أمير المؤمنين
- ٢٤٩ نزول النجم الدالّ على الوصاية في بيت أمير المؤمنين
- ٢٥١ الأحاديث الدالّة على وصاية أمير المؤمنين
- ٢٦١ أشعار المرحوم السيد إسماعيل الجميري
- ٢٦٣ أشعار بعض الشعراء في شأن أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٦٥ ليست وصاية أمير المؤمنين في الشؤون الشخصية لرسول الله
- ٢٦٧ عناد و إنكار علماء أهل السنة مع الاعترافات الموجودة في كتبهم

الدَّرْسُ الْخَامِسُ عَشَرَ

تفسير الآية :

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ١.

خاطب الله تعالى المؤمنين في هذه الآية المباركة ، و أوجب عليهم
إطاعة الله و رسوله و أولي الأمر على نحو مطلق . و لما كان أولو الأمر هم
أصحاب الأمر و الحائزين على هذا المنصب ، فقد فرض طاعتهم بدون أي
قيّد أو شرط ؛ و جعلها في مستوى طاعة رسوله الكريم .

فينبغي أن نرى الآن ، من هم أولو الأمر ؟ و لبيان ذلك ما علينا إلا
تفسير هذه الآية المباركة من أجل توضيح القصد و الحصول على المطلوب .

تفسير آية أولي الأمر

لقد أوجبت في هذه الآية اطاعة الله و رسوله و أولي الأمر . فما هو
القصد من هذه الإطاعة ؟ و ما هي المجالات و المصاديق التي يجب

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء

اطاعتهم من خلالها؟

ألا تعني إطاعة الله هي نفسها إطاعة رسوله الكريم؟ و هل أمرنا الله ونهانا و أوجب علينا الإستماع إلى أوامره و نواهيه بواسطة أخرى غير رسوله؟ فمن المسلم أن طاعة الله هي نفسها طاعة رسول الله، و أن رسول الله صلى الله عليه و ءاله هو الطريق إلى تعريف أحكام الله و قوانينه. فلماذا - إذن - فُرضت طاعتان: إحداهما لله، و الأخرى لرسوله العظيم؟ إنَّ القصد من إطاعة الله هو اتباع الأحكام التي نزلت على قلب رسول الله صلى الله عليه و ءاله بوصفها و حيًا، و التي يشمل حكمها و خطابها عامة المؤمنين. و القراءان الكريم كلامُ حضرة الأحديّة و وحيه إلى الناس كافة. فإطاعة الله - إذن - تعني إطاعة كلامه الذي يمثله القراءان الكريم.

و أما إطاعة رسول الله فهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: إطاعته فيما أوحى الله إليه من تشريع الأحكام و تفصيلها، ممّا لا نجده في القراءان. إذ من الواضح أن الأحكام التي بينها كتاب الله هي أصول الأحكام و المواضيع الشرعية. فنرى أن كلام الله لا يخرج عن نطاق الإجمال فيما يخصّ الصلوة، و الصوم، و الحج، و الجهاد، و الزكوة، و النكاح، و المعاملات، و سائر العبادات و الأحكام. و أمّا كيفية الصلوة، و الصوم، و الحج، و سائر الموضوعات، فينبغي أن نتعلمها من رسول الله، كما صرّح هو قائلاً: **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**.^١ و قد أوجب الله الصلوة، لكن انظروني كيف أصلي، ثم صلّوا مثل صلاتي من حيث الشروط، و المقدمات، و الأفعال، و الأقوال الواجبة في الصلوة. فخصوصيات هذه

١- «صحيح البخاري» ج ١، ص ١٢٤ و ١٢٥ نقلًا عن هامش «جواهر الكلام» ج ٩،

المواضيع لم ترد في القرآن الكريم بنحو تام؛ و ما ورد فقط هو أصول العبادات و المعاملات و الأحكام. فما علينا إلا الرجوع إلى رسول الله لأخذ التفاصيل و تعلّمها.

نفس رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله مثل المِجهر الدقيق للغاية، حيث تقوم بتكبير و تبين و توضيح الأحكام المجملة التي أوحاها الله في كتابه. و قد كشف عن شروط كلّ عبادة و أجزاءها بكيفيّة مخصوصة. و أنّ آيات القرآن نزلت عليه مجملة، و انعكست في نفسه الشريفة؛ بيد أنّ تلك النفس القدسية المقدّسة بيّنت حدودها، و ثغورها، و تأويلها، و تفسيرها، و شأن نزولها، و سائر الخصوصيات المتعلقة بالكتاب العزيز معلنة ذلك للملا بشكل مفصّل: **وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**^١ فأنت تفصّل الأحكام، و أنت تبين المراد من الآيات.

و بكلمة بديلة، يمكن القول بأنّ بيان خصوصيات المسائل و الأحكام هو من الوحي أيضًا؛ إذ نزل به جبرئيل خارجًا عن نطاق القرآن. و من الواضح أنّ لبيان الرسول الكريم في هذه الخصوصيات و التفاصيل بعدًا تشريعيًا.^٢

الثاني: إطاعته في الآراء الشخصية، و الأوامر النفسية العائدة إلى مجتمع المسلمين؛ تلك الأوامر التي هي من مهمّة الوالي و الحاكم لإقرار

١- الآية ٤٤، من السورة ١٦: النحل

٢- ثمة رواية تشهد على هذا المعنى في «شواهد التنزيل» ج ١، ص ١٤٩ بسلسلة سنده المتّصل عن مجاهد، حيث روى المؤلّف قائلًا:

عن مجاهد في قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) يعني الذين صدّقوا بالتوحيد، (أَطِيعُوا اللَّهَ) يعني في فرأضه، و (أَطِيعُوا الرَّسُولَ) يعني في سنته، (وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله بالمدينة. الحديث

النظم الاجتماعي للأمم؛ وهي لا تدخل في دائرة تشريع الأحكام. مثل الحكومة، وبيان الواجبات الشخصية للمسلمين، ونصب الولاة والحكام على الولايات، وتسيير الجيوش للجهاد، وتعيين القضاة وأئمة الجماعة للنظر في الشؤون الاجتماعية، ورفع المرافعات، والشئون الدينية للمؤمنين. قال الله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ»^١، ومن الطبيعي فإن هذا الحكم في الشؤون الشخصية هو حسب قوانين القضاء. وعلى المسلمين كافة أن ينفادوا لرسول الله بلا قيد أو شرط في قراراته التي يصدرها بشأن الأمور المهمة؛ نحو تجهيز الجيوش، وتعيين أمراء الجيش، وإرسالهم إلى النقاط النائية من أجل الجهاد، وعقد المعاهدات مع غير المسلمين وفقاً للمصالح التي يحددها. هذا بالرغم من أن الله أمره بمشاورة المؤمنين في الأمور الهامة؛ «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^٢، بيد أنه عقب عليه بقوله: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^٣. فكان صلى الله عليه وآله يشاور المسلمين في عزم الأمور؛ لكنه في النتيجة كان يجب أن يتصرف حسب إرادته وقراره الذي يتخذه بنفسه، وما على المسلمين جميعهم إلا الطاعة والإذعان.

يظهر مما ذكرناه أنه بالرغم من أن إطاعة رسول الله هي في الحقيقة إطاعة الله، حيث أن الله هو الذي فرض تلك الإطاعة بقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ»^٤، بيد أن إطاعة الله لها معنى، وإطاعة رسوله لها معنى آخر. ويجب على الناس أن يطيعوا الله فيما يتعلق بتعاليم

١- الآية ١٠٥، من السورة ٤: النساء

٢ و ٣- الآية ١٥٩، من السورة ٣: آل عمران

٤- الآية ٦٤، من السورة ٤: النساء

القرءان المجيد، و يطيعوا رسوله في خصوصيات الأحكام التي يبيتها، ولها صفة تشريعية؛ وكذلك أن يطيعوه فيما يعود إلى مصالح المسلمين من خلال آرائه الشخصية وأوامره مما ليس لها صفة تشريعية. ولعل هذا السبب هو السر من وراء تكرار كلمة «أطيعوا» مرتين، حيث أمر الله المؤمنين بالإتباع، وفصل طاعته عن طاعة رسوله؛ لا كما ذهب إليه بعض المفسرين من أن التكرار يفيد التأكيد؛ لأن الكلمة لو لم تتكرر هنا، لأفادت التأكيد بشكل أفضل، بلحاظ الاقتران القائم بين طاعة الله ورسوله، حيث يفيد وحدة الطاعة في المقامين.

حدود صلاحيات أولي الأمر

أما أولو الأمر فليس لهم منصب التشريع قطعاً، ولا يفصلون الأحكام الإجمالية في القرءان؛ ولا يشترعون شيئاً منها كرسول الله. فهم يبينون الأحكام، و يبلغون الآيات بين المسلمين، وفقاً لتشريع رسول الله؛ ولهم النظر في شئون المسلمين المختلفة. وعلى الناس أن يتبعوهم في القضاء، والمرافعات، و سائر الشئون الاجتماعية التي تحتاج إلى رأي الرئيس لتنظيم الامور، و الوقوف بوجه المشاكل، و الأخطار الداهمة، و تحقيق المصالح العامة. لذلك فإن طاعتهم جاءت متقارنه مع طاعة رسول الله في خط واحد من خلال كلمة واحدة هي: «أطيعوا» حيث قال عز شأنه: «... وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». و في ضوء ذلك، فإن طاعتهم

١- ينقل صاحب تفسير «الميزان» رواية في الجزء الرابع، ص ٤٣٧ تشهد على هذا الادعاء، فيقول:

و في «تفسير العياشي» عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم» قال: هي في علي و في الأنمة، جعلهم الله مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يحلون شيئاً و لا يحرمونه.

فقط في هذا الحقل ، على عكس طاعة رسول الله حيث إنها تشمل هذا الحقل ، و حقل تشريع الأحكام الجزئية ، و بيان تفاصيل المسائل . و دليلنا على هذا الكلام هو ما يذكره القراءان بعد تلك الآية مباشرة ، إذ يقول : فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

فينبغي عليهم الرجوع إلى كتاب الله و سنة رسوله في المنازعات و المشاجرات التي تقع بينهم ، و ينهوا مشاجراتهم استلهامًا من دينك المصدرين . و لو كان لأولي الأمر منصب التشريع ، لوجب إرجاع المؤمنين إليهم عند المرافعة بوصفهم مشرّعين ، في حين لا نجد من ذلك شيئاً . و نقول في توضيح هذا المعنى : إنّ المخاطبين في هذه الآية هم المؤمنون ، كما جاء في صدرها قوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . فالمقطوع به أنّ نزاعهم مع غير أولي الأمر ؛ لأنه لا معنى لنزاعهم معهم بعد فرض وجوب طاعتهم ، و لا معنى للإرجاع إلى الله و رسوله من أجل رفع النزاع .^١ و هذا

١- يقول صاحب تفسير «الميزان» في الجزء الرابع ، ص ٤٣٧ .

و في «الكافي» بإسناده عن بريد بن معاوية قال : تَلَا أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فَإِن خِفْتُمْ تَنَازَعًا فِي الْأَمْرِ ، فَارْجِعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ . قَالَ : كَيْفَ يَأْمُرُ بِطَاعَتِهِمْ وَيُرْخِّصُ فِي مَنَازِعَتِهِمْ ؟ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» و في «تفسير العياشي» عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام (و هو رواية الكافي السابقة) و في الحديث : ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَجَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» إِيَّانَا عَنِّي خَاصَّةً «فَإِن خِفْتُمْ تَنَازَعًا فِي الْأَمْرِ ، فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» هَكَذَا نَزَلَتْ . وَ كَيْفَ يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ وَيُرْخِّصُ لَهُمْ فِي مَنَازِعَتِهِمْ ؟ إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» .

النزاع أيضًا ليس في الأمور التي تتعلق بالآراء و الأوامر الشخصية ، بل هو يتعلق بحكم الله في القضية المتنازع حولها ، بدليل الآيات التي تليها حيث تذم الأشخاص الذين يتخذون الطاغوت مرجعًا لهم ، و يرضون بحكمه ، تاركين حكم الله و رسوله وراء ظهورهم . فالمراد هو نزاع المسلمين بعضهم مع البعض الآخر في الشئون الشخصية ، و ما عليهم في هذه المسائل إلا الرجوع إلى كتاب الله و سنة رسوله لحسم النزاع و تسوية الخلاف ؛ علمًا بأن الكتاب و السنة حجتان قاطعتان لتسوية الخلاف و حسم النزاع عند من له علم بهما ؛ و كذلك قول أولي الأمر فإنه دليل و حجة في فهم الكتاب و السنة . و لما أوجبت الآية الشريفة طاعة أولي الأمر بلا قيد أو شرط ، وفسر هؤلاء الكتاب و السنة دون أن يحملوا عنوان التشريع ، فينبغي أتباعهم و طاعتهم . و في ضوء ذلك نكتشف «إثنا»¹ حيث إن قولهم مطابق للواقع و خالٍ من الزلل و الخطاء .

لزوم العصمة عند أولي الأمر

و محصل الكلام أن أولي الأمر رجال من الأمة يجب اطاعتهم بشكل مطلق و بلا قيد و شرط ؛ و ذلك في جميع الحقوق إلا حقل التشريع ؛ و أن إطاعتهم في حكم إطاعة رسول الله . و كما أن أمر الرسول و نهيه لا يخالفان أمر الله و نهيه ، و إلا يستدعي التناقض بين أمر الله و أمر الرسول و نهى الله و نهى الرسول ، و هذا معنى لا يتم إلا بالتزام عصمة الرسول ، فكذلك أمر أولي الأمر و نهيه لا يخالفان أمر الله و رسول الله و نهى الله و رسوله . و إلا يفضي إلى التناقض ، و الأمر بالضدين أو النهي عن

١- و هو يعنى اصطلاحًا إدراك العلة و المؤثر عن طريق المعلول و الأثر (البرهان

الإنبي). (م)

المتناقضين ؛ وهذا معنى لا يتم أيضاً إلا بالتزام عصمة أولي الأمر ، وبالنتيجة ، فإن ما يلزم إطاعتهم المطلقة بلا قيد ولا شرط هو عصمتهم . و من جهة ، لما كنا نعلم بأن آياتاً من المذاهب الإسلامية لم يدع العصمة لأئمتها إلا المذهب الامامي ، إذ يرى الشيعة عصمة أئمتهم الأثني عشر ، لذلك فإن مفهوم الآية سوف ينطبق طبعاً على الأئمة المعصومين سلام الله و صلواته عليهم أجمعين .

هذا من ناحية دلالة الآية الكريمة ، و الدليل على ذلك هو الروايات الجمة التي تفوق الإحصاء ، منها الروايات الواردة في تفسير هذه الآية .

تفسير أولي الأمر في الروايات

يروى صاحب «تفسير البرهان» و مؤلف «غاية المرام» عن محمد ابن يعقوب الكليني بأسناده المتصل عن أبي بصير أنه قال : «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فَقَالَ : نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : فَمَالَهُ لَمْ يُسَمَّ عَلِيًّا وَ أَهْلَ بَيْتِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ؟ قَالَ : فَقُولُوا لَهُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ لَمْ يُسَمَّ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثًا وَ لَا أَرْبَعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ؛ وَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَ لَمْ يُسَمَّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دَرْهَمًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ؛ وَ نَزَلَ الْحَجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ : طُوفُوا أُسْبُوعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ؛ وَ نَزَلَتْ : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» . وَ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ ، وَ الْحَسَنِ ، وَ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ : أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ

مَوْلَاهُ، وَقَالَ: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ. وَقَالَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: لَا تَعْلَمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمَ مِنْكُمْ. وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى، وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ. فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُبَيِّنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ لَادْعَاهَا آءَالُ فَلَانٍ وَآءَالُ فَلَانٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ تَصَدِيقًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^١ فَكَانَ عَلِيُّ وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثَقْلًا، وَهُؤُلَاءِ أَهْلِي وَثَقْلِي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ لَهَا: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، وَلَكِنَّ هؤُلَاءِ أَهْلِي وَثَقْلِي»^٢؛ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ الَّذِي يُبَيِّنُ بَعْضًا آخَرَ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ.

و روى في تفسير «البرهان» و «غاية المرام» عن ابن شهر آشوب عن «تفسير مجاهد» ما نصّه :

«إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَلَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ. فَقَالَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَخْلُفُنِي عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي

١- الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأَحْزَابِ.

٢- تفسير «البرهان» ج ١؛ ص ٢٣٥؛ و «غاية المرام» : ٢٦٥ و ص ٢٦٦ الحديث الثالث من الباب التاسع والخمسين. وكذلك نقل العلامة الطباطبائي هذا الحديث عن تفسير «العياشي» في الجزء الرابع: ص ٤٣٨ من تفسير «الميزان». و روى في «شواهد التنزيل» ج ١، ص ١٤٩ إلى قول رسول الله: فأعطاني ذلك.

بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى حِينَ قَالَ لَهُ: «أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَاصْلِحْ؟» فَقَالَ اللَّهُ: «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَاَهُ اللَّهُ أَمْرَ الْأُمَّةِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ، وَحِينَ خَلَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَتَرْكِ خِلَافِهِ»^١.

و في تفسير «البرهان» و «غاية المرام» أيضاً يروي عن ابن شهر آشوب عن إبانة الفلكي أنّ الآية: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ، إنّها نزلت حين شكى أبو بريدّة من عليّ عليه السلام؛^٢ و روى ابن شهر آشوب هذا الخبر المروي عن مجاهد في شأن النزول.

و روى في تفسير «البرهان» عن الصدوق - رضي الله عنه - بإسناده المتصل عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام مانصّه.

«فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قَالَ: الْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»^٣

و في تفسير «الميزان» عن «عبارات الأنوار» عن كتاب «ينابيع المودّة»، عن «مناقب» ابن شهر آشوب، عن سليم بن قيس الهلاليّ، عن

١- تفسير «البرهان» ج ١، ص ٢٣٨؛ و «غاية المرام» ص ٢٦٣ و ٢٦٤ الحديث الأول من الباب ٥٨؛ و نقل صاحب «الميزان» ذلك عن تفسير «البرهان» في الجزء الرابع، ص ٤٣٩ من «الميزان»، و ذكر هذه الرواية أيضاً في «شواهد التنزيل» ج ١، ص ١٤٩.

٢- تفسير «البرهان» ج ١، ص ٢٣٨؛ و «غاية المرام» ص ٢٦٤ الحديث الثاني من الباب ٥٨. و نقل العلامة الطباطبائي ذلك في «الميزان» ج ٤، ص ٤٣٩ نقلاً عن تفسير «البرهان».

٣- تفسير «البرهان» ص ٢٣٦؛ و كذلك في «غاية المرام» ص ٢٦٧ الحديث الثامن من الباب ٥٩.

أمير المؤمنين عليه السلام ضمن حديث قوله :

« قَالَ : وَ أَمَا أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ ضَالًّا أَنْ لَا يَعْرِفَ حُجَّةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ شَاهِدَهُ عَلَى عِبَادِهِ ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِطَاعَتِهِ وَ فَرَضَ وَ لَآئِيَّتَهُ . قَالَ سُلَيْمٌ : قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ، صِفْهُمْ لِي ، قَالَ : الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وَ نَبِيِّهِ ، فَقَالَ : «يَسَأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ لَهُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! ، أَوْضِحْ لِي ، فَقَالَ : الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ فِي مَوَاضِعَ ، وَ فِي ءَاخِرِ خُطْبَتِهِ يَوْمَ قَبْضِهِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ : إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ، وَ عِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ - وَ جَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْهِ - وَ لَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ - وَ جَمَعَ مُسَبِّحَتَيْهِ وَ الْوُسْطَى ١ - فَمَسَّكُوا بِهِمَا وَ لَا تَقَدَّمُوهُمَا فَتَضِلُّوا» ٢ .

و جاء ذلك أيضاً في تفسير «البرهان» في ذيل آية : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ؛ و في «غاية المرام» . و يروي صاحب الميزان نقلاً عن البرهان ، حديث جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله و سلم إذ يذكر فيه النبي صلى الله عليه و ءاله أسماء الأئمة الإثني عشر واحداً بعد الآخر مع سبب غيبة الإمام المهدي قائم آل محمد عليه السلام ٣ . و يشتمل هذا الحديث على نقاط مشرقة و مواضع

١- كناية عن ان كتاب الله و أهل بيتي شيء واحد و لا امتياز لأحدهما على الآخر .

٢- تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤٣٩

٣- ذكر هذا الحديث كل من تفسير «البرهان» ج ١ ، ص ٢٣٤ و ٢٣٥ ؛ و «غاية المرام» ص ٢٦٧ نقلاً عن المرحوم الصدوق . و العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤٣٥ و ٤٣٦ نقلاً عن تفسير «البرهان» . و نحن ذكرنا نص هذا الحديث في أوائل الجزء

نفيصة .

أجل ، فإن انطباق أولي الأمر على الأئمة الطاهرين عليهم السلام بلغ درجة نجد فيها صادق أهل البيت عليه و عليهم السلام يوصي بالمباهلة لإثباته . كما جاء ذلك في تفسير «البرهان» ، و «غاية المرام» ، و تفسير «الميزان» . إذ يروي أصحابها عن محمد بن يعقوب الكليني في «الكافي» عن أبي مسروق ، عن أبي عبدالله عليه السلام مانصه :

«قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّا نُكَلِّمُ أَهْلَ الْكَلَامِ فَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فَيَقُولُونَ : نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ ، وَ نَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ، فَيَقُولُونَ : نَزَلَتْ فِي قُرْبَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَلَمْ أَدْعُ شَيْئًا مِمَّا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ مِنْ هَذَا وَ شَبَّهَ إِلَّا ذَكَرْتُهُ . فَقَالَ لِي : إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ قُلْتُ : وَ كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : أَصْلِحْ نَفْسَكَ ثَلَاثًا وَأَطْنُهُ ، قَالَ : وَ صُمْ وَ اغْتَسِلْ وَ ابْرُزْ أَنْتَ وَ هُوَ إِلَى الْجِبَالِ فَتَشَبَّكَ أَصَابِعَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى فِي أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ أَنْصَفْهُ وَ أبدأ بِنَفْسِكَ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ! إِنْ كَانَ أَبُو مَسْرُوقٍ جَحَدَ حَقًّا وَ ادَّعَى بَاطِلًا ، فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ وَ عَذَابًا أَلِيمًا ؛ ثُمَّ رُدِّ الدَّعْوَةَ عَلَيْهِ ، فَقُلْ : وَإِنْ جَحَدَ حَقًّا وَ ادَّعَى بَاطِلًا ، فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ وَ عَذَابًا أَلِيمًا ؛ ثُمَّ قَالِي لِي : فَإِنَّكَ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَرَى ذَلِكَ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ ! مَا وَجَدْتُ خَلْقًا يُجِيبُنِي إِلَيْهِ» .

و روى صاحب «الكافي» بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه

قَالَ: «السَّاعَةُ الَّتِي تُبَاهِلُ فِيهَا مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ»^١.
 و روى الحاكم الحسكاني بسلسلة سنده عن أبان بن أبي عيَّاش :
 «قَالَ : حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شُرَكَائِي الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وَبِي ، وَ أَنْزَلَ فِيهِمْ «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ آيَةَ فَاِنَّ خِفْتُمْ تَنَازَعًا فِي أَمْرٍ فَارْجِعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ وَ أُولِي الْأَمْرِ . قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَوْلَهُمْ»^٢.

و في تفسير «الميزان» ، عن تفسير «العيَّاشي» ، عن عمر بن سعيد ، عن أبي الحسن عليه السلام في الآية «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ الْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ^٣.
 وَ ثَمَّةٌ رَوَاةٌ عَنْ ابْنِ شَهْرَآشُوبٍ يَقُولُ فِيهَا : سَأَلَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الْأئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^٤.

أجل ، فقد اتضح من البحث الاستدلالي التفسيري الذي ذكرناه حول آية أولي الأمر ، و سلسلة الروايات الواردة التي تحصر أولي الأمر بالأئمة الطاهرين ، و نحن ذكرنا هنا شيئاً منها (و من رام الاستقصاء فليلاحظ تفسير «البرهان» في ذيل آية أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ،

١- تفسير «البرهان» ج ١ ؛ ص ٢٣٥ ، و «غاية المرام» ص ٢٦٧ الحديث الحادي عشر من الباب ٥٩ . و نقل العلامة في «الميزان» ج ٤ ، ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ إلى آخر الرواية الأولى : «خَلْقًا يُجِيبُنِي إِلَيْهِ» .

٢- «شواهد التنزيل» ج ١ ، ص ١٤٨

٣- تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤٣٦

٤- نفسه

و «غاية المرام» حيث أورد صاحبه أربعة أحاديث من العامة و أربعة عشر حديثاً من الخاصة ، و «ينابيع المودة» أن المراد من أولي الأمر هم الأئمة المعصومون من الذنب و الخطأ بلا ريب يعترى النفوس .

نقد نظرية «عصمة إجتماع أهل الحلّ و العقد»

و من العجيب - كما سنأتي عليه مفصلاً - أن الإمام الفخر الرازي يقرّ بلزوم العصمة عند أولي الأمر في هذه الآية المباركة ، بيد أنه يقول بأنّ العصمة من الخطأ تتحقق بواسطة إجتماع أهل الحلّ و العقد الذين يختارهم وليّ الأمر ، و بكلمة أخرى ، فإنّ كلّ فرد من أفراد أهل الحلّ و العقد ليس معصوماً و مصوناً من الذنب و الزلل بذاته ولكن تتحقق هذه المصونية و العصمة من خلال تبادل أفكارهم و اجتماعهم ، و بالنتيجة ، فالعصمة وليدة إجتماع أهل الحلّ و العقد .

و سنقوم - إن شاء الله - برّد هذا الكلام العاري من الحقيقة مفصلاً ، بيد أنّنا نكتفي هنا بذكر نقطة واحدة ، و هي أنّه لو كان إجتماع أهل الحلّ و العقد مفضياً الى العصمة ، فلماذا ارتكب عثمان جميع تلك الأخطاء ؛ و هو الذي نصبه أهل الحلّ و العقد حسب وصية عمر ؟ و لماذا كلّ تلك الزلات و الهفوات الإجتماعية ، و مصادرة حقوق الضعفاء ، و حرمان الأمة الإسلامية من حقوقها المشروعة ، و غيرها من الإنتهاكات التي بلغت حدّاً جعلت فيه كبار المؤرّخين يعترفون بها و يسجلونها في كتبهم .

أحرق عثمان القرءان ، و بقر بطن عمّار بن ياسر ، و ركله ركلاً حتى أغمي عليه ، و أصيب بالفتق ، و هو الصحابيّ الجليل الذي كانت منزلته أوضح من الشمس في رائعة النهار ؛ و قال فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قولاً يعرفه الصغير و الكبير ، و نصّه : **عَمَّارٌ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ**

مَعَ عَمَّارٍ حَيْثُ كَانَ ، عَمَّارٌ جَلْدُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَ أَنْفِي .^١ وكذلك قام عثمان بضرب عبدالله بن مسعود لامتناعه عن تسليم القراءان الذي جمعه بنفسه . وأبعد الصحابي الكريم العظيم أباذر الغفاري الذي قال في حقه رسول الله صلى الله عليه و عاله و سلم : « مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَ لَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ »^٢ ، لا لذنوبه إلا لصراحة لهجته و أمره بالمعروف و نهيهِ عن المنكر ، أبعدهُ من المدينة إلى الشام ، ثم بعد ذلك إلى الرَبْدَةَ على جمل جمّازة بلا غطاء و لا وطاء ، فعاش وحيداً غريباً ، و تصوّر جوعاً في تلك الفيافي الكأداء إلى أن وافته المنيّة هناك .

و قسم عثمان بيت مال المسلمين على بني عمومته من عال أميّة ، و على ولاته الذين كانوا جميعهم من أقاربه و أرحامه حتّى تعالت صيحات الاستغاثة من حناجر المسلمين . و وهب مروان بن الحكم فدكاً ، و هي إرث فاطمة الزهراء بضعة رسول الله ، التي ينبغي أن تصل إلى ذريتها ، ملكها ذلك الرجل الفظّ المتهور . و دعا الحكم طريد رسول الله إلى المدينة ، و وهبه جميع خرج أفريقيا في مجلس من المجالس .

و قد وعظه و نصحه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً :
 وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ ، إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً
 مَأْخُودَةً ، وَ أَحْيَى بِدْعَةً مَثْرُوكَةً . وَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَ عَالِهِ يَقُولُ : يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَ لَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَاذِرٌ ،
 فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعْرِهَا .^٣

١- «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ٩٢

٢- «بحار الأنوار» ج ١٥ ، ص ١٠٩ ، طبعة اخوندي

٣- «نهج البلاغة» ، باب الخطب ، ص ٣٠٤ من طبعة عبدة في مصر

جانب من الإنتهاك و الظلم الذي نزل بساحة أميرالمؤمنين تدمر أميرالمؤمنين عليه السلام في كثير من خطبه و رسائله و أقواله من الإنتهاك و الظلم الذي حلّ به فيما يخصّ ولايته . و تأوّه و تحسّر على منع القوم أن يدور الأمر حول محوره ، و يُسلم إلى صاحبه و وليّه . و بكى على هذه الامّة السيئة الحظّ ، المعرّضة عن كتاب الله و سنة رسول الله . و تطرّق إلى هذا الموضوع في مواطن جمّة من «نهج البلاغة» فقال في أحدها :

«حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَ غَالَتْهُمْ السُّبُلُ ، وَ اتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَايَةِ ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ آسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آءَالٍ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعِ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقِ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»^١

و يقول في رسالته إلى مالك الأشتر و أهل مصر :

«فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ [يعني محمّداً] تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللَّهِ ! مَا كَانَ يُلْقَى فِي رَوْعِي وَ لَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تَزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَ لَا أَنَّهُمْ مُنْحَوَةٌ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ . فَمَا رَاعِنِي إِلَّا اثْنِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَيَّ مَحْقٍ دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلْمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَ لَايَتِكُمْ الَّتِي

١- «نهج البلاغة» ، باب الخطب ، ص ٢٧١ و ص ٢٧٢ من طبعة عبده في مصر

إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَّقَشَعُ
السَّحَابُ ، فَتَنَهَضَتْ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ
الدِّينُ وَ تَنَهَّنَهٗ .^١

١- «نهج البلاغة» ، باب الكتب ، الرسالة ٦٢ ، ص ١١٨ و ١١٩ من طبعة عبده - مصر

الدَّرْسُ السَّادِسُ عَشَرَ

الْحَمْدُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ آلَانِ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا^١

ذكرنا سابقاً أنّ أولي الأمر المقصودون في هذه الآية المباركة هم
المعصومون عليهم السلام ذلك أنّ الآية أوجبت إطاعتهم بشكل مطلق
وجعلتها في مستوى طاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم ؛ و هذا
معنى لا يمكن تحقّقه بدون عصمتهم . و لو فرضنا أنّهم غير معصومين
و أنّهم خالفوا أوامر النبيّ قولاً أو عملاً ، فهذا يلزم اجتماع الأمر و النهي من
الله الذي أوجب طاعتهم . لأنّهم - من جانب - يأمرّون وفقاً لأمر الله
و رسوله ، و - من جانب آخر - ينهون قولاً أو عملاً ، و هذا محال .

فأولي الأمر أشخاص لا تلاحظ في قولهم أو فعلهم مخالفة للكتاب
و السنّة أبداً ، و أنّ لقولهم و فعلهم حجّية على الأمة بنحو مطلق ؛ و هذا الأمر

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

ملازم لعصمتهم . و لما كان المسلمون كافة ، شيعة و غير شيعة ، لا يرون عصمة أحد غير الأئمة المعصومين ، لذلك فإن المقصودين بهذه الآية ، التي تأمر الأمة بوجوب طاعة المعصوم بشكل مطلق ، هم الأئمة الطاهرون عليهم السلام .

و يرى بعض أهل السنة^١ أن الآية لا تفيد عصمة رسول الله ، و لا عصمة أولي الأمر . أمّا عصمة رسول الله ، فلو ثبتت فبأدلة أخرى . و أمّا عصمة أولي الأمر فإنتها تستفاد عندما لا تحافظ الآية على استقلالها و مفهومها الصحيح بدون هذا المعنى ، لكننا نجد أننا لو لم نعتبر أولي الأمر معصومين ، فإن الآية تظل على ماهي عليه ، و لا يلزم اجتماع الأمر و النهي و لا يستلزم أمر المحال . فبيان هذا الموضوع هو أن هذه الآية أوجبت طاعة أولي الأمر من أجل المحافظة على اجتماع المسلمين ، و عدم تشتتهم و تفرقهم فقط ، مثل الولاية المعهودة التي يتقلدها رؤساء سائر الأمم و المجتمعات . فتلك الأمم و المجتمعات تعين لها رئيساً . و تفوض إليه أمورها ، و تقيّد الناس بوجوب طاعته . بيد أنه لو طغى ذلك الرئيس متعمداً أحياناً ، و تصرف خلاف قانون ذلك المجتمع فلا يطيعونه . لأتتهم انتخبوه حافظاً و حارساً للقانون لا مشرعاً له ، فلو أخطأ ، لا يجب اتّباعه أيضاً ، و ينبغي أن يُشعروهُ بخطئه . ولكن عندما يكون خطأهُ غير مؤكّد ، بل احتملوا فقط ذلك الخطأ في أوامره ، فإن حكمه هنا نافذ المفعول ؛ و ذلك للمحافظة على مصلحة المجتمع ، لأنّ مصلحة المجتمع و بقاء سيادته و وحدته و عظمته أمر مهم ، يُرجح على المفسدة المترتبة على أوامرهم المحتملة الخطأ .

١- تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤١٥ .

و مجمل الكلام ، فإن أولي الأمر في هذه الآية الشريفة هم الرؤساء و الحكّام الذين يقومون بأعباء الرئاسة و الحكومة في الوسط الاجتماعي . و لو اتخذوا قراراً معارضاً لقول الله و رسوله على نحو اليقين ، فلا ينبغي اتّباعهم في خصوص ذلك القرار ؛ و ذلك لوجود بعض المقيّدات نحو «إنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»^١ ، و قول رسول الله الذي يتفق الشيعة و السنة على نقله و روايته ، و هو : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ^٢ ؛ و كذلك قوله : لَا طَاعَةَ إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ^٣ و أمثالها التي تسقط حجّية أقوالهم عند المعصية . و لو أخطأوا في قرار ما ، فينبغي تنبيههم و إرجاعهم إلى الكتاب و السنة . هذا فيما إذا أحرز خطأهم . أمّا إذا كان هناك احتمال في خطئهم فأوامرهم حُجّة ، و لا مانع من حجّية أوامرهم في مثل هذه المواضع ؛ حتّى لو اتفق أن يكون عملهم مخالفاً للواقع . لأنّ حفظ مصلحة نظام المسلمين باتباعهم أهمّ من المفسدة المترتبة على هذه الأمور .

ولكن بالتأمّل الدقيق في ظهور الآية الشريفة و سياقها ، تنتفي هذه الشبهة تماماً لأتته حتّى لو كان جعل الحجّية على أقوال غير المعصوم و أفعاله ليس محالاً في حدّ ذاته ، و عند صدور الخطأ بنحو جازم أو المعصية ، فإنّ الدليل المخصّص يحدّد لزوم إطاعتهم و حجّية أوامرهم و عند صدور الخطأ المحتمل ، فإنّ المصلحة السلوكيّة المتمثلة بحفظ المجتمع و إقرار النظم تسدّ النقص الناشئ عن المفسدة المخالفة للواقع و يمكن أن

١- الآية ٢٨ ، من السورة ٧: الأعراف .

٢- تفسير «الدرّ المنثور» ج ٢ ، ص ١٧٧ و أيضاً روى عن عمران بن الحصين قال : سمعت رسول الله يقول : لا طاعة في معصية الله ؛ و «وسائل الشيعة» ج ١١ ، ص ٤٢٢ .

٣- «صحيح البخاري» ج ٩ ، ص ٧٩ (كتاب الأحكام باب ٤ - ج ٤) قال صلى الله عليه وآله : إنّما الطاعة في المعروف .

نجد مثل هذا الحجية عند أمراء السرايا الذين كان يرسلهم رسول الله إلى الجهاد، وعند الولاة الذين كان يعينهم هو أو أمير المؤمنين وكذلك حجية قول المجتهد بالنسبة إلى المقلد، و حجية الروايات و خبر الواحد، غير أن إمكان جعل الحجية في أوامر أولي الأمر على هذه الكيفية مسألة، و ظهور الآية الشريفة في إطلاق وجوب متابعتهم مسألة أخرى و لا صلة بين الاثنين بتاتاً. و نحن لا ننكر إمكان حجية الحكام و الرؤساء، و بصورة عامة، كل شخص غير معصوم، من باب تلافي المفسدة الواقعة بالمصلحة السلوكية، غير أننا نقول بأن ظهور الآية الشريفة خارج عن هذا المجرى.

لزوم إطاعة أولي الأمر بشكل مطلق

إنّ للآية الكريمة - على نحو مطلق - ظهور بل نصّ في لزوم اتباع أولي الأمر. و هذا المعنى يستلزم المحال بدون عصمتهم، لأنّ أسلوب الآية و سياقها غير قابل للتخصيص. فالآية أوجبت إطاعة أولي الأمر وجعلتها في حكم إطاعة رسول الله و مقارنة و ملازمة لها، و كذلك في حكم إطاعة الله. فكما أنّ التخصيص لا معنى له في إطاعة الله و رسوله فكذلك هو في إطاعة أولي الأمر التي سبكت مع إطاعة الله و رسوله في قالب واحد، و ثمّ بيانها في عبارة واحدة. و في هذا المجال، لو كان هناك مخصّص أحياناً، فينبغي إمّا أن يكون متصلاً بهذه الجملة، و يحدّد مجالات لزوم الإطاعة، و مجالات عدم لزومها، أو أنّ آية أخرى على الأقلّ تصرّح بالتخصيص في هذا المجال، كأن تقول مثلاً: لَا تُطِيعُوا أَمْرَهُمْ فِي مُخَالَفَةِ اللَّهِ.

و أمّا الآية «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»^١ و أمثالها، فليس فيها نظر إلى

١- الآية ٢٨، من السورة ٧: الأعراف.

تخصيص هذه الآية أبدأً . وكذلك كلام رسول الله في حرمة متابعة المخلوق عند معصيته ، فإنه لا يرفع ظهور الآية الشريفة في أولي الأمر . وبصورة عامة وفقاً للقواعد الأصولية ، فإن الحكم يكون قابلاً للتخصيص عندما يزيل المخصّص ظهوره في العموم ؛ و أما إذا لم يُزل ظهوره ، وظلّ على عمومه ، فإننا نكتشف أن المراد من المخصّص قائم في موضع آخر ، وليس له قابلية تخصيص ذلك العموم . مضافاً إلى ذلك فنحن نرى أن الله أوجب الإحسان أو المتابعة لغير أولي الأمر في مواضع قليلة الأهمية جداً ، وقد خصّص ذلك مباشرة و جعل إطاعتهم محصورة في غير معاصي الله . فهو يقول بشأن الإحسان و اتباع الأيوين : « وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَ إِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا »^١ . هنا يصرح بلزوم إطاعة الوالدين ، و يقيّد ذلك مباشرة في مجالات غير عصيان الله . فهل هذا الموضوع أهمّ أو الولاية العامة لشؤون المسلمين ؟

فلو كان في آية أولي الأمر قيد ، لوجب عليه أن يذكر له مخصّصاً متصلاً بلا ريب ؛ ولما قصر في تأخيره على أساس أهمية الموضوع . ومجمل القول ، أن نتيجة البحث هي أن إطاعة أولي الأمر بنحو مطلق واجبة ، و سياق الجملة يأبى التخصيص . الآية التي تنهى عن الفحشاء و كلام رسول الله في عدم جواز إطاعة المخلوق عند معصية خالقه لا يخصّصان لزوم اتباع أوامر أولي الأمر أبدأً . و في ضوء ذلك ، فإن ظهور الآية بل نصّها دالّ على عصمتهم مع المقدّمة القائلة باستحالة اجتماع الأمر والنهي .

و هَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ .

١- الآية ٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

في رحاب لقب «أمير المؤمنين» الذي هو أفضل ألقاب

عليّ بن أبي طالب عليه السلام

أولو الأمر جمع يعني أصحاب الأمر . و القصد من أصحاب الأمر هم المؤمنون لقوله تعالى «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» . و هذا أوّل لقب منحه رسول الله لعلّي بن أبي طالب بأمر الله ، لأنّ مفرد «أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» يعني «ذو الأمر» من المؤمنين ، و هو ما ينطبق لفظاً و معنىً على أمير المؤمنين الذي يعني أيضاً صاحب الأمر من المؤمنين . و هذا اللقب هو من أهم ألقاب الإمام و أعلاها درجة و شأناً ؛ و يتقدّم على سائر ألقابه التي منها : «سيّد المسلمين» ، و «يعسوب الدين» ، و «قائد الغرّ المحجّلين» ، و «إمام البرّة» ، و «قاتل الفجّرة» ، و «خليفة رسول الله» ، و «وصيّته» و «وزيره» و أمثالها . و لذلك أمر رسول الله الناس أن يسلموا عليه و يحثوه بهذا اللقب . و هذا اللقب ليس عنواناً اعتبارياً ، بل هو بيان حقيقة و كشف سرّ كان موجوداً عنده ، لأنّ الأمير و الرئيس ، لأيّ شيء يضافان ، فإنهما يعبران عن معنى ذلك الشيء و حقيقته . فأمير الجيش هو ذلك الشخص المقدّم على الجيش جميعه من حيث فنّ القتال . و أمير الأمراء يعني الشخص المتفوق على سائر الأمراء من حيث الإمارة .

و أمير المؤمنين يعني رئيس المؤمنين و قائدهم من حيث الإيمان ؛ و لذلك يقول ابن عبّاس :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً فِيهَا «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» إِلَّا وَ عَلِيٍّ رَأْسُهَا وَ أَمِيرُهَا .^١ و ينقل ابن شهر آشوب أيضاً عن طريق العامة ما

١- «مطالب السؤل» ص ٢١ ؛ «حلية الأولياء» ج ١ ، ص ٦٤ . و يقول صاحب «ينابيع المودّة» في ص ٢١٢ من كتابه : عن ابن عبّاس : لَيْسَ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ «يَأْتِيهَا الَّذِينَ»

نصّه: قال مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِهِ: مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» فَإِنَّ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَابِقَةَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ فِي تِسْعٍ وَثَمَانِينَ مَوْضِعاً «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدَ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»^١.

في ضوء ما تقدّم، فحيثما جاء في القرآن «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا». أو كان الخطاب موجّهاً للمؤمنين بدون هذا اللفظ، أو ورد مدح و تمجيد للمؤمنين، أو ذكرت لهم صفة محمودة، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام يأتي في طليعة ذلك كلّه.

أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأكمل لجميع الفضائل

و يمكن أن نفهم من هذا اللقب أنّه كما كان عليه السلام أفضل الجميع و أكملهم على صعيد كافّة جهات و أبعاد الفضائل النفسيّة و مكارم الأخلاق و الملكات و العقائد و درجات التوحيد، فلا بدّ أن يكون أكثرهم زهداً، و الزهد من صفات المؤمنين؛ و إلاّ فلا ينطبق عليه عنوان الإمارة في هذا المجال. و لو فرض وجود أحد في جميع الأئمة - مثلاً - زهده أكثر من زهد أمير المؤمنين أو في درجته، فلا يعدّ الإمام أميراً له من هذا المنظور. و كذلك أمير المؤمنين في سائر المحامد و الصفات الحسنة كالجود و السخاء و الإيثار، و العفو، و الصفح، و العلم، و الحلم، و الكرم، و الصلوة و الصوم و الإنفاق، و الجهاد، و القضاء، و الحكم، و رقة القلب، و صفاء الضمير و المعارف الإلهيّة، و الاطلاع على الأسرار، و الاتّصاف بصفات الله

«ءَامَنُوا» إِلَّا عَلِيُّ رَأْسُهَا وَ أَمِيرُهَا وَ شَرِيفُهَا. وَ لَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ وَ مَا ذَكَرَ عَلِيّاً إِلَّا بِخَيْرٍ.

١- «غاية المرام» ص ٢١.

و أسمائه الحسنی ، و بلوغ درجات المقرّبين و الصّدّيقين و الشهداء و تجلّي الذات الأحديّة المقدّسة ، و مراتب الفناء و البقاء . فقد كان أمير المؤمنين في هذه الفضائل كلّها متميّزاً متفوقاً ، لذلك نال عنوان القيادة و الإمارة . و جاء في آخر سورة الفرقان أربع عشرة صفة لعباد الله ، هي :

« وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . إلى أن يقول :

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » .^١ و كان عليّ بن أبي طالب سبّاقاً بارزاً في جميع تلك الصفات . و كذلك كان في سائر الآيات نحو «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» ،^٢ و الآية : «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» ،^٣ و الآية : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» ،^٤ و الآية : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا» ،^٥ و الآية : «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي

١- الآيات ٦٣ الى ٦٨ ، ٧٢ الى ٧٤ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

٢- الآية ١٦٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٤- الآية ٢٩ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٣- الآية ٧٤ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٥- الآية ٤٥ ، من السورة ٨ : الأنفال .

الْآخِرَةَ»^١، و الآية: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»^٢،
والآية «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ»^٣، و الآية:
«الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ»^٤، و الآية: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»^٥، و الآية: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»^٦، و الآية: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»^٧، و الآية: «إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»^٨، و الآية:
«وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^٩، و الآية: «وَ يَدْرَعُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^{١٠}، و الآية: «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^{١١}.

و أمثال هذه الآيات الجمّة في القرآن الكريم . و من الطبيعيّ فإنّ
الكلام يدور فعلاً حول هذه الآيات و أمثالها التي يُمثّل أمير المؤمنين
عليه السلام فيها الإنسان المتميّز و النموذج المرموق في هذه الصفات
والأفعال . و أمّا الآيات التي تخصّه بالذات و هو شأن نزولها ، فلا تدخل في
كلامنا هذا فعلاً .

و على هذا الأساس نفسه جمع أمير المؤمنين الأضداد . فقد جمع
الشجاعة و ثبات القدم و الجهاد الراسخ في سبيل الله إلى جانب رقة القلب

- | | |
|---|---|
| ١- الآية ٢٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم . | ٧- الآية ٧ ، من السورة ٩٨ : البينة . |
| ٢- الآية ٢ ، من السورة ١٠ ، يونس . | ٨- الآية ٨ ، من السورة ١٠٣ : العنكبوت . |
| ٣- الآية ٤ ، من السورة ١٠ ، يونس . | ٩- الآية ٣٥ ، من السورة ٢٢ : الحج . |
| ٤- الآية ٢٨ ، من السورة ١٣ : الرعد . | ١٠- الآية ٥٤ ، من السورة ٢٨ : القصص . |
| ٥- الآية ١١ ، من السورة ٥٨ : المجادلة . | ١١- الآية ١٦ ، من السورة ٣٢ : السجدة . |
| ٦- الآية ٨ ، من السورة ٤١ : فصلت . | |

و صفاء الباطن و التوجه إلى الله و الزهد و العبادة الكثيرة . و هذا موضوع خاض فيه العلماء و الأكابر .

اجتماع الصفات المتضادة في أمير المؤمنين عليه السلام

يقول الشريف الرضيّ جامع «نهج البلاغة» في مقدّمته على النهج :
و من عجائبه عليه السلام التي انفرد بها الواردة في الزهد و المواعظ و التذكير و الزواجر إذا تأمله المتأمل ، و فكرّ فيه المتفكّر ، و خلع من قلبه أنّه كلام مثله ممّن عظم قدره ، و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشكّ في أنّه من كلام من لاحظ له إلا في الزهادة ، و لاشغل له بغير العبادة . و قد قيع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل ، لا يسمع إلا حسّه ، و لا يرى إلا نفسه ، و لا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه ، فيقطع الرقاب و يجدلّ الأبطال ، و يعود به ينطف دماً ، و يقطر مهبّاً ، و هو مع تلك الحال زاهد الزهّاد ، و بدل الأبدال . و هذه من فضائل العجيبة و خصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد ، و ألف بين الأشتات . و كثيراً ما أذكّر الإخوان بها و أستخرج عجبهم منها . و هي موضوع للعبرة بها و الفكرة فيها .^١

يقول الشارح المعتزليّ ابن أبي الحديد الشافعيّ في ذيل كلام الشريف الرضيّ : كان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة .

فمنها : ما ذكره الرضيّ ، و هو موضع التعجب ؛ لأنّ الغالب على أهل الشجاعة و الإقدام و المغامرة و الجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية ، و فتكٍ و تمردٍ و جبريّة ، و الغالب على أهل الزهد و رفض الدنيا و هجران ملاذّها

١- «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ذات الأربعة مجلّدات ج ١ ، ص ١٦ .

والاشتغال بمواعظ الناس و تخويفهم المعاد ، و تذكيرهم الموت ، أن يكونوا ذوي رقة و لين ، و ضعف قلب ، و حور طبع وهاتان حالتان متضادتان ، و قد اجتمعتا له عليه السلام .

و منها : أنّ الغالب على ذوي الشجاعة و إراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سَبِيعِيَّة ، و طباع حوشيَّة و غرائز وحشيَّة وكذلك الغالب على أهل الزهادة و أرباب الوعظ و التذكير و رفض الدنيا أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق و عبوس في الوجوه ، و نفار من الناس و استيحاش و أمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس و أعظمهم إراقة للدم في سبيل الله ، و أزهد الناس و أبعدهم عن ملاذ الدنيا ، و أكثرهم وعظاً و تذكيراً بأيام الله و مثلاته ، و أشدهم اجتهاداً في العبادة و آداباً لنفسه في المعاملة . و كان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً ، و أسفرهم وجهاً ، و أكثرهم بشراً و أوفاهم هشاشة ، و أبعدهم عن انقباض موحش ، أو خُلق نافر ، أو تجهّم مباعد . أو غِلظة و فظاظة تنفر معهما نفس ، أو يتكدر معهما قلب . حتّى عيب «بالدُعابة» ، و لمّا لم يجدوا فيه مغمزاً و لا مطعنّاً تعلقوا بها و اعتمدوا في التنفير عنه عليها (و قالوا لأنّ عليّاً يمزح فهو لا يصلح للخلافة) . و تلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارٌها و هذا من عجائبه و غرائبه اللطيفة .

و منها : أنّ الغالب على شرفاء الناس و من هو من أهل بيت السيادة و الرئاسة أن يكون ذا كبرٍ و تيهٍ و تعظّم و تغطرُس ، خصوصاً إذا أُضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى . و كان أمير المؤمنين عليه السلام في مُصاص الشرف و معدنه و معانيه ، لا يشكّ عدوٌ و لا صديق أنّه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمّه صلوات الله عليه . و قد حصل له هذا الشرف - غير شرف النسب - من جهات كثيرة متعدّدة ، قد ذكرنا بعضها و مع ذلك فكان أشدّ الناس تواضعاً لصغير و كبير ، و أليّنهم عريكة

و أسمحهم خلقاً، و أبعدهم عن الكبر، و أعرفهم بحق. و كانت حاله هذه في كلا زمانيه: زمان خلافته، و الزمان الذي قبله. لم تغيّره الإمرة و لا أحالت خُلُقَه الرئاسة. و كيف تحيل الرئاسة خُلُقَه و مازال رئيساً! و كيف تغيّر الإمرة سجيّته و ما برح أميراً! لم يستفد بالخلافة شرفاً، و لا اكتسب بها زينة، بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ بن الجوزي في تاريخه المعروف «بالممنتظم»: تذاكروا عند أحمد بن حنبل خلافة أبي بكر و عليّ، و قالوا فأكثرُوا، فرفع رأسه إليهم، و قال: قد أكثرتم! إِنَّ عَلِيّاً لَمْ تَزِنُهُ الْخِلَافَةَ؛ وَلَكِنَّهُ زَانَهَا. و هذا الكلام دالٌّ بفحواه و مفهومه على أنّ غيره ازدان بالخلافة و تمّت نقيصته، و أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافة؛ و كانت الخلافة ذات نقص في نفسها فتّم نقصها بولايته إيّاها.

و منها: أنّ الغالب على ذوي الشجاعة و قتل الأنفس و إراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصّبح، بعيدي العفو، لأنّ أكبادهم و اغرة، و قلوبهم ملتهبة، و القوّة الغضبّيّة عندهم شديدة، و قد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدم و ما عنده من الحلم و الصّبح، و مغالبة هوى النفس، و قد رأيت فعله يوم الجمل^١. و لقد أحسن «مهيار» في قوله:

١- عفا أمير المؤمنين عليه السلام عن عائشة، و مع الحقد الشديد الذي كانت تكته في قلبها ضدّه، فقد عفا عنها، قال في «نهج البلاغة»: و أمّا فلانة [عائشة] فأدركها رأي النساء. إلخ [«نهج البلاغة»] ج ١، ص ٢٨٣ تعليق الشيخ محمّد عبده] و عفا عن مروان بن الحكم و صفع عنه أيضاً، مع أنّه ذكر غدره و مكره عند عفوّه عنه، «نهج البلاغة» ج ١، ص ١٢٣.

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحَى بَعْغِيهِمْ عَلَيْهِمْ وَ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدَلَ
عَاذُوا بِعَفْوِ مَا جِدَّ مُعَوِّدٍ لِلْعَفْوِ حَمَالٍ لَهُمْ عَلَى الْعِلَلِ
فَنَجَّتِ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ مَنْ نَجَا وَ أَكَلَ الْحَدِيدُ مِنْهُمْ مَنْ أَكَلَ
أَطَّتْ بِهِمْ أَرْحَامُهُمْ فَلَمْ يُطِعْ ثَائِرَةُ الْغَيْظِ وَ لَمْ يَشْفِ الْغُلْلُ

و منها : أنا ما رأينا شجاعاً كان جواداً و سخيّاً قطّ . كان عبد الله بن الزبير شجاعاً و كان أبخل الناس . و كان الزبير أبوه شجاعاً و كان شحيحاً قال له عمر : لو وُئيتُها ، لظلت تُلاطِمُ الناس في البطحاء على الصاع و المُدّ . و أراد عليّ عليه السلام أن يحجُر علي ابن اخيه عبد الله بن جعفر لتبذيره المال ، فاحتال لنفسه ، فشارك الزبير في أمواله و تجاراته ؛ فقال عليه السلام : أما إته قد لاذ بملاذ ، و لم يحجُر عليه . و كان طلحة شجاعاً و كان شحيحاً ، أمسك عن الإنفاق حتى خُلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر . و كان عبد الملك شجاعاً و كان شحيحاً ، يُضرب به المثل في الشحّ ، و سُمِّي : رَشْحُ الحُجْر ، لبخله . و قد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة و السخاء ، كيف هي ! و هذا من أعاجيبه أيضاً عليه السلام .^١ و قد ذكر هذا المعنى الأديب الشاعر الشيخ صفّي الدّين عبد العزيز بن سيرايا الحلّي ، فقال :

جُمِعَتْ فِي صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ فَلِهَذَا عَزَّتْ لَكَ الْأَنْدَادُ
زَاهِدٌ حَاكِمٌ حَلِيمٌ شُجَاعٌ فَاتِكَ نَاسِكٌ فَقِيرٌ جَوَادُ
شِيمٌ مَا جُمِعْنَ فِي بَشْرٍ قَطُّ وَ لَا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ
خُلِقَ يُخْجَلُ النَّسِيمَ مِنَ اللَّطْفِ وَ بَأْسٌ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ
ظَهَرَتْ مِنْكَ فِي الْوَرَى مَكْرُمَاتُ فَأَقَرَّتْ بِفَضْلِكَ الْحَسَادُ

١- «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج ١ ، ص ١٦ و ص ١٧ .

إِنْ يُكْذِبُ بِهَا عَدَاكَ فَقَدْ كَذَّبَ مِنْ قَبْلُ قَوْمٌ لُوطٍ وَ عَادُ
جَلَّ مَعْنَاكَ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الشُّعْرُ وَ يُحْصِي صِفَاتِكَ النُّقَادُ^١

يقول القاضي نور الله الشوشتري بعد نقل هذه الأبيات : إن جمع أمير المؤمنين عليه السلام للصفات المتضادة هو على أساس التشبه بالله تعالى في سعة الكمال وإحاطته التي هي غير منحصرة بطرف من الأضداد وغير مقيدة بجانب من الجوانب ، بل هي مقتضى تلاحم الأطراف وجامعية الأضداد ، لأن المقرر عند أهل التحقيق هو أن كمال كل صفة يتضح عندما تكون تلك الصفة متلاحمة و متشابكة مع ضدها ، كما يلاحظ ذلك في عقد فرائد الأسماء الحسنى : « وَهُوَ الْأَوَّلُ وَ الْأَخِرُّ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ » .
إذن ، يمكن وصف الله تعالى و المتشبهين به في صفات الكمال بالصفات المتقابلة لاعتبارات متنوعة ، و لا ينحصر في واحدة منها .

و نعم ما قال الشاعر الفارسي في هذا المجال :

اسير نفس نشد يك نفس علي ولي

نشد اسير كه بر مؤمنين امير آمد

اسير نفس كجا و امير خلق كجا

كه سر بلند نشد آن كه سر به زير آمد

علي نخورد غذائي كه سير برخيزد

مگر كه سير خورد آن كه نيم سير آمد

علي ستم نكشيد و حقير ظلم نشد

نشد حقير كه دشمن برش حقير آمد

١- «مجالس المؤمنين» ص ٤٩٣ ؛ و «سفينة البحار» ج ١ ، ص ٤٣٧ . كان الشاعر الشيخ صفي الدين تلميذاً للمحقق الحلبي ، و صحبه الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي الشافعي ، الذي كان من أكابر المحدثين ، و من المتأخرين .

على نداد به باطل حقى ز بيت المال
که بر حساب و کتاب خدا خبير آمد
درو د باد بر آن ملتى که رهبر وى
چنين بلند مقام و چنين خطير آمد^۱

۱- ترجمة الأبيات : «لم يَعِشْ وَلِيَّ اللَّهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أُسِيرَ نَفْسَهُ لِحِظَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَهُوَ مَتَحَرَّرَ مِنْهَا لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

أين أسير النفس من أمير الخلق ؛ وكيف يصبح الذليل عزيزاً .
لم يقم عليٌّ من طعامه متخماً ؛ فالمنهوم فقط هو الذى يقوم من طعامه متخماً
ولم يتحمّل ظلماً ولم يستسلم في مقابل الظلم ؛ لم يستسلم فصغر العدو في عينيه .
و لم يعط من بيت المال حقاً لأحد ؛ باطلاً لأنه كان يعرف كتاب الله والحساب .
طوبى لأمة يكون لقائدها ؛ مثل هذا المقام الرفيع و المكانة السامية .

الدَّرْسُ السَّابِعُ عَشْرَ

نَقْدُ نَظَرِيَّةِ «عِصْمَةِ اجْتِمَاعِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١

يقول الزمخشري^٢ : إنَّ المراد من أُولَى الْأَمْرِ إمَّا علماء الأُمَّة أو
الخلفاء الراشدون وَ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، أو أمراء السرايا . و سار السيوطي^٣
على نفس النهج فأورد روايات كثيرة في تفسيره . و كذلك فعل عدد كبير
من مفسري العامة فحدوا حدو صاحبيهما ، و استدلوا أولاً بقصّة نزاع
عمّار بن ياسر مع خالد بن الوليد ، و هي كما يلي :

بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم خالد بن الوليد في سرية
و فيها عمّار بن ياسر . فسار الجيش و أقبل القوم الذين يريدون ، فلمّا بلغوا

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- «تفسير الكشاف» ج ١ ، ص ٥٢٤ .

٣- «الدرّ المشور» ج ٢ ، ص ١٧٦ .

قريباً منهم عرسوا و لأن الوقت كان ليلاً فقد صمّم خالد أن يهاجمهم في اليوم التالي . و أتاهم ذوالعينتين فأخبرهم ، فأصبحوا قد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد يسأل عن عمّار بن ياسر ، فأتاه ، فقال : يا أبا اليَقْظَان ! إنّي قد أسلمتُ و شهدتُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهَ و أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ، و أن قومي لَمَّا سمعوا بكم هربوا ، و إنّي بقيتُ ، فهل إسلامي نافعي غداً؟ و إلا هربتُ . فقال عمّار : بل هو ينفَعك فأقيم . فأقام ، فلَمَّا أصبحوا ، أغار خالد ، فلم يجد أحداً غير الرجل ، فأخذه ، و أخذ ماله ، فبلغ عمّاراً الخبر ، فأتى خالداً فقال : خَلَّ عن الرجل فإنّه قد أسلم و هو في أمان مِنّي . قال خالد : و فيم أنت تجير؟ فاستبّأ و ترافعا إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فأجاز أمان عمّار ، و نهاه أن يجير الثانية على أمير . فاستبّأ عند النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فقال خالد : يا رسول الله أتترك هذا العبد الأجدع يشتمني؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ : يا خالد ! لا تسبّ عمّاراً ، فإنّه من سبّ عمّاراً ، سبّه الله . و من أبغض عمّاراً ، أبغضه الله . و من لعن عمّاراً ، لعنه الله . فغضب عمّار ، فقام ، فتبعه خالد حتى أخذ بثوبه ، فاعتذر إليه ، فرضي ، فأنزل الله الآية .^١

و يروون عن أبي هريرة قوله : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ : مَنْ أَطَاعَنِي ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَ مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي ، فَقَدْ أَطَاعَنِي وَ مَنْ عَصَانِي ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ . وَ مَنْ عَصَى أَمِيرِي ، فَقَدْ عَصَانِي .^٢ و ينقلون روايات أخرى أيضاً تفيد أنّ المقصود من أولي الأمر هم الحكّام حتى لو

١- «الدرّ المشثور» ج ٢ ، ص ١٧٦ .

٢- نفس المصدر السابق .

كانوا جائرين ظالمين .

نقول : كما استدللنا سابقاً ، فإنّ القصد من أُولي الأمر هم المعصومون بلا ريب . وإلاّ فإنّ لازمه هو اجتماع الأمر والنهي في موضوع واحد و من جهة واحدة . وهذا خلاف منطق العقل ، ويستلزم المحال . وقد اعترف الفخر الرازيّ بهذا المعنى في تفسيره .

و أمّا رواية خالد و عمار ، فمما لاشكّ فيه هو أنّ النبيّ لم ينه عمّاراً عن أمان أحد ، فهذه الجملة دخيلة على الرواية . ولعلّ الراوي أضافها متعمداً ليتمكنه تطبيق آية أُولي الأمر على أمراء السرايا بوصفهم يحملون هذا العنوان ، فتجب حينئذٍ إطاعتهم . إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يحترم أمان كلّ مسلم ، حتّى لو كان أدنى المسلمين ، فكيف بعمّار خصوصاً و قد كان الأمان لإنسان أسلم و أقرّ بالشهادتين .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي خُطْبَةٍ خَطَبَهَا فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ، وَ بَلَغَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغَهُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ ، وَ رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ . ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ . وَ النَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَ اللَّزُومُ لِجَمَاعَتِهِمْ . فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ . الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ .^١

١- «تتمّة المنتهى» ص ٢١٢ ؛ و «تاريخ يعقوبي» طبع بيروت سنة ١٣٧٩ ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ؛ و «مجالس المفيد» طبع النجف ، ص ١٠١ ؛ و «روضه بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ١٧ ، ص ٣٩ ؛ و «تحف العقول» ص ٤٢ ؛ و رواه في تفسير «في ظلال القرآن» ص ١٢٥ عن الجزء الأول عن الإمام أحمد بن حنبل ، و في «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ،

و مضافاً إلى ذلك ، فإنّ الإمعان في نصّ القصّة المنقولة عن خالد و عمّار تبين لنا أنّ خالداً كان عاصياً مذنباً . و لو كان عمّار كذلك ، فلم أثنى عليه رسول الله كلّ ذلك الثناء ، و اعتذر منه خالد؟! و أمّا الحديث القائل : مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، لو سلّمنا به فرضاً ، فما هي علاقته بآية أولي الأمر ؟ فالحديث في محله ، و أولو الأمر أناس معصومون جُعِلَتْ طاعتهم في حكم طاعة رسول الله مطلقاً .

مغالطة الفخر الرازيّ في تفسير أولي الأمر

و قد التفت الفخر الرازيّ إلى عصمة أولي الأمر ، بيد أنّه لم يُرد أن يطبقها على الأئمة المعصومين ، فوقع في خلط و اعوجاج . إنّه يقول : «في الآية دلالة على لزوم متابعة أولي الأمر مطلقاً . و لتأكّنا عاجزين عن معرفة المعصوم ، و لأنّ المعصوم لا وجود له أو كُنّا عاجزين عن الوصول إليه . فالمراد من أولي الأمر - إذن - هم أهل الحلّ و العقد من كبار الأئمة العارفون بالمسائل و الأحكام . و لو اجتمعوا على مسألة ، فالنتيجة المتخذة عن اجتماعهم منزّهة من كلّ عيب قطعاً ، و معصومة بعصمة إلهية . و لذلك يمكن أن نستنتج من الآية الأصول الأربعة العامة في الفقه . ففي «أَطِيعُوا اللَّهَ» ، دلالة على حجّية الكتاب ، «و أَطِيعُوا الرَّسُولَ» ، دلالة على حجّية السنّة ، «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ، دلالة على حجّية الإجماع ، و فَإِنَّ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ، دلالة على حجّية القياس ؛ لأنّ المراد من التنازع في مسألة ما ، هو عدم فهمه من الكتاب ، و السنّة و الإجماع ، هذه المصادر التي وجبت متابعتها بنحو مطلق ، و في مثل هذه الحالة فإنّ معنى الردّ إلى الكتاب و السنّة هو نفسه الحصول على حكم تلك

ج ١٥ ، ص ٨٥ عن «إكمال الدين» للصدوق .

المسألة من أشباهها ونظائرها .

وهذا هو القياس . ولما حصرت الآية الحجية في هذه المواضيع الأربعة ، فإن الاستحسان الذي قال به أبو حنيفة ، والاستصواب الذي قال به مالك ، إذا كان معناه القياس ، فخير على خير . وإن لم يكونا كذلك فالآية أظهرت بطلانهما» . ولقد استدل الفخر الرازي على هذه المطالب قائلاً .

«لو قال أحد بأن معنى أولي الأمر إذا كان إجماع أهل الحلّ والعقد فسيكون مخالفاً للإجماع المركب من العلماء في تفسير الآية ، إذ إن التفاسير التي وردت لأولي الأمر لاتعدو أربعة أقسام :

الأول : الخلفاء الراشدون .

الثاني : أمراء السرايا .

الثالث : العلماء .

الرابع : وهو ما نقل عن الروافض أن المراد بهم هم الأئمة المعصومون .

ونقول في الجواب : إن المراد من أهل الحلّ والعقد هم علماء الأمة العارفون بالمسائل ، العالمون بالصلاح والفساد . ولما كان اجتماعهم واجتماعهم موجبا لتنزّه رأيهم عن الخطأ وفقاً لقول رسول الله : لا تجتمع أمّتي على خطأ . فهو ينطبق على القول الثالث ، بل هو نفسه و تصحيحه بنحو أكمل»^١ .

بيد أننا عندما نلقي نظرة خاطفة على قوله يتضح لنا جيّداً أنه قد غلط في استدلاله واستنتاجه مثل هذه النتيجة .

أولاً : نقول متسائلين إذا افترضنا أن كلّ فرد من أهل الحلّ والعقد

١- «تفسير الفخر الرازي» ج ١٠ ، ملخص ما جاء في صفحته ١٤٣ إلى ١٤٨ .

ليسوا معصومين ، و يحتمل صدور الخطأ عن كلّ واحد منهم ، فكيف تكون نتيجة الآراء مصنونة و معصومة من الخطأ؟ و بكلمة بديلة ، مع فرض تعرّض كلّ واحد منهم للخطأ ، فسوف تكون نتيجة الآراء معرّضة للخطأ أيضاً ، بيدّ أنّه من المؤكّد طبعاً أنّ الاجتماع أقرب إلى الصواب و أبعد عن الخطأ غير أنّ هذا القرب و البعد لا يبذلان احتمال صدور الخطأ إلى عصمة .

و في مثل هذه الحالة فإنّ العصمة الحاصلة سوف تتحقّق بواسطة أحد الأسباب الثلاثة . الأوّل : أنّ جميع أهل الحلّ و العقد معصومون ، و نتيجة هذا الاجتماع هي العصمة لامحالة ، لكن من البديهيّ هو أنّه منذ وفاة رسول الله إلى يومنا هذا ، لم يمرّ بهذه الأمة أنّ أهل الحلّ و العقد كانوا كلّهم معصومين . و الفخر الرازيّ نفسه يعترف بهذه الحقيقة ثمّ من المحال أن يعلّق الله طاعته على أمر محال و هو أوّل الأمر الذين ليس لهم واقع خارجي .

الثاني : أنّ أهل الحلّ و العقد و إن كان آحادهم غير معصومين و يجوز عليهم الخطأ . لكنّ مجموعهم يوجب العصمة . و هذه الصفة قائمة بهيئتهم الاجتماعية لا بذوات أفرادهم ؛ و هذا خطأ أيضاً ، لأنّ العصمة في الرأى من الصفات الواقعيّة و الحقيقيّة . و اتّصاف الهيئة الاجتماعية ليس أكثر من أن يكون عنواناً اعتبارياً ، و من المحال عقلاً أن تقوم صفة حقيقيّة على موضوع اعتباري . فالصفات الحقيقيّة في الخارج تحتاج إلى موضوعات واقعيّة ، ولكن الاعتباريات تابعة لرأى المعترين ، فربّما حملوا الأمر الاعتباري على الصفات الحقيقيّة ، و ربّما حملوه على الصفات الإعتباريّة . و لمّا ظهر أنّ اتّصاف الهيئة الاجتماعية أمر اعتباري ليس له مصداق خارجي ، فإنّ الواقعيّة و مصداقها الخارجي هي ذوات الأفراد . و لو ترتبت صفة العصمة على الذوات . فسوف تلزم المحالّة الأولى نفسها ؛ إذ

كيف يتمخض جواز الخطأ على آحاد الأفراد عن العصمة من الخطأ؟ و لو ترتبت هذه الصفة على الهيئة الاجتماعية، للزم أن يكون الأمر الاعتباري مقوماً للأمر الحقيقي الخارجي. وهذا محال عقلياً أيضاً.

الثالث: أن نقول بأن صفة العصمة ليست و صفماً للأفراد بما هم أفراد و لا قائمة بوصف الهيئة الاجتماعية. بل إن سئة الله اقتضت أن يصون النتيجة الحاصلة من آراء أهل الحلّ و العقد من الخطأ كما أن الخبر المتواتر كذلك.

و يجوز الخطأ في خبر كل واحد من آحاد المخبرين، أما الخبر المتواتر فقد سقط هذا الجواز، و لذا يكون الخبر المتواتر معصوماً من الخطأ و يفيد اليقين.

و بعبارة أوضح فكما يحتمل الخطأ في الخبر الواحد، و أن هذا الاحتمال يضعف تدريجاً بسبب كثرة الأخبار إلى أن يبلغ درجة لو يزداد معها عدد المخبرين، و يزول ذلك الاحتمال تماماً، و ينقطع ذاك الاحتمال بالخبر المفيد لليقين، كذلك كل رأي من آراء أهل الحلّ و العقد، فإنه يحتمل الخطأ و الفساد. و كلما ازداد عددهم، ضعف ذلك الاحتمال إلى أن يزول تماماً، و يتصف كل رأي بصفة العصمة. و على هذا الأساس قال رسول الله: **لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى خَطَأٍ.**

و هذا الاحتمال ليس في محله أيضاً، و ذلك:

أولاً: أن هذه الرواية، على فرض صحّة سندها، تنفي اجتماع الأمة على خطأ. و لا تنفي اجتماع أهل الحلّ و العقد منهم على خطأ. و في أي آية أو رواية أو كتاب لغة فسّرت الأمة بأهل الحلّ و العقد؟

ثانياً: أنها تنفي اجتماع الأمة على خطأ، و لا تنفي الخطأ عن اجتماع الأمة، و بينهما فرق كبير. ففي الحالة الأولى تفيد الرواية: أن الأمة كلّها

لا تتفق على أمر، وهو خطأ.

وهذا الرأي هو عقيدة الشيعة من أنّ الإمام المعصوم موجود في كافة العصور ولا تخلو الأرض من حجة أبداً. لذلك، لو اجتمعت الأمة كلها على أمر، فلا بد أن يكون بينهم شخص معصوم. وهذا ما ينسجم مع نظرية المعصوم، وهو الحجة.

و أما على الفرض الثاني فإنّ المعنى هو أنّه لا خطأ في اجتماعهم. وهذا غير صحيح؛ لأنّ الخطأ يمكن أن يكون موجوداً في اجتماعهم بنحو الموجبة الجزئية، ولما كان المعصوم موجوداً بينهم، فالقول الصائب موجود بينهم أيضاً. فيوافق هذا مادّ من الآيات والروايات على أن الأرض لا تخلو من دين الحقّ، و من المعصوم، كما في قوله تعالى: «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَوًّا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ»^١.

وكذلك قوله: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»^٢.

وقوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٣.

وقوله: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ»^٤.

ولا يختصّ هذا المعنى بأمة سيّد المرسلين، فالروايات المتواترة عن الفريقين تدلّ على افتراق اليهود إلى إحدى و سبعين فرقة كلّهم هالك إلا فرقة واحدة. وكذلك افتراق النصارى إلى اثنين و سبعين فرقة كلّهم هالك إلا واحدة. و أيضاً افتراق المسلمين إلى ثلاث و سبعين فرقة كلّهم هالك إلا واحدة. بصورة عامّة، فالرواية «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى خَطَأٍ» على فرض

١- الآية ٨٩، من السورة ٦: الأنعام. ٣- الآية ٩، من السورة ١٥: الحجر.

٢- الآية ٢٨، من السورة ٤٣: الزخرف. ٤- الآيتان ٤١ و ٤٢، من السورة ٤١: فصلت.

صحّة سندها، فهي خارجة عن محلّ الكلام . و محلّ الكلام هو عصمة أهل الحلّ و العقد . و لو كان ذلك هو المراد بقوله : «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ، فما هو العامل الموجب لعصمتهم ؟

و بالتأمل ، يمكن القول إنّه لا يخرج عن ثلاث جهات :

الأولى : أن نقول بأنّ سنّة الله اقتضت أن يصون رأي أهل الحلّ و العقد من الخطأ ، مع أنّ رأي كلّ واحد منهم يحتمل الفساد و الخطأ . فالواضح أنّ الكلام لا ينتهي عند هذا الحد ؛ إذ إنّ وجود أهل الحلّ و العقد لا يختصّ بالممالك الإسلاميّة ، بل هو قائم في كلّ منطقة ، بل في كلّ مدينة و قرية منذ عهد سحيق . حيث كان الكبار و الوجهاء في كلّ منطقة يتبادلون الآراء في شتى الأمور و الشؤون و كم لوحظ أنّهم بعد تبادل الآراء قد أخطأوا و وقعوا في خطر . و التاريخ و التجربة شاهدان صادقان على ذلك . إذن ، كيف يمكن أن نعتبر عصمة أهل الحلّ و العقد سنّة إلهيّة ثابتة لا تتغيّر ؟

الثانية : أن نقول بأنّ سنّة الله تختصّ بالمسلمين في هذا المجال فالله منّ على الأمة المرحومة بأن جعل آراء أهل الحلّ و العقد فيها مصونة عن الخطأ و الفساد .

و هذا غير صحيح أيضاً ، لأنّ هذه الميزة لو كانت للمسلمين دون غيرهم من سائر الأمم ، فهي معجزة باهرة و أمر خارق للعادة . و هذا موضوع يخالف النظام التكوينيّ ، إذ نتصوّر أنّ الله يخلق نتيجة معصومة من آراء معرّضة للخطأ ، لتكون تلك النتيجة مفيدة دائماً لحفظ الأمة المرحومة و بقاء حياتها ، و لتقع هذه النتيجة من الحياة العمليّة للأمة موقع القرآن الذي يمثّل حياتها العلميّة . و لو كانت كذلك ، لذكرها رسول الله في عداد المعجزات ، و عيّن حدودها و ثغورها ، و هل بيّن اجتماع أهل الحلّ

والعقد الذي يتمخض عن مثل تلك النتيجة ، و هي العصمة ، فبأي صورة و كيفية تتحقق فيها ، و من هم أعضاء الحلّ و العقد ؟ و ما هو النصاب الذي يتحقق فيه اجتماعهم ؟ و ما هي الظروف التي ينعقد فيها الاجتماع ؟ و هل تكفي هيئة واحدة منهم لجميع الأمة الإسلامية ؟ أو لابد لكلّ منطقة هيئتها الخاصة بها ؟ فلو كان ذلك الموضوع وارداً ، لتحدى به القرآن ، و بين رسول الله خصوصياته لأصحابه ، و تناقلته كتب التاريخ و الأخبار . و لكان من اللازم أيضاً أن يهتمّ به الصحابة و يسألوا رسول الله عن خصوصياته . و قد سألوا عن أشياء لا قدر لها بالنسبة إلى هذه المهمة ، كالجبال و الحيز ، و الأهلة ، و الأنفال ، و ماذا ينفقون . و قد صرح القرآن بذلك من خلال الآيات التالية : **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ١ ، وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ٢ ، وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ٣ ، وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ٤ ، وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ٥ ، وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ٦ .**

فلم يرد أيّ كلام حول هذا الموضوع المهمّ الملازم لحياة المسلمين العملية مادامت السماوات و الأرض . و المقطوع لا يمكن القول بأنهم سألوا عن خصوصيات مجلس أهل الحلّ و العقد إلا أنّ الجواب ككثير من الأشياء التي كان لآراء المخالفين تأثير عليها فحذفوها ، و لذلك لم تصلنا لاسيما وأنّ هذا المجلس لم يخالف رأي أغلبية الأمة التي كانت تنزع إلى هذا الاتجاه ، و لم يكن في شروطه ما يخالف آرائهم ، بل إنّ أرباب الحلّ و العقد كانوا من الأشخاص المنادين بمثل هذا التجمّع .

١- الآية ١٨٩ ، من السورة ٢ : البقرة . ٤- الآية ٢٢٢ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ١ ، من السورة ٨ : الأنفال . ٥- الآية ١٠٥ ، من السورة ٢٠ : طه .

٣- الآيتان ٢١٥ و ٢١٩ ، من السورة ٢ : البقرة . ٦- الآية ٨٣ ، من السورة ١٨ : الكهف .

مضافاً إلى ذلك ، كان من الواجب أن يحتجّ به أصحاب السقيفة و المنتحلون لخلافة رسول الله في مناقشاتهم عندما استعرت نار الفتن و الأحداث بعد ارتحال الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ ؛ و يشيّدوا زعمهم على أساس هذه المعجزة العجيبة . فما بالهم أعرضوا من هذا الدليل القويّ ؟!

إلى الحدّ الذي لم ترد عنه إشارة واحدة في أيّ من كتب الحديث أو التاريخ ، لا من الصحابة و لا من التابعين إلى أن جاء الفخر الرازيّ بعد تصرّم القرون المتمادية فوقف على هذه المعجزة الخارقة للعادة ، و اطّلع هو و من تبعه على هذا الأمر العظيم من أجل تصحيح مجلس أبي بكر ، و عمر ، و أبي عُبيدة في السقيفة .

حقاً لولم نعتبر ذلك المجلس نفسه ، و ما تمخّض عنه من رأي معصوم معجزةً ، فمن المقطوع به أن اطّلع الفخر الرازيّ على ذلك الأمر المكتوم بعد ستمائة سنة مرّت على حدوثه سيكون معجزةً لامحالة ! مضافاً إلى ذلك فهو نفسه يعترف بأنّ المفسّرين و أهل الحديث في جميع العالم الإسلاميّ يحصرون أُولي الأمر في أربعة هم : الخلفاء الراشدون ، و أمراء السرايا ، و العلماء ، و الأئمة المعصومون . و أنّ مجلس أهل الحلّ و العقد الذي هو مخالف لإجماع المركّب ينبغي أن يكون أحد الأربعة بتصحيح آراء العلماء . و هكذا يُمنع من خرق الإجماع . مع أنّ السيوطيّ ذكر في «الدرّ المنثور»^١ روايات عن بعض المفسّرين تتعلّق بحجّية قول العلماء في تفسير آية أُولي الأمر . و لا يُشَمّ من تلك الروايات أيّ رائحة عن مجلس أهل الحلّ و العقد . فهو يذكر أنّ مطلق قول أُولي الأمر حجّة تجب إطاعته

١- «الدرّ المنثور» ج ٢ ، ص ١٧٦ و ١٧٧ .

حسب الآية . لذلك فإنّ الفخر الرازي نفسه ، باعترافه أنّ التفسير منحصر بأولئك الأربعة ، أبطل ماذهب إليه من أنّ المراد هو أهل الحلّ و العقد ، و ضيّع جهوده في تفسير هذه الآية .

الثالثة : أنّ نقول بأنّ العصمة المنبثقة عن أهل الحلّ و العقد لاتعود إلى عامل خارق للعادة بل تعود إلى التربية الصالحة التي تلقّتها الأمة من تعاليم القرآن ، و سنّة الرسول الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم . و لمّا جعل القرآن و النبيّ العظيم صرح التربية و التعليم على أساس دقيق و منهج صحيح ، فالأشخاص المترّبون في هذه المدرسة لا يصدر عن اجتماعهم إلاّ الرأي المنزّه عن الخطأ دائماً .

و هذا الاحتمال ناقص و خاطئ أيضاً ، لأنّه لمّا كان إدراك جميع الأفراد هو مجموع إدراكات البعض مع البعض الآخر . و أنّ احتمال الخطأ - بالفرض - سارٍ في كلّ منها ، فكيف يتسنّى لهذه التربية الصالحة أن تجعل النتيجة الخارقة المتولّدة معصومة منزّهة ؟ و منذ عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، أيّ مجلس أقيم ، و قدّم فيه أهل الحلّ و العقد نتيجة معصومة ؟ و من أين ظهرت تلك المشاجرات و المنازعات القائمة بين المسلمين منذ ارتحال نبيّهم حتى اليوم ، و كذلك تلك الأباطيل و المفاصد التي جرّت الأمة إلى حضيض الظلمات ؟ و ما أكثر تلك الاجتماعات التي ظهرت و كان مثالها البارز اجتماع السقيفة ، و كذلك المجالس التي عقدت على ذلك الأساس حتّى اليوم ، و الجلسات التي أقامها أهل الحلّ و العقد ، و تبادلوا فيها الآراء ، و خرجوا منها بنتائج متنوّعة ، بيد أنّها في نفس الوقت لم تقدّم خطوة واحدة نحو صلاح الأمة ، بل و بذرت بذرة الضلال و الشقاء في قلوب أبنائها بديلة عن بذرة السعادة و الهداية .

جرائم الحكّام المنصوبين من قبل أهل الحلّ و العقد

إنّ النبوة الطاهرة المقدّسة ، و التعاليم القرآنية المرتكزة على الحياة المعنوية ، و الحياة على أساس التوحيد و تعاليم الفطرة ، و الصدق ، و النزاهة و الإيثار ، و الإنفاق ، و العاطفة ، و صلة الرحم ، و مساعدة الناس و الأخذ بأيديهم نحو طريق الصلاح . كلّ ذلك قد استبدل في برهة قصيرة بامبراطورية كبيرة أسسها معاوية في الشام ، قائمة على العدوان و الظلم الفظيع ضدّ الناس المساكين و الأمة المغلوب على أمرها . و حلّت الدكتاتورية محلّ الحرية الإسلامية .

و انقلبت القوانين الإلهية تماماً ، و عطّلت حدود الله ، و ماتت الأحكام و القوانين القرآنية ، و سلبت أموال الناس ، و أريقت دماء الأبرياء ، و اندرست نواميس الإسلام . و أيّ جرائم ارتكبت في العصرين : الأمويّ و العباسيّ و ما تلاهما من عصور ؟ و حقّاً لو أطلقنا على حكومات تلك العصور اسم الحكومات الشيطانية الجائرة لكان أليق بها من أن نسمّيها حكومات إلهية ، و كلّ تلك الأحداث انطلقت من اجتماع أهل الحلّ و العقد الذي أنتج هذه المفاسد فحتمل تلك الأثقال الغريبة على اكتاف الناس المساكين .

كانت حكومة معاوية بأمر عمر و إقراره ، إذ نصبه والياً على الشام و سلّطه على أعراض المسلمين و أموالهم . و أطلق له العنان ليتصرّف في بيت المال كيف يشاء . و أقرّ حكومته الإمبراطورية المبهرجة ، و ثبتته فيها . لقد كانت حكومة معاوية ، و يزيد ، و مروان ، و عبد الملك بأمر عمر و عمر هو الذي فوّض أمر الخلافة إلى الشورى عندما عين ستّة من أهل الحلّ و العقد فيها . ثمّ سلّط عثمان على المسلمين و أعراضهم و أموالهم و دمائهم وفقاً لرأى عبد الرحمن بن عوف . فضضع أركان الإسلام . و تصرّف

في بيت المال حسب مشتبهاته ، و قسمه على أقربائه ، و ثبت معاوية في الشام ، و أصدر حكمه إلى و اليه في مصر يأمره بقتل محمد بن أبي بكر . فقتل أخيراً بتلك الصورة البشعة على أثر تحرك المصريين ؛ وكانت كل تلك المفاسد التي خلفها ذلك الوضع .

واستلم عمر مقاليد الأمور بناءً على رأي أبي بكر الذي كان يرى نفسه فقط أهل الحلّ و العقد . و قام عمر بإحراق بيت الصديقة الطاهرة بضعة الرسول و زوجة أمير المؤمنين ، و اعتدى على مقام الولاية الكبرى عندما جرّ صاحبها بالسيف المسلول إلى المسجد حاسر الرأس . طالباً منه البيعة ، منكرًا إمام جماعة المسلمين كافة فضائله نحو الوصية ، والخلافة والوزارة ، والولاية ، وحتّى الأخوة .^١ و كانت جميع تلك المفاسد ناتجة عن يوم السقيفة الذي وضع لبنة الاعوجاج ، و غير مجرى الإسلام عن رافده الطبيعي ، و شوّه وجه التاريخ .

و سلّب أبو بكر فداً من الزهراء ، و قتل مالك بن نويرة بواسطة خالد ابن الوليد . و امتنع عن تنفيذ حدّ الزنا ، و القتل ، و الافتراء ، و نهب أموال المسلمين بحق خالد ، و برأ ساحته من كلّ تلك الجرائم .^٢ ففتح لحكام الجور ، و قضاة السوء ، و أمراء الفسق و الفجور باب التبرئة من الذنب منذ ذلك الحين .

والشيء العجيب هو أنّ بعض الجهّال ذكروا في كتبهم أنّ حكومة أبي بكر و عمر كانت حكومة دينية بسيطة و إلهية . و ما خوفنا إلا من هذه الحكومة البسيطة التي وقفت متمردة في مقابل أصل الإسلام و الولاية

١- «الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٣ .

٢- «تاريخ أبي الفداء» ج ١ ، ص ١٥٨ ؛ و «تاريخ الخميس» ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

الكبرى ، و غيرت مجرى حياة المسلمين من خلال التأويل و التظاهر بالتفكير في مصلحة المسلمين . فينبغي أن نخشى هذه الحكومة أكثر من أن نخشى حكومة عثمان و معاوية اللذين تهتكا علناً . و بتهتكهما و صلافتهما كشفا للعالم جرائمهما ، و أبانا له عن انحرافاتهما . بيد أن عمر و أبا بكر فعلا مثل ما فعل عثمان و معاوية ولكن بأسلوب آخر هو التذرع بالمحافظة على الإسلام و التحمس لجماعة المسلمين ، و عدم تفرقتهم . حقاً إنتهما وضعاً أساس الظلم . فقد سلب أبو بكر فذكاً من الزهراء بالبكاء ، و قدّم نفسه للمسلمين بوصفه مُصلحاً حقيقياً محايداً تهّمه مصلحتهم . و عندما ارتقى المنبر ذات يوم ليخطب فيهم على أنه خليفتهم ، أعلن عدم رغبته في التصرف ببيت المال لمصلحته الخاصة و مصلحة أهله إلى أن أجبره عمر على ذلك .^١ فالخوف الخوف من هذه الأساليب الماكرة البرّاقة ، و هذه المرونة الخادعة . و ينبغي أن نخاف منها أكثر من أن نخاف من صلافة عثمان و معاوية و وقاحتها .

أجل ، فإنّ جميع تلك الأمراض الفاسدة التي اتّسع فتقها على مرور الأيام ناتجة من ذلك الرأي المعصوم الذي ترشّح عن السقيفة كما يعتقد الفخر الرازيّ بذلك ؛ فَمَرَّحَبًا بِهَذِهِ السَّقِيْفَةِ وَ مَرَّحَبًا بِهَذِهِ الْعِصْمَةِ !!
و لو كانت تلك البيعة متمخّضة عن العصمة ، فَلِمَ قال أبو بكر :
لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِكُمْ أَقِيلُونِي؟^٢ و قد صرّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى أيضاً في خطبته الشقشقية إذ قال : فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ .^٣ و يُسْتَشْفَى مِنْ كَلَامِهِ أَنْ

١- «الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٧ .

٢- «الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٤ .

٣- «نهج البلاغة» فيض الإسلام ، ص ٤٧ .

أبا بكر كان يقول: اتركوني وأقيلوني واختاروا علياً خليفة مكاني. وإلا فلو كان مجرد طلب الإقالة دون التصريح بطلب نصب عليّ، فليس فيه ما يستدعي العجب. والشاهد على المعنى قوله: أَقِيلُونِي وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَعَلِيٌّ فِيكُمْ. وهذا اللفظ مقيداً بعبارة «وَعَلِيٌّ فِيكُمْ» موجود في «التجريد»، ولم يعترض عليه شارحه القوشجّي مع أنّه من أهل السنّة، بل اعترف بصدوره عن أبي بكر.

و جاء في كتاب «إحقاق الحق» للقاضي نور الله الشوشتريّ أنّ الفضل بن روزبهان، عند جوابه المتعلّق بأعمال أبي بكر الشنيعة و حرق دار الزهراء عليها السلام يصرّح بأنّ كلام أبي بكر: أَقِيلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَعَلِيٌّ فِيكُمْ موجود في صحاح أهل السنّة. واعترف ابن حجر في «الصواعق المحرقة»، ص ٣٠، بصدور كلام الإقالة عن أبي بكر.^١

وكذلك لو كان رأي السقيفة مفضياً إلى العصمة، فلم اعتبر عمر بيعة أبي بكر فلتة؟!^٢

فقد نقل الطبريّ عن عمر قوله: ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، (يعني عمر نفسه) بَايَعْتُ فُلَانًا. فَلَا يَغْرَنَ امْرَأً أَنْ يَقُولَ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فُلْتَةً، فَقَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ وَقَى

١- «شيعه در اسلام» سبط، ج ٢، ص ١٠٣. (فارسي) وقد حكم بصحة هذه الرواية الفخر الرازي في «نهاية العقول» و أبو عبيدة القاسم بن سلام، و الطبريّ، و البلاذري في «أنساب الأشراف» و السمعاني في كتاب «الفضائل» و محبّ الدين الطبريّ في «الرياض النضرة» و في «تاريخ الخميس». و أوردها الجزري في «الكامل» بهذه العبارة: قد وليت عليكم و لسْتُ بخيركم.

٢- يقول صاحب «الغدير» في ج ٥، ص ٣٧٠ إنّ عمر قال: إنّها كانت فلتةً و قَى الله شرّها (مصادر كثيرة في الهامش) أو قال: فُلْتَةٌ كَفُلْتَاتِ الجاهليّة (تاريخ الطبريّ) فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (الصواعق المحرقة).

شَرَّهَا ١.

ويقول ابن هشام: ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ: وَاللَّهِ، لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَلَا يَغُرَّنَّ امْرَأًا أَنْ يَقُولَ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلتَةً فَتَمَّتْ، وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا ٢.

و نقل البلاذري في «أنساب الأشراف» ج ١ ص ٥٨١ بأن عمر ذكر هذا الموضوع مصرحاً بذكر الاسم. قال: إِنَّ عُمَرَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْنَا عَلِيًّا... و قال في ص ٥٨٣ - ٥٨٤: «إِنَّ فُلَانًا وَ فُلَانًا قَالَا: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْنَا عَلِيًّا... فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ فَإِنَّهُمَا أَهْلٌ أَنْ يُقْتَلَا، وَ إِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَيَكْفَنَّ الرَّجَالُ أَوْ لَيُقْطَعَنَّ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ وَ لَيَصَلَّبَنَّ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ... الحديث» ٣.

و جاء في «السيرة الحلبية» ج ٣ ص ٤٠١ مانصه: قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةٌ، أَي: مِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ وَ لَا مَشُورَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ رَدًّا عَلَى مَنْ بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا مَاتَ عُمَرُ، بَايَعْتُ فُلَانًا. وَاللَّهِ، مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ بِمَشُورَةٍ. الْبَيْعَةُ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى ذَلِكَ، فَغَضِبَ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ آخِرِ حَجَّةِ حَجَّهَا الْمَدِينَةَ، قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ: وَاللَّهِ، لَوْ

١- «تاريخ الطبري» ج ٢، ص ٤٤٦.

٢- «سيرة ابن هشام» ج ٤، ص ١٠٧٣. و في «غاية المرام» ص ٥٤٩، الحديث ١٥ ينقل عن محمد بن علي الحكيم الترمذي، و هو من أكابر علماء العامة، إن أبا بكر قال: أَقْبَلُونِي فَإِنَّ عَلِيًّا أَحَقُّ مِنِّي بِهَذَا الْأَمْرِ. و في رواية: كَانَ الصَّدِيقُ يَقُولُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَقْبَلُونِي فَإِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِ مِنْكُمْ وَ عَلِيٌّ فِيكُمْ.

٣- «عبد الله بن سبأ» طبعة مصر، ص ٩٢. و يذكر صاحب «غاية المرام» ص ٥٦٠ فيما يتعلق بقول عمر: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةٌ، ثمانية أحاديث عن طريق العامة، و حديثين عن طريق الخاصة في ص ٥٦١.

مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا ، إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ ؛ فَلَا يَغْتَرَّنَ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً ، فَنَعَمْ كَانَتْ كَذَلِكَ إِلَّا أَنْ اللَّهَ قَدْ وَفَى شَرَّهَا .

إذا كانت نتيجة آراء أهل الحلّ و العقد هي العصمة ، فإن أبا بكر لم يشكّل مجلساً لتعيين عمر ؛ بل عيّنه برأيه الشخصي دون مشورة ، و مع أنّ أبا بكر لم يكن معصوماً ، فكيف يتكفل انتخاب عمر وحده بمنح أبي بكر صفة العصمة ؟ و قد اعترض طلحة على أبي بكر و خطأه في ذلك الانتخاب . و من المؤكّد أنّ طلحة كان من أهل الحلّ و العقد ، فبم يتميّز رأي أبي بكر على رأي طلحة ، حتّى يفضي إلى العصمة ، بينما لا يفضي رأي طلحة إليها ؟!

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَصَّ عَلَى عُمَرَ ، قَامَ إِلَيْهِ طَلْحَةُ فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ وَ قَدْ وُلِّيتَ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَرَكْتَ لِي عَيْنَيْكَ وَ دَلَكْتَ لِي عَقَبَيْكَ وَ جَسْتَنِي تَكْفُئِي عَنْ رَأْيِي وَ تَصُدُّنِي عَنْ دِينِي ؟ أَقُولُ لَهُ إِذَا سَأَلَنِي : خَلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ .^١

و إذا كانت نتيجة الآراء هي العصمة ، فلماذا ذمّ المسلمون قاطبة عبد الرحمن بن عوف الذي بايع عثمان و اختاره خليفة ؟ و هو نفسه انتقد عثمان لما افتضح أمره و انكشفت جرائمه .

و قصارى القول فإنّ جميع الأعراض الفاسدة التي ظهرت في العالم الإسلاميّ كانت بسبب العنجهيّة و العناد الذي كان عليه البعض ممّن جاء الفخر الرازيّ في العصور التالية ، فعطّى على جرائمه بتبريرات و تأويلات واهية ، و برّر حكومتهم الضالّة المتسلّطة على رقاب المسلمين من خلال

١- «الغدير» ج ٧ ، ص ١٥٢ .

الروايات الموضوعية والتفسير بالرأي .

احتجاج مالك بن نويرة ضدّ أبي بكر

لقد آزر أبو بكر خالد بن الوليد علناً في قضية قتل مالك بن نويرة . ولم يمتنع عن القصاص منه وإقامة الحدّ عليه لما ارتكبه من زنى محصن مع زوجة مالك فحسب ، بل وسمّاه سيف الله بقوله : **لَا أَشِيْمُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ** ^١ .

كان مالك بن نويرة أحد الباذلين المضحين لمقام الولاية . و أنّ حبه لأمير المؤمنين و تشييعه له هو الذي أدى إلى قتله و أفضى إلى العفو عن خالد . وكان ذلك الرجل التميمي اليربوعي من كبار الشجعان و الفرسان و الشعراء ، و له منزلة مرموقة بين بني يربوع في الجاهلية و الإسلام .

و حدث المرحوم القاضي نور الله الشوشري ^٢ . و كذلك المحدث القميّ عن كتاب «الفضائل» ^٣ للشيخ الفقيه الثقة الجليل شاذان بن جبرئيل القميّ الذي يروي عنه السيّد فخار بن معد الموسويّ أستاذ المحقق الحلّيّ حدثاً عن البراء بن عازب أنّه قال : كنّا جالسين عند رسول الله و معنا بعض الصحابة إذ دخل رؤساء بني تميم و بينهم مالك بن نويرة ، فقال مالك : **يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي الْإِيمَانَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَ تُصَلِّيَ الْخَمْسَ ، وَ تَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَ تُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ وَ تَحُجَّ الْبَيْتَ ، وَ تُؤَالِيَ وَصِيِّي هَذَا - وَ أَشَارَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ لَا تَسْفِكَ دِمَاءً ، وَ لَا تَسْرِقَ ، وَ لَا تَخُونُ ، وَ لَا تَأْكُلَ**

١- «الغدیر» ج ٧ ، ص ١٥٨ نقلاً عن «تاریخ أبي الفداء» .

٢- «مجالس المؤمنین» ص ١١٤ .

٣- «سفينة البحار» ج ٢ ، ص ٥٥١ .

مَالَ الْيَتِيمِ ، وَلَا تَشْرَبَ الْخَمْرَ ، وَتُؤْمِنَ بِشِرَائِعِي ، وَتُحَلِّلَ حَلَائِي وَتُحَرِّمَ حَرَامِي ، وَتُعْطِيَ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِكَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَعَدَّ عَلَيْهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ . فَسَرَّ مَالِكٌ كَثِيراً ، وَذَهَبَ مَتَبَخْتِراً وَهُوَ يَقُولُ : «تَعَلَّمْتُ الْإِيمَانَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ» . وَلَمَّا غَابَ عَنْ أَنْظَارِ النَّبِيِّ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ .

فاستأذن أبو بكر وعمر رسول الله ، و تبعاه ، و بشراه بما قال النبي بحقه ، و طلبا منه أن يستغفر لهما ؛ لأتته من أهل الجنة . فقال مالك : «لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمَا» تتركان رسول الله و هو صاحب الشفاعة و تطلبان مني أن أستغفر لكما . فخرجلا من موقفهما و قفلا راجعين . فلما رآهما النبي قال : «فِي الْحَقِّ مَبْغَضَةٌ»^١ .

و لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ، جَاءَ مَالِكٌ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ بَحِثَ عَنْ وَصِيَّةِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، حَيْثُ ارْتَقَى أَبُو بَكْرٍ الْمِنْبَرَ لِيَخْطُبَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ مَالِكٌ ، وَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَلَسْتَ أَخَا تَيْمٍ ؟ قَالَ : بَلَى . فَقَالَ مَالِكٌ : أَيْنَ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَنِي النَّبِيُّ بِوَلَايَتِهِ ؟ فَقَالَ النَّاسُ : أَيُّهَا الْأَعْرَابِيُّ ! مَا أَكْثَرَ مَا يَحْدُثُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ الْأَمْرَ . فَقَالَ مَالِكٌ : لَا وَاللَّهِ ! مَا حَدَّثَ شَيْءٌ وَلَكِنَّكُمْ خَنْتُمْ فِي تَنْفِيزِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَصْعَدَكَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ جَالِسٌ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْحَاضِرِينَ : أَخْرَجُوا هَذَا الْأَعْرَابِيَّ الْبَوَّالَ عَلَى عَقَبِيَّتِهِ . فَضْرَبَهُ فُقُذُ

١- لم يرد حديث أبي بكر وعمر مع مالك ، و حديث النبي معهما في «سفينة البحار» ، بل وردا في «مجالس المؤمنين» فقط ، لكنَّ المرحوم المحدث القمِّي قال بعد أن نقل قضية مالك : انتهى ملخصاً .

و خالد بن الوليد و أخرجاه من المسجد . فركب مالك ناقته و صَلَّى على رسول الله ، ثم أنشد قائلاً :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَا قَوْمِ مَا شَأْنِي وَ شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ
إِذَا مَاتَ بَكْرٌ قَامَ بَكْرٌ مَقَامَهُ فَتِلْكَ وَ بَيْتِ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة و زناه بزوجته

أجل ، لما فوّض رسول الله لمالك جمع الصدقات و الزكوات من قومه ، و جاء مالك إلى المدينة بعد وفاة الرسول الكريم ، و رأى الخلافة على خلاف ما نصّ عليه رسول الله و أوصاه به ، رجع إلى قومه و امتنع عن إرسال الصدقات إلى أبي بكر ، و قسّمها على قومه ، ثم أنشد قائلاً :

فَقُلْتُ خُذُوا أَمْوَالَكُمْ غَيْرَ خَائِفٍ وَ لَا نَاطِرٍ فِيمَا يَجِيءُ مِنَ الْعَدِ
فِي أَنْ قَامَ بِالذِّينِ الْمُحَوَّقِ قَائِمٌ أَطَعْنَا وَ قَلْنَا الذِّينَ دِينُ مُحَمَّدٍ^١

فأشخص أبو بكر خالد بن الوليد إلى البطح^٢ في جيش من المسلمين و أوصاه إذا ما التقوا أشخاصاً أن يؤذّنوا و يقيموا الصلاة . فإذا أذّن أولئك معهم و أقاموا الصلاة ، فلا يقاتلوهم ؛ بل يطلبوا منهم الزكاة فقط فإذا امتنعوا قام المسلمون بسلب أموالهم لا غير ، و لاحق لهم أن يقتلوا أحداً . أمّا إذا امتنعوا عن الأذان و الصلاة ، يقتلوهم سواء بالحرق أو بغيره^٣ .
و كان في جيش خالد بن الوليد أبوقتادة^٤ ، و اسمه الحارث ، و كذلك

١- «عبدالله بن سبأ» ص ١٠٤ نقلاً عن «الإصابة» .

٢- البطح : ماء في ديار أسد بن خزيمه .

٣- «تاريخ الطبري» ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

٤- أبوقتادة الأنصاريّ الخزرجيّ شهد أحداً و ما بعدها و شهد مع عليّ في خلافته مشاهده كلها . و توفي في الكوفة في خلافة عليّ سنة ٣٨ أو سنة ٤٠ و هو ابن سبعين سنة فكبر عليّ في صلته عليه ستاً . نقلاً عن هامش ص ١٠٥ من كتاب «عبدالله بن سبأ» .

عبدالله بن عمر. ^١ و لَمَّا قدم خالد البطح ، لم يجد عليه أحداً ، فغاروا على بني يربوع - قوم مالك - تحت الليل وراعوهم و أخذوا يراقبوهم فأخذ مالك وقومه أسلحتهم . فقال خالد و من معه : لِمَ أخذتم أسلحتكم ؟ فقالوا : و أنتم لِمَ أخذتم أسلحتكم ؟ قالوا : إنا المسلمون و لانعتدي على أحد . فقالوا : ونحن المسلمون أيضاً .

قالوا : فإن كنتم كما تقولون ، فضعوا أسلحتكم . نحن نصلي و أنتم تصلون ، فوضعوا أسلحتهم و صلّوا . ^٢ فأمر خالد بأسرهم و قتلهم . فقال مالك : علام تقتلوننا ؟ نحن على الإسلام . فقال أبو قتادة ، و عبد الله بن عمر : يا خالد ، ارفع يدك عن قتل مالك ، فهو مسلم و قد رأينا صلّاته . ^٣ فقال خالد : لا بدّ أن يقتل . فاشتدّ الكلام بين أبو قتادة و خالد . و عاهد قتادة الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً . ^٤

فقال مالك : يا خالد ! ابعثنا إلى ابي بكر ، فيكون هو الذي يحكم فينا . فقال له خالد : لا أمهلك أبداً . ^٥ و كان خالد قد وقعت عينه على زوجة مالك و اسمها أمّ تميم . و كانت في غاية الحسن و الجمال . فتعلّق قلب خالد بها ، و همّ بها ، و صمّم على الزنى فجعل من قتل مالك مقدّمة لتحقيق غرضه . فقال مالك لزوجته بمحضر خالد : أنت التي قتلتيني ، و لا بدّ أن أقتل لصون عرضي و غيرتي . ^٦ و أخيراً فما قاله مالك . لم يؤثر في خالد . فقال مالك :

١- «الغدير» ج ٧ ، ص ١٥٨ .

٢- «تاريخ الطبري» ج ٢ ، ص ٥٠٣ .

٣- «تاريخ أبي الفداء» ص ١٥٨ .

٤- «تاريخ الطبري» ج ٢ ، ص ٥٠٣ و «اليعقوبي» ج ٢ ، ص ١٣٢ .

٥- «تاريخ أبي الفداء» ص ١٥٨ .

٦- «تاريخ أبي الفداء» ص ١٥٨ .

يا خالد! أنت جئت لأمر آخر، وجرمنا أقلّ منه كثيراً^١.
فأمر خالد ضرار بن الأزور أن يضرب عنق مالك بالسيف، فقتله صبراً^٢. و زنى خالد بزوجة مالك، أمّ تميم في نفس تلك الليلة^٣. ثمّ أمر أن تجعل رؤوس المقتولين أثنافي لقدورهم، فأوقدوا النار. وكان مالك عظيم الهامة، كثير الشعر. وقبل أن ينضج رأسه بالنار، نضجت القدور بسبب احتراق الشعر الكثير، و جهز الطعام^٤. ثمّ أمر خالد أن تحمل نساء القوم سبايا إلى المدينة، و تسلب أموالهم جميعها.

عزّت هذه الحادثة على المسلمين. فجاء عمر إلى أبي بكر، فقال له: إنّ خالداً قتل قوماً مسلمين، و قتل مالكا، و زنى بزوجته المسلمة، و سلب أموالهم، فأرى أن تقتصّ منه و تجري عليه حدّ الزنا.

ولمّا دخل خالد مسجد المدينة، كان عليه قباء له، عليه صدأ الحديد، و هو معتجر بعمامة له قد غرز فيها أسهماً. فلمّا دخل المسجد، قام إليه عمر، فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها، ثمّ قال: قتلت امرأً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته؟! والله لأرجمّك! فلم يكلمه خالد ظانناً أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر، حتى دخل على أبي بكر. و أخبره الخبر. وكان ممّا قاله له: إنّي قتلتُ مالكا: لأتته كان يقول فيك كذا و كذا. وكان خالد يعتذر في قتله أنّه (مالك) قَالَ لِخَالِدٍ وَ هُوَ يُرَاجِعُهُ: مَا إِخَالُ صَاحِبِكُمْ إِلَّا وَقَدْ كَانَ يَقُولُ كَذَا وَ كَذَا. فقال خالد في جوابه: أَوْ مَا تَعُدُّهُ لَكَ صَاحِبًا؟ و لذا

١- نفس المصدر السابق.

٢- «تاريخ أبي الفداء» و فيه قتل ضرار. ولكن «قتل صبراً» بناءً على ما ذكره الأميني في «الغدير» ج ٧، ص ١٦٥ نقلاً عن «الإصابة» ج ٣، ص ٣٥٧ و «مرآة الجنان» ج ١، ص ٦٢.

٣- «تاريخ يعقوبي» ج ٢، ص ١٣١.

٤- «تاريخ الطبري» ج ٢، ص ٥٠٣.

أمرت بضرب عنقه .

دفاع أبي بكر عن جرائم خالد

عذر أبو بكر خالداً، فخرج خالد منه مسروراً. ^١ فجاء عمر إلى أبي بكر، وهو يقول له: زنى خالد، فأقم عليه الحدّ. فقال أبو بكر: لَا لِأَنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ. فقال عمر: قتل إمرأً مسلماً، فاقتله. فقال أبو بكر: لَا، إِنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ. ثم قال: يا عمر! مَا كُنْتُ لِأَعْمِدَ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. ^٢ فقال عمر: يا أبا بكر! اعزله عن مقامه. فأجابه أبو بكر: لَا أَعْمِدُ سَيْفًا شَهَرَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ. ^٣

فجاء أخو مالك، وهو متم بن نويرة، إلى المدينة يطلب ثأر أخيه من أبي بكر، ويريد منه الأسرى. فأمر أبو بكر بإرجاع الأسرى. وألح عمر على أبي بكر أن يعزل خالداً قائلاً له: إِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا. ^٤ فأجابه أبو بكر: لَا، يَا عُمَرُ! لَمْ أَكُنْ لِأَشِيمَ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ. ^٥

وجاء عبد الله بن عمر، وأبوقتادة عند أبي بكر وشهدا أنّ خالداً قتل مسلماً، وقالوا له: كان مالك بن نويرة على الإسلام، وقد رأينا أذانه وإقامته. فأعرض أبو بكر عن أبوقتادة و غضب عليه. ^٦

أجل، لقد قتل خالد مالكا بحجة الارتداد عن الإسلام. وكلما قال له

١- «تاريخ الطبري» ج ٢، ص ٥٠٤.

٢- «تاريخ أبي الفداء» ج ١، ص ١٥٨.

٣- «تاريخ الخميس» ج ٢، ص ٢٣٣.

٤ و ٥- تاريخ الطبري ج ٢، ص ٥٠٣. وقال أيضاً: قال (أبو بكر): هيه يا عمر! تأوّل فأخطأ، فارع لسانك عن خالد. و ينقل فريد وجدي في (دائرة المعارف) ٢ : ٣٠٦ هذه العبارة نفسها عن أبي بكر.

٦- «تاريخ الطبري» ج ٢، ص ٥٠٢.

ذلك الرجل المؤمن : أنا مسلم . قال خالد : لا بدّ أن تقتل . و لمّا قال له : هذه التي قتلتني . قال خالد : بل قتلتك رُجوعك عن الإسلام .^١ و لم يرتدّ ذلك الصحابيّ النقيّ السيرة عن الإسلام ؛ و إنّما قال كلاماً في أبي بكر فقط و نقله خالد إلى أبي بكر . و هذا الكلام هو الذي أهدر دم ذلك الرجل البريّ ، و برّاً خالد من فعلته . و عذر أبو بكر خالداً ، فلم يقتله ، و لم يُقم عليه حدّ الزنى و لاحدّ الافتراء . و لم يعزّره لسلبه أموال المسلمين ، بل نجد العكس . نجد أنّه لم يوبّخه على تلك الأعمال الشنيعة ، بل دافع عنه . و سمّاه سيف الله و هو الفاسق الفاجر الفاتك صراحة ، و هكذا أطلق عليه سيف الله الذي سلّاه لقتل الكافرين (أمثال مالك بن نويرة ، و اعتدى به على أعراض النساء المسلمات ، و نهب أموال المسلمين) .

و لو فرضنا أنّ مالكاً امتنع عن أداء الزكاة ، فهل حكمه القتل ؟ لقد امتنع مالك عن دفع الزكاة لأبي بكر ، و لم يمتنع عن دفعها لوصيّ رسول الله ، كما جاء ذلك في شعره ، كان مالك مسلماً ، فهل يجوز قتل المسلم ؟ و لو فرضنا أنّ مالكاً قد ارتدّ عن الإسلام بارتداده عن أبي بكر فهل يجوز الزنى بزوجه ، و هي امرأة مسلمة ؟ و هل هذا يقبل التأويل ؟ أليس في وجود عبد الله بن عمر ، و أبي قتادة ، الذين شهدا الحادثة عن قرب حجة قاطعة لرفع التأويل ؟ لماذا غضب أبو بكر من كلامهما ، و أعرض عنهما ؟ لأنّ خالداً كان معيناً له في حكومته .

أمر أبو بكر أن تُدفع دية مالك من بيت المال ، و أن يُرجع الأسرى . فهل نعتبر تلك الأحداث عملاً صحيحاً قام به أبو بكر ، و نحملها على الاجتهاد ؛ لأنّه تأوّل بوصفه معصوماً و من أولي الأمر ؟ حقّاً إنّ الفخر

١- «الغدِير» ج ٧ ، ص ١٦٠ نقلاً عن «تاريخ ابن شحنة» هامش (الكامل) ج ٧ ،

الرازي و أمثاله ، مَمَّنْ أولوا و برّروا تلك السيئات الصريحة ، هم شركاء في تلك الجرائم التي ارتكبتها أبو بكر و أعوانه . و هل كان سيف خالد هو واقعاً سيف الله الذي سلّه الله على الناس ؟

يقول عمر : «إِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا» فهل هذا الهتك و الاعتداء من فعل الله ، و خالد سيف الله ؟ يقول عمر : لا . أما أبو بكر فيقول : نعم ، هو سيف الله . قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... وَ لَا تَقْرُبُوا أَلْفَوْاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطْنٌ وَ لَا تَقْتُلُوا أَلنَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَ صَّكُّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ... وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَ صَّكُّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١ .

١- الأيتان ١٥١ و ١٥٣ ، من السورة ٦ : الأنعام .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ عَشَرَ

الأفضل هو الإنسان البالغ مقام التوحيد،

والقرآن يهدي الناس بواسطة الإمام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الْاَدِينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١
الإمام ، هو الشخص المرّبي للإنسان إلى أعلى درجة من الكمال ،
و آخر نقطة من ذروة التوحيد و مقام المعرفة . و لما كان خلق الإنسان
بالحق ، فينبغي أن يكون الإمام مرشداً و موصلاً للإنسان إلى تلك الذروة
بالحق ، و إلا فلا خلاق^٢ لشخص آخر هو دون مقام المعرفة و التوحيد
و درجات القرب .

خلق العالم و الإنسان على أساس الحقّ

يتّضح هذا المعنى من خلال قوله تعالى : مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢-٢ - امكانية

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ١. وقوله تعالى : وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ٢.

يستفاد من الآيتين أنّ الموجودات لم تخلق عبثاً ، وإنما خلقت من
وحي الحكمة و الهدف الصحيح . و تشترك كل الموجودات في هذه
الحقيقة بلا استثناء . خلق هذا الكون كله بالحق ، و جميع الكائنات الحية
والميتة صغيرها و كبيرها تخضع لهذا النظام العام و لا تتعدى هذه الحقيقة .
و على هذا المنوال خلق الله سبحانه و تعالى الإنسان الذي يعتبر جزءاً من
هذه الكائنات الحق و جبله على فطرة التوحيد .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣.

«توجه بقلبك و باطنك إلى هذا الدين الحنيف القائم على أساس
الحق ، و المنزه من الانحرافات ، هذا الدين المرتكز على الفطرة التي
فطر الله الإنسان عليها و لا تغيير و لا تبديل في خلقه الله و فطرته . هذا هو
الدين القيم ولكن أكثر الناس عجزوا عن إدراك هذه الحقيقة».

يتمتع الإنسان بالإدراك و المعرفة . و له غرائز و صفات استمدت
وجودها كلها من مبدأ التوحيد . و قد خلقه الله على أساس المعرفة و إدراك
الحقيقة ، و جعل قلبه مستودعاً لأسراره .

فالتوحيد يعني الإيمان بأنّ الله واحد في جميع مراحل الوجود ، من
الذات و الصفات و مظاهر عالم الوجود . و صرح الوجود كله قائم بذاته

١- الآية ٣ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- الآية ٢٧ ، من السورة ٣٨ : ص .

٣- الآية ٣٠ ، من السورة ٣٠ : الروم .

و متعلّق به . فلا حكومة في السماوات و الأرض و ما بينهما إلاّ حكومته ، ولا قدرة إلاّ قدرته ، و لا علم و حياة إلاّ علمه و حياته . فلا تشدّد ذرّة صغيرة واحدة عن هذا النظم و لم يكن لأحد الاستقلال و الفناء الذاتي إلاّ للذات الأحديّة بلا شائبة .

لذلك لمّا كان العالم كلّ مرتكزاً على هذا المبدأ ، خلق الله الإنسان لإدراك هذا المعنى و بلوغ المعرفة و استيعاب هذه الحقيقة . و جعل في قلبه قوّة جاذبة نحو ساحة القدس . و هذه هي الحقيقة و النظرة التي جُبل الإنسان عليها .

من جهة أخرى ، نحن نعلم أنّ الله أحسن كلّ شيء خلقه ، فلا نقص و لا عيب في كيان الوجود : **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**^١ . و مضافاً إلى أنّه أحسن كلّ شيء خلقه و أتّمّه . فقد هدى كلّ موجود نحو كماله . **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**^٢ . فمِن بين الكائنات الخارجة عن الإحصاء التي أوجدت تامّة الخلق ، و أودعت فيها الحركة نحو الهدف في طريق الكمال هو الإنسان الذي خلق على فطرة الله و توحيده . ينبغي أن يُوجّه نحو الكمال و تظهر استعدادته و مواهبه الكامنة . فإذا تحرّك على الصراط المستقيم ، فإنّه سيبلغ الهدف ؛ و إلاّ فسيكابد من الاضطراب و بلبلة الأفكار . مثله في ذلك مثل الطائر الذي لاعش له حتى إذا كانت الأعاصير والأمطار و الرعد و البرق و الصواعق ، تراه حائراً يرتطم بهذا الجانب أو ذاك إلى أن يموت ، و يرحل عن الدنيا ناقصاً بدون ظهور استعداداته و فعلية

١- الآية ٧ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٢- الآيتان ٤٩ و ٥٠ ، من السورة ٢٠ : طه .

غرائزه الإلهية المودعة فيه .

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا *
وَيَصْلَى سَعِيرًا ١ .

«فمن تحرك في الصراط المستقيم و عمل الصالحات ، فإنه يُعطى
كتاب عمله بيمينه و يكون حسابه يسيراً و يصبح مسروراً في الجنة مع
أهله . و أما من تحرك في الطريق الأعوج المنحرف و انشغل بالآثام
والتعديتات ، فإنه يعطى كتابه وراء ظهره (تعالى له) و يدعو بالهلاك على
نفسه ، و سيصلى نار جهنم.»

في ضوء ذلك ، فإن الإنسان ينبغي أن يخضع لتربية صائبة و تعليم
صحيح حتى يبلغ كماله . و لذلك فإن الله قد أنزل القرآن بالحق أيضاً . اللَّهُ
الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ ٢ .
و كذلك أرسل رسوله بالحق و دين الحق : هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ ٣ .

قوانين الدين على أساس التوحيد

إن الدين الذي جاء به رسول الله هو دين الحق الذي لا يأتيه العبث
و الباطل ، و يستطيع أن يلبي حاجات الناس جميعهم ؛ و يقودهم نحو
الكمال الحقيقي و التوحيد المطلوب .

١- الآيات ٦ إلى ١٢ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

٢- الآية ١٧ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٣- الآية ٩ ، من السورة ٦١ : الصف .

الإسلام دين التوحيد؛ إذ إن كافة تعاليمه الأخلاقية و العلمية نزلت على أساس التوحيد؛ و مُفَنَّها و مشرَّعها هو التوحيد. و وضعت هذه القوانين للوصول إلى التوحيد. و ما نزلت إلا على أساس التوحيد، و إذا ما طُبِّقت، فهي تسمو على أساسه أيضاً.

و كما نرى في القوانين السائدة على العالم، و كذلك في الأنظمة الداخلية للأحزاب أن تعاليم خاصة قد انبثقت من روح الحزب و تمثل أفكاره و آراءه. و لو تمسك بها أحد، فإنها ستقوده نحو آراء أصحابها و أفكارهم، فكذلك الإسلام فإنه انبثق من التوحيد. و التوحيد يعنى أن يرى أن جميع الكائنات بلا استثناء تخضع لعلم الله و قدرته و تأثيره، و أن الله هو المؤثر في جميع عوالم الوجود. و أنه لقيمة و لا استقلال لأي أحد في وجوده حيال الخالق جل شأنه. فقد وضعت التعاليم الإسلامية كلها على أساس هذا المبدأ. و الإنسان المسلم المتمسك بهذا القانون يرى نفسه مرتبطاً بعالم الوجود كله، غير مُعرضٍ عن أحد. يألف الجميع و يأنس معهم، و يلتدُّ في معاشرته للناس، و صلة الأرحام، و عيادة المرضى و قضاء حوائج الناس، و الإلفة مع الفقراء و المساكين، و بذل الأموال من أجل راحة الآخرين و رفاهم، و تعاليم أخرى كثيرة تربط الإنسان مع الكائنات جميعها، و كأنه قطعة واحدة لا تقبل الانفصال عن مصنع الوجود. و لذلك نرى أن قوانين الجهاد منسجمة مع العبادات تماماً. فالجهاد هو من أجل هداية الناس الضالين. لا من أجل التوسع في الأرض و سلب الأموال و نهب الممتلكات، و لهذا فلا نجد اعتداءً أو انتهاكاً في تعاليم الإسلام الجهادية و لا نلمس قسوة أو إجحافاً فيها.

و كذلك تخلو تلك التعاليم من مفردات شاذة، نحو قتل الأطفال و النساء، و حرق الأشجار و الأمتعة، و منع الماء، و فرض العطش، و قذف

الأدوية السامة ، لأنّ الهدف من الجهاد هو هداية الناس ، لا استئصالهم من أجل تحقيق المصالح الشخصية . و الجهاد عبادة تنسجم تماماً مع جميع العبادات حتى مع الصلاة التي تلزمها الطهارة و الخلوص . و قد يتصوّر أحد أن الزواج و الطلاق أمران متعارضان كما يبدو في الظاهر . بيد أنّهما منسجمان و لا تعارض بينهما .

و جاءت التعاليم الخاصة في القرآن المجيد مرتكزة على أساس أخلاقيّ صحيح إلى الحدّ الذي لو طبّقت فيه ، فإنّها ستستوعب عالماً من الرحمة و العطف . تقول تلك التعاليم بأنّ الإنسان إمّا يمسك زوجته بإحسان ، أو يسرّحها بإحسان ، و لا يضيق عليها ، و لا يأخذ ممّا آتاها من الصداق ديناراً واحداً حتى لو كان مقداره قنطاراً من الذهب و المجوهرات و لا يضغط عليها ، و لا يؤذيها حتى تتنازل عن مهرها ؛ فالطلاق - في الحقيقة - مقارن للرحمة و المودّة . و يلاحظ في تعاليم هذا الدين المبين أنّه قد تمّ التأكيد على كلّ عمل يقرب الإنسان إلى اللطف ، و المودّة ، و الرحمة و الشفقة ، و الحسن ، كما ورد النهي عن كلّ ما من شأنه التفرقة و الانفصال و القلق ، و الانعزال عن الناس . و عدّ تتبّع عثرات الناس و الطعن فيهم ذنباً و كذلك سوء الظنّ ، و النبز بالألقاب التي لا يرضى بها أصحابها ، و السبّ و الشتم ، و التجسّس على الناس .

يقول الإسلام بأنّ المسلم ينبغي له أن يحسن الظنّ بالآخرين ، و ينظر إلى إخوانه المؤمنين نظرة طيبة ، و ينظر إلى جميع الكائنات من حيث ارتباطها بالله و مبدأ التوحيد نظرة طيبة أيضاً . يجب على المسلم أن لا يلهث وراء حبّ الظهور ، و لا يميل إلى الإستكبار ، و ينفق أمواله على الفقراء و المساكين ، و لا يكنز الذهب و الفضة ، و لا يملأ حبّ الدنيا قلبه و يجدّ و يعمل و يقدم حصيلة أتعابه إلى البؤساء و المعدمين ابتغاء مرضاة

الله و بلوغ أعلى درجات الإنسانية . و هذه القوانين كلّها رحمة .
و قد نبعت من التوحيد منسجمة مع روحه في كافة ميادين الحياة و لو
طبّقها الإنسان ، فسترفعه إلى التوحيد ، و توصله إلى مبدئه و منشئه . على
عكس القوانين المضادة للتوحيد ، فإنّها - شاء الإنسان أم أبى - مرتكزة على
أساس التفرقة ، و النفعيّة ، و المصلحيّة ، و تحقيق الأرباح ، فهي تدعو
الإنسان إلى التفرقة ، و تقطع صلته بالعالم . و يتصوّر كلّ أحد أنه منفصل
عن العالم و يسعى لبقاء وجوده حتّى لو كان منافياً لوجود الغير .

و نلمس هذا واضحاً حتّى في البلدان المتطورة ، إذ تلهث وراء
مصالحها ، لا يهتمّ ما تعانيه الدول الأخرى من فقر و حرمان . فهدفها هو
تحقيق الأرباح لصالحها ، و بهذا فهي ترى نفسها منقطعة عن عالم الوجود .
مُنْبِينِ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ١

يقول الإسلام : تحرّكوا كلّكم إلى الله ، و اخلعوا عنكم رداء الشرك
واجتنبوا عن كلّ ما يصدّدكم عن التوحيد ، و أقيموا الصلاة للوصول إلى هذا
المنزل ، و لا تكونوا من المشركين الذين وضعوا قوانينهم على أساس
التفرقة ، و انقسموا شيعاً و جماعات .

و هذا الدين الحنيف هو الذي يرى الله وحده فعلاً ما يشاء ، و يراه
مؤثراً و مربياً و مكتملاً . و ينظر إلى الكائنات جميعها على أنّها من فعل الله
و أثره ، و أنّها محكومة بإرادته القويّة و مشيئته . و هو على عكس المبادئ
والسنن التي لا تعتمد على التوحيد ، فهذه ترى أنّ الإنسان هو المؤثر في
الوجود . و الشرك - مهما كانت درجته - فإنّه يقحم غير الله في عالم

١- الآيتان ٣١ و ٣٢ ، من السورة ٣٠ : الروم .

الوجود ، وحصيلة ذلك أنه يرى غير الله مؤثراً ، و يرى الله منفِعلاً ومتأثراً . والإنسان المرتكز على أفعاله ، نبذ الله - بزعمه - وراء ظهره فرآه منفِعلاً . والغفلة عن الله أيضاً درجة من الشرك و لها نفس الأثر .

و بهدف تربيّة الناس ، و تصعيد مستوى معارفهم ، و هدايتهم نحو أصالة العلم ، و حقائق العالم التي تستظلّ بظلّ التوحيد ، و ردت الآيات الكريمة التالية : **أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيئُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ .^١**

«هل أن قوى الفصل و الأثر متعلّقة بكم معشر البشر و الانفعال و التأثير متعلقان بالله ؟ هذه قسمة غير صائبة ، إنّ هذه الكائنات التي تعتدّون بقدرتها و عظمتها هي أسماء فحسب أطلقتموها أنتم و آباؤكم عليها (لا حقيقة لها) و أنتم تعتبرونها مؤثّرة ، في مقابل الله ظناً منكم و اتباعاً للهوى و لقد جاءكم دين التوحيد من ربّكم و عرفكم أصل التوحيد و انحصار القدرة و العظمة و الإرادة و العلم و الحياة و سائر الصفات و الأسماء بذات الله المقدّسة الدائمة» .

القرآن يهدي الناس بواسطة الإمام

في ضوء ما تقدّم ، فكلّ إنسان بلغ مقام التوحيد الحقيقيّ و اليقين الكامل ، فإنّه نال درجة الإنسانيّة . و إذا لم يبلغ ذلك المقام ، فهو ناقص ؛ و بحاجة إلى تربية . و ينبغي أن يكون معلّم الناس إنساناً كاملاً . فالناقص لا يستطيع أن يعلم الناس و يقودهم نحو الكمال . و الهدف من الدين ليس مجرد القيام ببعض الأعمال الصالحة حتّى يحلوا للقائل أن يقول : **كَفَنَّا**

١- الآيات ٢١ إلى ٢٣ ، من السورة ٥٣ : النجم .

كِتَابُ اللَّهِ . و القرآن وحده لا يستطيع أن يقود الناس ، إذ لا بدّ من إنسان مُلمّ ضليع بحقائق القرآن ، فمن هو ذلك الإنسان ؟
 إنّه الإمام ، معلّم القرآن ، و العارف بمبدأ الأحكام و منشئها ، يترتّب على منهل القانون ، و ينظر بعين الحقّ إلى عمق المصالح و المفسدات من المنشأ و الأصل .

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ اللَّهُ وَ لِيُّ الْمُتَّقِينَ ١ .

«ثمّ جعلناك على منبج الأمر و مبدأ نزوله فتتنظر القوانين و الأوامر على أصلها و حقيقتها فاتبعها و لا تتبع آراء و أفكار الناس الجهلاء الذين لا عقل لهم ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً و لن يبلغوا بك ما تهدفه و تقصده و هو رضا الله و لقاءه.»

فالإمام يستطيع أن يأخذ بيد الإنسان ، و يقوده نحو الحقيقة المطلقة . لأننا عرفنا أنّ خلق السماوات و الأرض و الإنسان ، و إنزال القرآن و إرسال الرسول ، كلّ أولئك بالحقّ . و كذلك الإنسان فإنه ينبغي أن يسلك سبيل الحقّ ، و يقطع طريقه إلى أن يصل أقصى درجات التوحيد . فهل يستطيع أن يقطع هذا الطريق بدون إمام و مربّ ؟ و هل انتهت عمليّة التربية و التعليم بعد وفاة النبيّ الأكرم ؟ و هل أنّ اللطف الإلهيّ كان فقط في عصر رسول الله ، ثمّ ترك الله الأُمَّة بعده مهملة ضائعة غير ملتزمة ؟ و هل أنّ روح النبيّ بعد الممات كفيّلة بمساعدة الأُمَّة و إيصالها إلى مقام الكمال فلا تعد هناك حاجة إلى شخص حيّ من أهل اليقين ؟ و هل أنّ العمل بالقرآن وفقاً لفهم الناس البسطاء يكفي بدون تعريف للحقائق ؟ و هل أنّ

١ - الآيتان ١٨ و ١٩ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

العمل الصالح نفسه ، مثل الصلاة و الصوم ، و الصدق ، واجتناب السرقة والقمار ، يوصل الإنسان إلى مقام الإنسانية ؟

يُنقَل أن الناس في سويسرا و بعض الدول الأخرى لا يكذبون ، و لا يسرقون ، و لا يخونون ، و لا يفعلون أمثال هذه الأشياء . صحيح أن الإنسان متى تلقى تربيّة في مجال معين ، فإنّه يتخرّج في ذلك المجال و يعمل به . بيّد أنّ هذه الصفات الحسنة عند شعوب تلك البلدان منبعثة عن العقل و العلم و معرفة الله و إدراك المصالح الصادقة ، أو أنّ تلك الشعوب عاشتها تلقيناً و تربّت عليها ؟^١ أنا رأيتُ بنفسي في القرى و الأرياف أنّ الرعاة عندما يسوقون أغنامهم و معزهم للرعي صباحاً ، و يمرّون على البيوت ، فإنّ الأغنام و المعز العائدة إلى تلك البيوت تخرج على عاداتها لتلتحق بالقطيع . و حينما يرجع القطيع عند الغروب ، و يمرّ على نفس البيوت ، فإنّ تلك الأغنام و المعز تنفصل عن القطيع تلقائياً لتعود إلى أصحابها . فهذا العمل عند الحيوان من وحي العادة ، و لا يستحقّ حمداً و تمجيداً . وكذلك جهاز التسجيل فإنّه يسجّل الصوت جيّداً ، و يعيده دون أن يتدخل فيه ، و يعيد حتى نفس القارئ أو صوت الورق . فعمله هذا لا يستحقّ حمداً و ثناءً . و الإنسان الأوروبي الذي لا يتلقّى تعليمه و تربيته على أساس التوحيد ، و الرأفة بالآخرين ، و المروءة ، و الإيثار ، و الصفا فإنّ صدقه ، و نظمه ، و أمانته (مهما كان نصيبها من الصحة) هي من وحي التلقين و العادة . فما قيمة ذلك ؟ و العامل الأوروبي الذي يذهب إلى مقرّ عمله صباحاً ، و ينجز أعماله في المعمل بدون رقابة ربّ العمل على سبيل

١- طبعياً ، إذا صحّ النقل ، و إلاّ فإنّ شعوب تلك البلدان لا تختلف عن غيرها من الشعوب إلاّ في بعض التقاليد و الآداب الظاهرية و العادات المتعارفة .

الفرض ، ماهي الدرجة التي يدركها من الإنسانية ؟ و أن كثيراً من المكنائ تُؤدّي أعمالها أو توماتيكياً لساعات متوالية بدون إشراف أحد ، و تقدّم منتوجاً سليماً و نظيفاً . و بعد إنجاز مقدار معيّن من إعداد المنتوج الذي يحتاجه الناس ، تنطفئ تلقائياً . فتتوقّف عن العمل . فهل تستحق هذه المكنائ بما عليها من نظم مدحاً و ثناءً؟! فأولئك الأشخاص قد تربّوا و تعودوا على نفس النمط ، و هم يعيشون حركة دائبة في هذا الطريق . و من الأفضل أن نطلق على أمثال هؤلاء : الناس الآليين . إذ ينجزون العمل المطلوب فقط ، و لاخلاق لهم من المعرفة ، و الحقيقة ، و الصفاء و المحبّة و الآثار التوحيدية ، و يراوون في طريقهم كالجماد وفقاً للتوجيهات الصادرة إليهم ، بيد أنّ هذا لا يعطينا معنى الإنسانية . و لما خلقت ذات الإنسان على أساس الفطرة ، فليس ذلك طريق كماله ، و الارتقاء في سلّم العلم و المعرفة ، و العثور على الأسرار الإلهية ، و سرّ الخلق و التكوين و الوقوف على الصراط و الميزان و الحقّ و الباطل ، كلّ ذلك لا يتحقق بهذا النسق .

ينبغي على الإنسان أن يضع قدمه على طريق التوحيد ، ولكن من ذا الذي يطلعه على ذلك بعد النبيّ؟ إنّ المعلم الذي لا تتجاوز معلوماته العمليّات الحسائيّة الأصليّة الأربع ، كيف يستطيع أن يعلم طلابه المعادلات ذات المجاهيل المتعدّدة ، و كذلك الجذور ، و رسم المنحني ، و الهندسة الفضائيّة ، و المثلاث ، و الحساب الاستدلاليّ؟ هذا مستحيل ، فإنّ أقصى ما يستطيع أن يفعله هو إيصال الطالب إلى مستوى ما يحمله من معلومات و في ضوء ذلك ، فكيف يستطيع الشخص اللا موحّد الناقص الذي لم يتحرّر من رتبة الشيطان و هوى النفس أن يكون معلماً للناس يهديهم نحو التوحيد و

يوصلهم إلى كمال الإنسانية؟! إنَّ هذا مستحيل ، أو نقول : إنَّ مشيئة الله في إرشاد الناس و هدايتهم إلى كمالهم قد تراجعت و تركتهم ضائعين . و هذا غير صحيح ؛ لأنَّه قد ثبت أنَّ السماء و الارض ، و الإنسان ، كلُّ أولئك قد خُلِقوا بالحقِّ ، و هو يعني عدم البطلان و العبث ، أو أن نقول : لم يُهمل الناس ، و إنّما يحتاجون إلى مربِّ و مكمل ، و في هذه الحالة ينبغي أن يكون المربِّي أكمل الناس ، و إلَّا فلا يكون مكتملاً ، و هو المطلوب و نستخلص من هذا البحث أنَّ تشريع القوانين مرتكز على أساس الحقِّ ، و كذلك بعثة الرسول الأعظم ، و نصب الإمام الذي يتمتع بمقام الكمال ، و هو المربِّي و المعلم للبشريَّة ، إلى أعلى درجة من الإنسانية و فعليَّة القوى المودعة من الله فيه و مقام التوحيد ؛ كل ذلك على أساس الحقِّ أيضاً . و كلا المسألتان من أصل واحد ، و الوردتان أصلهما شجرة الورد الواحدة ، و تتغذيان من ثدي واحدة و أمَّا الإنسان الذي لم يبلغ مقام التوحيد المطلق ، و لم يصل إلى أعلى درجة من الإنسانية ، و لازل بين جنبيه نفسه الأمارة ، و لم يتركه الشيطان ، و لم يتضح موقفه ، و لازل يعيش في ظلمات الشرك (و إن كان شركاً خفياً) ، و لم يتيقن طريق الحقِّ و لازل إيمانه من وحي التقليد ، أو مشوباً ببعض الشوائب الأخرى ، و لم يُفْتَن على إيمانه ، و ما فتىء فريسة لذئب الأمانى الباطلة ، و في قبضة هوى النفس ، نعم فالإنسان بهذه المواصفات لا يمكن أن يكون معلماً و موجَّهاً وقائداً .

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ

تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ١.

«اجتنبوا الأرجاس المتمثلة بعبادة الأوثان (والنفس الأمارة هي الصنم الحقيقي) واحترزوا من القوس الأخير، وسيروا على أساس دين التوحيد المستقيم المنزه عن الإفراط والتفريط، والمطهر من الاعوجاج والنقص، ولا تشرکوا بالله أحداً أبداً، ولا تجعلوا معه مؤثراً آخرًا؛ ومن جعل معه مؤثراً آخرًا وأقحمه في تسيير العالم فمثله مثل من سقط من مراتب الوجود وخرّ من سماء الفضيلة إلى الحضيض فتخطفه طير الهوى المفترسة للبشر، وتجعله فريسة لها، أو تقذفه رياح الحوادث والاضطراب فتلقيه في مكان بعيد.»

فالشخص الذي لم يبلغ مقام الكمال، وما زال محجوباً بحجاب النفس، وما فتئت نفسه هي المحور إذ يحوم حولها دائماً، وما برح عاجزاً عن أن يفتح منفذاً يخترق فيه حجب قلبه المظلمة ليخرج منه، ويحلّق في فضاء عالم القدس، وليعيش منشرح الصدر، مطمئن القلب، مرضياً عنه، فيصدق عليه الخطاب القائل: **أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**،^٢ و **يُكَلِّلْ** بقوله عزّ من قائل: **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي**،^٣ نعم فالإنسان بهذه المواصفات، مهما بلغ من المقام والمنزلة، فإنه يظلّ في غشاوته، وينطبق عليه عنوان الكفر الحقيقي حسب حالته ودرجته، ويهتزّ عند المحن والشدائد والاختبارات، وتجرفه صاعقة الهوى وحبّ الرئاسة والجاه الذي هو بدرجات أشدّ من دويّ و برق حبّ المال والأولاد وحتى حبّ الحياة. تجرفه نحو بيداء الضياع، ومفازة البؤس، فتسلّمه إلى الهلاك

١- الآيتان ٣٠ و ٣١، من السورة ٢٢: الحجّ.

٢- الآية ٢٨، من السورة ٨٩: الفجر.

٣- الآيتان ٢٩ و ٣٠، من السورة ٨٩: الفجر.

و الفناء .

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .^١

فهل يستطيع مثل هذا الشخص المصاب بقارعة السماء ، و المهدد قلبه بسيل الخطرات النفسانية دائماً ، و المحاصر بإبليس و جنوده ، أن يأخذ بيد الأمة ، و يهدي ضعفاءها إلى طريق التوحيد و أقوياءها إلى مقام الكمال ؟

اعتراف أبي بكر بضعفه

يقول أبو قتيبة الدينوري الذي كان من أعظم قدماء العامة وأعيانهم ويعترف أهل السنة جميعهم بجلالته و قدره : صعد أبو بكر على المنبر بعد وفاة رسول الله ، و خطب هذه الخطبة :

وَلَقَدْ قُلَّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَالِي بِهِ طَاقَةٌ وَلَا يَدٌ ، وَ لَوَدِدْتُ أَنِّي وَجَدْتُ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهِ مَكَانِي ، فَأَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . ثُمَّ بَكَى ، وَقَالَ : اِعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ ! أَنِّي لَمْ أَجْعَلْ لِهَذَا الْمَكَانِ أَنْ أَكُونَ خَيْرَكُمْ ، وَ لَوَدِدْتُ أَنْ بَعْضَكُمْ كَفَانِيهِ . وَلَئِنْ أَخَذْتُمُونِي بِمَا كَانَ اللَّهُ يُقِيمُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْوَحْيِ مَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدِي . وَمَا أَنَا إِلَّا كَا حَدِ كُمْ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ اسْتَقَمْتُ فَاتَّبِعُونِي ، وَإِنْ رُغْتُ فَاقْتَبُونِي . وَاعْلَمُوا أَنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي أَحْيَانًا . فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي غَضَبْتُ فَاجْتَنِبُونِي . لَا أَوْثُرٌ فِي أَشْعَارِكُمْ وَ أَبْشَارِكُمْ ؛ ثُمَّ نَزَلَ .^٢

و عندما كان يعجز عن الجواب على مسائل الناس ، كان يقول :

١- الآية ٣١ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٢- «الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٦ ؛ و يرجع إلى المجلد الأول من هذا الكتاب ، الدرس الثالث عشر أيضاً حيث نقلت خطبة أبي بكر بعبارات أخرى .

سَأَقُولُ فِيهَا بَرَأِي^١ و عند ما كان يعيي ، و لم يجد نفسه أهلاً للمهمّة ، كان يقول : أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّنِي؟^٢

فهو يعترف بأنّه لازال يعيش مغلولاً بحبائل الشيطان و النفس الأمّارة ، و يقترب الإثم أحياناً ، و يعتريه الشيطان ، ففي مثل هذه الحالة كيف يكون إماماً للناس ، و يريد من ضعفاء الأُمّة ، بل من كبارها أمثال سلمان ، و أبي ذرّ ، و عمّار ، و المقداد ، و حذيفة ، و جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، بل و حتّى من أمير المؤمنين عليه السلام صاحب العصمة الكبرى و الولاية العظمى ، يريد منهم أن يتبعوه ؟ و يأمرهم أن يبايعوه و يُؤمّروه و يقتدوا بأوامره و سنّته . و إذا ما خالف أحد ، فإنّته يأمر عمر بقتاله قائلاً : إِنْ أَبَوْا ، فَاقَاتِلْهُمْ^٣ . هذا مع أنّه يعلم ، و يعلم جيّداً أنّ أمير المؤمنين عليّاً هو محور الحياة في الإسلام ، و هو قطب سعادة الأُمّة و فوزها و انتصارها .

يقول أمير المؤمنين : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى ، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَ لَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ^٤ . فالإمام يقول هنا بأنّ أبا بكر يعلم بأنّ الرحي لا قطب لها غيري ، فإذا دارت ، فإنّ حجرها ينزلق ، و لا يطحن القمح فحسب ، بل و يدمّر الطحّان و المطحنة .

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا

١ و ٣ - «الغدير» ج ٧ ، ص ١١٨ .

٣ - «عبدالله بن سبأ» ص ٦٨ نقلاً عن ابن عبد ربّه ، و أبي الفداء .

٤ - «نهج البلاغة» فيض الإسلام ، الخطبة الشقشقيّة ، ص ٤٦ .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سِوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .^١ أَمْ
حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .^٢ وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ .^٣

١- الآية ٢١ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٢- الآية ٤ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٣- الآية ٥٩ ، من السورة ٨ : الأنفال .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ عَشَرَ

أَصْوَاتُ الْأَكْثَرِيَّةِ لَيْسَتْ مَعْيَارًا فِي إِنْتِخَابِ

الْأُمَّمِ وَالْعِصْمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ
فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١

ذكرنا سابقاً أنّ خلق السماوات و الأرض ، و المخلوقات السماوية
و الأرضية . و خلق الإنسان ، و إنزال القرآن ، و إرسال النبي الكريم صلى
الله عليه و آله و سلم كلّ ذلك بالحق . و الآيات القرآنية صريحة في أنّ
النظام الكونيّ و هداية الإنسان نحو الكمال منزّهان من العبث ، لذلك فإنّ
أوامر الله و نواهيه هي بالحق أيضاً . و ترمي إلى إطاعة الحق ، إذ إنّ هذا
الموضوع هو على طريق نفس تلك المبادئ التكوينية ، و يؤيد نظام الخلقة
و من المحال على الله سبحانه تعالى أن يأمر بالباطل ، لأنّ الباطل ينزل
بنفس الإنسان عن الطريق المستقيم ، و يحركه في المسار المضاد لطريق
الكمال و السعادة . و نستخلص من ذلك أنّ الأوامر التشريعية لله ينبغي أن

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

تكون دأئماً وفقاً لنظامه التكويني لا معاكسة له ، قال تعالى :
 وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ .
 لذلك ، فإن الله لا يأمر بالباطل أو باتباع الظلم و المعصية أو بالدعوة إلى
 اتباع غير الحق أبداً .

فاتباع أولي الأمر الذين وجبت إطاعتهم في الآية المباركة بلا قيد
 و شرط هو اتباع للحق ، و إلا فإن هذا الأمر سيكون معاكساً للنظام الإلهي
 العام . و لذلك ينبغي أن يكون المقصودون في هذه الآية أشخاصاً
 معصومين يكون فعلهم حقاً ، و كذلك قولهم و سيرتهم و سنتهم .

إن كثيراً من أهل السنة بل غالبيتهم ، بل جميعهم يقولون بعدم
 وجوب العصمة في أولي الأمر . و إنما يمكن انتخاب الإمام برأي الأغلبية
 أو ببيعة أهل الحلّ و العقد ، و تجب إطاعته وفقاً لمفاد الآية المباركة . هذه
 النظرية تخالف أساس القرآن و تشريع الشريعة الحقة و أساس الدين
 المبين ؛ لأنّ للإمام حالات و ملكات روحية لا يطّلع عليها إلاّ علام الغيوب
 المطلع على السرائر و الخفيات ؛ مثل العصمة ، و طهارة الروح ، و قداسة
 الباطن ، و النزاهة المقترنة بذات الإمام . الحافظة له من كلّ قول أو فعل
 مخالف للحق ، و المسددة له بإبعاده عن الأهواء و الشهوات . و مثل العلم
 الذي لا يبقى - مع وجوده - شيء مجهول عليه . و كثير من الصفات الأخرى
 المعنوية الدقيقة و اللطيفة التي لا يلحظ لها أثر في الخارج إلاّ مسائل جزئية
 منها ، و الحصول على تلك الملكات من هذه الظواهر الجزئية و الترشحات

١- الآية ٤ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

٢- الآية ٦ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

الخارجية عسير للغاية . وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ .^١ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .^٢

عجز أغلبية الناس عن انتخاب الإمام

في ضوء ما تقدّم ، أتى يتسنّى للناس الذين هم في غطاء عن العلم
بالباطن و السرائر و النيات و الملكات أن يعرفوا الشخص المتّصف بأدقّ
الملكات و الصفات الروحية . و أعمقها ، و أظفها ، فيختاروه إماماً ؟ و لو
قاموا بذلك ، فإنّهم يحدون عن جادة الصواب . و عندما نقرأ عن موسى
على نبينا وآله و عليه السلام أنّه اختار سبعين رجلاً من قومه لميقات ربّه
و أنّ هؤلاء المصطفين قد سقطوا في الامتحان حين طلبوا منه أن يريهم الله
جهرة ، حيث جاء في القرآن على لسانهم : أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً .^٣ فما بالنا
باختيار الناس العاديين ، و ماذا ننتظر من أهل الماديات غير أنّهم يميلون
إلى من يشع غرائزهم و يضمن لهم ماديّاتهم و شهواتهم . فيصوّتوا
لصالحه ؟! و في مثل هذه الحالة . فما هو الدليل القاطع المقنع على أن نقول
بأن هؤلاء لا يخطؤون في اختيارهم . و لا ينتخبون شخصاً منحرفاً لمقاليد
الأُمور ؟

و ربّما كان انتخابهم لأشخاص خونة حبّأوا أنفسهم وراء الكواليس
و عند ذلك ، تُرتكب الجرائم ، و تشيع المعاصي و الذنوب ، و لا يدري
هؤلاء المساكين ما الخبر ؟ ؛ و لا يدركون الأساليب الخادعة البّراقة التي
اتخذها المنتخب ، أو إنّهم يدركونها ولكن لا حيلة لهم حيالها . فيتسلّط على

١- الآية ٦٩ ، من السورة ٢٨ : القصص

٢- الآية ١٢٤ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣- الآية ١٥٣ ، من السورة ٤ : النساء .

الناس و يجزّهم جميعاً إلى جحيم الهلاك ، كما نجد ذلك ملحوظاً للغاية في بيعة معاوية ، و يزيد ، و بقيّة سلاطين بني أميّة .

إنّ الله الذي خلق الخلق بالحقّ ، كيف يفوّض للناس القاصرين في عملهم ، المحتاجين إلى من يعلمهم ، نصب الإمام ؟ وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ^١ .

و قد نبّه رسول الله الناس إلى هذه الحقيقة منذ اليوم الأوّل الذي نشر فيه دعوته و بلّغها القبائل . فلمّا عرض على بني عامر بن صعصعة دعوته قال له رجل منهم : أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثمّ أظفرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال : الأمر إلى الله يضعه حيث شاء^٢ .

قال تعالى : وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا^٣ .

كيف يتيسّر للناس أن ينتخبوا لهم إماماً و هم على ما هم عليه من الأغراض الشخصية ، و المشاجرات ، و الشهوات ، و اختلاف الآراء و المعتقدات في المقياس الذي يشخصون المرشّح الصالح ؟ لاسيّما مع كثرة التجمّعات ، و تشتت الروحيّات ، و وجود التكتلات المضادّة للحقّ التي كانت ولا زالت ممّا تنوء به البشرية . و لذلك يلاحظ ماذا جرّت الانتخابات من ويلات ، فكم من حقوق قد أُضيعت ، و دماء أُريقَت و أموال نُهبَت . و أعراض هُتكت ، و أحكام عُطلت ، و حدود امتهنت وإذا

١- الآية ٦٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٢- «سيرة ابن هشام» ج ٢ ، ص ٢٨٩ و «السيرة الحلبية» ج ٢ ، ص ٣ .

٣- الآية ٣٦ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

بذلك الإسلام الذي رُفد الناس بالحياة وامتدت أغصانه على أساس الحق والعدالة فظلَّت ربوع المعمورة ، أضحى مسرحاً للأحداث الدائمة الشنيعة و ألعوبة بيِّد الفجار والفساق الذين خلا لهم الجوِّ ليشتموا هجماتهم ضد المساكين الأبرياء ، و واصلوا انتهاكاتهم و تعدياتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

فما يتطلبه هذا الحديث و ما نستخلصه من هذا البحث هو أنّ الخليفة ينبغي أن يكون معصوماً ، و منصوباً من قبل الله . و مضافاً إلى ذلك كلّه يمكن أن يواجه الخليفة المنتخب مسائل علمية يعجز عن جوابها ، ففي مثل هذه الحالة ، و من أجل المحافظة على شخصيته ، إمّا يجيب من عنده و يفتي بلا دليل ، و إمّا يرجع إلى أهل الرأي فيأخذ الجواب ممّن هو أعلم منه و أوعى . ففي الحالة الأولى أظهر فشل القانون الإلهي و ضعفه ، أمّا في الحالة الثانية ، فقد أسقط مكانته و منزلته من الأنظار . فالإمام الذي هو الحاكم الروحيّ و المعنوي للناس يجب أن يتّبع بما له من منزلة هي كمنزلة نفس النبيّ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .^١ فيقيم الحدود الإلهية ، و يدحض الباطل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . و ربّما يفضي عجزه عن الإجابة على الأسئلة إلى ضعف يقين السائل و تشكيكه به . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ .^٢
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ .^٣
و عند تقدّم المفضول على الفاضل ، فإنّ الباطل سيتقدّم على الحقّ والجهل على العلم . و من هنا تنبثق ضروب الفساد . أم يقولون به جنة بل

١- الآية ٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- الآية ٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣- الآية ١٦ ، من السورة ١٣ : الرعد .

جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ * وَ لَوَاتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ١ .

الأكثرية وراء المصالح

إن أغلبية الناس يلهثون وراء مصالحهم فارتين من الحق ، و ماذا تفهم
هذه الأغلبية ؟ إنهم يودون أن ينتخبوا شخصاً يضمن مصالحهم المادية
و الشهوانية . و ماذا يعرف الطفل الصغير في المدرسة عن مديره و معلمه
و مربيته ؟ و المدير الذي يمتلك التدبير الصحيح و التصميم الراسخ يدفع
الأطفال إلى الدرس و ينظمهم وفقاً لتخطيطه الذهني الذي لا يجد الأطفال
إليه سبيلاً ؛ إنه يوجههم لما فيه تقدمهم و رقيهم و لو لم يرغبوا بذلك ، و هذا
الحق سيطر على أفكارهم و أهوائهم ، و في ضوئه تنظم شؤون المدرسة
و تتحقق النتائج المرجوة .

و لو تقرّر فرضاً أن يكون تعيين المدير بانتخاب الطلاب أنفسهم
فإن هؤلاء سينتخبون شخصاً يعطل دروسهم ، و يخصص جميع أوقاتهم
لللعب . و لو استفتوا عمّ سيعملون في المدرسة ، فسيقولون : نريد أن تكون
جميع الساعات نزهة و لعباً . و لو استفتوا عن تعطيل المدرسة أو عدم
تعطيلها ، فسيصوتون كلّهم بتعطيلها . فهل يجب العمل وفقاً لرغبات
الأطفال و أصولهم و يعزل المدير المتقّي العالم الخبير بالمصلحة - حسب
تصويت الأغلبية - و يؤتى بشخص آخر لاعب بديلاً عنه كما يشتهي
الأطفال ؟ أو إن آلاف الأصوات لا قيمة لها في هذا المجال ، و مئات
المدارس المليئة بالطلاب لا تستطيع أن تقوم بمهام مدير عالم مطلع .

١- الأيتان ٧٠ و ٧١ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

فكذلك أفراد الناس، فإنهم مبتلون بالشهوات والماديات، ولا تتجاوز أفكارهم حدود النفعية و المصلحية، و ضروب الثأر الشخصي و الجاهلي و اللذائذ المؤقتة. و في مثل هذه الحالة، لو فوّض الأمر إلى هؤلاء فإنهم لما كانوا لا يستطيعون النظر إلى أفق أوسع و أرحب من مستواهم الفكري لذلك تراهم يحبسون سعادتهم و سعادة جميع الناس عند ذلك المستوى.

و جاء في الآية ١٠٠، من السورة ٥: المائدة:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ .^١ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ .^٢ فلو كانت أصوات الأغلبية على الحق، ينبغي، في هذه الحالة، استفتاء مشركي قريش حول دعوة النبي الأكرم في مكة. و من المؤكد أنّ رأي هؤلاء هو قتل النبي و تقطيعه إرباً إرباً، كما نجد ذلك عندما اجتمع أهل الحلّ و العقد و رؤساء مكة في دار الندوة، و بعد التشاور، أصدروا أمراً بقتله، فجمعوا أشخاصاً من مختلف القبائل للقيام بهذه المهمة.

و على هذا النمط صممت أغلبية المشركين، بعد التشاور و الأخذ برأي أهل الحلّ و العقد مثل أبي سفيان، على تجهيز الجيوش من مكة إلى المدينة لقتال رسول الله و المسلمين، و اجتثاث جذور الإسلام، و اقتلاع القرآن. و الاعتداء على أعراض المسلمين و نواemisهم، فكانت معركة بدر، و أحد، و الأحزاب و أمثالها، و كانت تلك الخسائر الفادحة كلّها.

١- الآية ١١٦، من السورة ٦: الأنعام.

٢- الآية ١١٩، من السورة ٦: الأنعام.

كان هذا هو المستوى الفكري لأهل الجاهلية ، و ظلّ هذا المبدأ متداولاً بين الناس على مرّ العصور ، وإن اختلفت مظاهره في كلّ عصر . ولم يكن هذا معروفاً فقط عند القبائل التي عاشت في عصر النبيّ ، بل كان سائداً عند جميع الأمم و القبائل ، إذ كانت الأصوات الجاهلية و الأفكار المادية هي الأساس في تخطيطهم . و لذلك كانوا يناوئون الأنبياء و يدخلون معهم في نفاق و صراع . وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ .^١ و على هذا فقد كان أغلب الناس في جميع العصور من المنحرفين و المصلحيين . و قد ذكر الله تعالى في سورة الشعراء عادات أمم ثمانية من الأنبياء في ثمانية مواضع (قوم محمّد خاتم النبيين صلّى الله عليه و آله و قوم موسى ، و قوم إبراهيم ، و قوم نوح ، و قوم هود ، و قوم صالح ، و قوم لوط ، و قوم شعيب) و تطرّق إلى تعامل هؤلاء مع أنبيائهم ، و قال في آخر كلّ موضع : وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ؛^٢ و كذلك قال : فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ؛^٣ و بشأن قوم نبيّنا ، قال أيضاً : وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ ؛^٤ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ؛^٥ وَ مَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .^٦ و قال في ثلاثة

١- الآية ٨٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآيات ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

٣- الآية ٤٢ ، من السورة ٣٠ : الرّوم .

٤- الآية ١٠٦ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٥- الآية ٧ ، من السورة ٣٦ : يس .

٦- الآية ١٠٣ ، من السورة ١٢ : يوسف .

مواضع من القرآن: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** ^١.

وقال في موضع: **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ^٢، وكذلك قال: **بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ^٣؛ **لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ^٤. وقال في مواضع أخرى: **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ** ^٥؛ **وَأَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُونَ** ^٦؛ **فَأَبَىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ^٧.

وقال أيضاً بأن أكثر الناس يفسقون: **وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ** ^٨؛ **وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِينَ** ^٩؛ **وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ** ^{١٠} وقال كذلك: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ^{١١}. وقال في ثلاثة مواضع أخرى: **وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شٰكِرِينَ** ^{١٢}؛ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ** ^{١٣}؛ **وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ** ^{١٤}.

وقال أيضاً بأن أكثرهم يتبعون الظنّ، ولا يقين عندهم في أعمالهم. **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا** ^{١٥} وقال بأن أكثرهم من الجهال: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ** ^{١٦}.

١- الآية ١٧، من السورة ١١: هود؛ و الآية ١، من السورة ١٣: الرعد؛ و الآية ٥٩، من السورة ٤٠: غافر.

٢- الآية ١٠٠، من السورة ٢: البقرة.

٣- الآية ٧٠، من السورة ٢٣: المؤمنون.

٤- الآية ٧٨، من السورة ٤٣: الزخرف.

٥- الآية ٨، من السورة ٣٠: الروم.

٦- الآية ٨٣، من السورة ١٦: النحل.

٧- الآية ٥٠، من السورة ٢٥: الفرقان.

٨- الآية ٥٩، من السورة ٥: المائدة.

٩- الآية ١٠٢، من السورة ٧: الأعراف.

١٠- الآية ١١٠، من السورة ٣: آل عمران.

١١- الآية ٢٤٣، من السورة ٢: البقرة.

١٢- الآية ١٧، من السورة ٧: الأعراف.

١٣- الآية ٦٠، من السورة ١٠: يونس؛ الآية ٧٣، من السورة ٢٧: النمل.

١٤- الآية ١٠٢، من السورة ٧: الأعراف.

١٥- الآية ٣٦، من السورة ١٠: يونس.

١٦- الآية ١١١، من السورة ٦: الأنعام.

وقال كذلك بأن أكثرهم لا يعقلون، ولا يستعملون فكرهم: **وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ١.

وقال أيضاً بأن أكثر الناس لا يسمعون كلام الحق و دعوة الحق: **كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ وَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ٢.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ٣.

وقال كذلك: إن كثيراً من الناس غافلون عن الآيات: **وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِّ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ٤. وجاء في أربعة وعشرين موضعاً من القرآن المجيد أن أكثر الناس لا يعلمون. ففي تسعة مواضع ورد بهذا اللفظ: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ٥. وفي تسعة أخرى، جاء بهذا اللفظ: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ٦.

في خمسة مواضع، ورد بهذا اللفظ: **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ٧. وفي

١- الآية ١٠٣، من السورة ٥: المائدة.

٢- الأيتان ٣ و ٤، من السورة ٤١: فصلت.

٣- الآية ٤٤، من السورة ٢٥: الفرقان.

٤- الآية ٩٢، من السورة ١٠: يونس.

٥- الآية ١٨٧، من السورة ٧: الأعراف؛ الآية ٢١، من السورة ١٢: يوسف؛ الآية ٣٨،

من السورة ١٦: النحل؛ الآية ٦ و ٣٠، من السورة ٣٠: الروم؛ الأيتان ٢٨ و ٣٦، من السورة

٣٤: سبأ؛ الآية ٥٧، من السورة ٤٠: غافر؛ الآية ٢٦، من السورة ٤٥: الجاثية.

٦- الآية ٣٧، من السورة ٦: الأنعام؛ الآية ١٣١، من السورة ٧: الأعراف؛ الآية ٣٤،

من السورة ٨: الأنفال؛ الآية ٥٥، من السورة ١٠: يونس؛ الأيتان ١٣ و ٥٧، من السورة ٢٨:

القصص؛ الآية ٤٩، من السورة ٣٩: الزمر؛ الآية ٣٩، من السورة ٤٤: الدخان؛ الآية ٤٧،

من السورة ٥١: الطور.

٧- الأيتان ٧٥ و ١٠١، من السورة ١٦: النحل؛ الآية ٦١، من السورة ٢٧، النمل؛

الآية ٢٥، من السورة ٣١: لقمان؛ الآية ٢٩، من السورة ٣٩: الزمر.

موضع واحد، ذُكر بهذا اللفظ: **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**.^١

وجود الإمام الحقِّ ضروريٌّ لهداية الأَكثَرِيَّة الضالَّة

أجل ، فإنَّ هذا عرض لمستوى الأفكار و الطلبات و درجات الفهم و الإدراك لأكثر الناس ، بينها القرآن في الآيات المتقدمة . فهل بمقدور الناس أن يعيّنوا بها إماماً ؟

و هذا الإمام معصوم من كلِّ خطأ و إطاعته هي نفس إطاعة الله . و هذا الإمام يقودهم نحو طريق الحقِّ . و يوصلهم إلى كمال استعدادهم و قابليّتهم ، و يُهذّب نفوسهم ، و يُضيء قلوبهم بنور الله ، و يأخذ بأيديهم منقاداً لهم من الاضطراب و القلق ، و التشويش النفسيّ ليبر بهم نحو الهدوء و الطمأنينة . و يخرجهم من الشرك إلى التوحيد .

و هذا الإمام هو الشخص الذي مع الحقِّ دائماً . و هو على عكس ما تريده الأَكثَرِيَّة ؛ إذ يهتمّ بتعليمهم و تربيتهم تربية صحيحة ليخرجهم من حضيض الشهوات ؛ و الترف الباطل ، و عربة السكر ، و الأنانية و الغطرسة و العُجب إلى عبادة الله و حبّه ، و ذلك من خلال تعاليم مركّزة و توجيهات مُتَّزِنة . و هذا الأمر متقارن مع عدم ميل الأَكثَرِيَّة ، كما نلاحظ أنّ كلَّ نبيّ جاء من الله لإصلاح الناس و تربيتهم ، كان على عكس ما تريده الأَكثَرِيَّة .

و ينبغي للإمام أن يربّي الناس بإرادة و طيدة و عزيمة قويّة ، و لا يبالي بما عليه الناس من أهواء و آراء مرتكزة على عبادة المادّة و حبّ اللذّة . قال عزّ من قائل: **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ**.^٢ وقال تعالى :

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- الآية ١٥ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

أَنْدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي آسَتْهُوهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ وَإِلَىٰ الْهُدَىٰ آتَيْنَا قُلُوبَنَا إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١ .
وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَيْتَهُمْ بِهَدْيِهِمْ لَجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٢ . وَإِنَّ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنَّ آتَيْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٣ .

فهذه الآيات جميعها تبيّن بجلاء أنّ الناس يجب أن يتبعوا الحق فقط ، و لا يوكّلوا أمورهم إلى من يضلّهم و يُقحمهم في عقيدته و خطّه . فهذا و أمثاله لا يرضون في يوم من الأيام عن عقيدة الحقّ و رجل الحقّ . بل و يتهرّبون منه . فهل يمكنهم و الحال هذه أن ينصبوا إماماً لهم قائماً بالحقّ في حين أنّ مستواهم الفكريّ محدود بهذا الحدّ؟ حاشا و كلاً .

إنّ عمّة الناس يخضعون للعواطف ، فلم يتعالوا إلى درجة تكامل و ارتقاء العقل . و لذلك فلو فوّض إليهم حقّ انتخاب الرئيس و الإمام ، فإنّهم لا ينهضون بهذه المهمة ؛ لأنّ اختيارهم مرتكز على الخيال الواهّيّ و الوهم المتدنّيّ ، فإنّهم يُخدعون برؤية الصور ، و استماع الكلمات و الخطب ، فيدلون بأصواتهم ؛ في حين قديكون صاحب الصورة و الكلمة من الناس المحتالين ، و قد استعدّ أحسن استعداد من أجل اقتناص الناس العاديين لصالحه ، و كم رأينا في عصرنا هذا أنّ الناس يجنحون إلى المرشّحين

١- الآية ٧١ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- الآية ١٢٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- الآية ١٤٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

ويصوّتون لصالحهم بسبب نصب الصور المعلنة و رفع اللافتات ، و كتابة أسماء المرشّحين على الجدران . و عندما يتبدّل المسرح و تتغيّر الدعايات ، و يظهر شخص آخر و على نفس المنوال من خلال الصور المعلنة و اللافتات ، و التباهي عند إلقاء الخطب و الكلمات المشوبة بالمزاعم الواهية الجوفاء ، فإنّه يستقطب الناس إلى جانبه ليصعد من درجة تصويتهم لصالحه .

فهل يمكن في الإسلام المشيّد صرحه على مبدأ اتّباع الحقّ و أصالة الواقع أن تفوّض صلاحية انتخاب الإمام - الذي يمثل العقل المستقل للجماهير و المتصدّي لحمل المهمة الثقيلة لرقّي الناس و تكاملهم و الأخذ بأيديهم نحو نور الهداية و سعادة الدنيا و الآخرة ، و تأسيس المدينة الفاضلة ، و إقامة القسط و العدل في أرجاء المعمورة ، و توجيههم صوب رحاب العرفان و التوحيد الإلهي - إلى أشخاص هم في الدرجة المنحطة من حيث العلم و التقوى و الإدراكات العقلية ؟ أبداً أبداً ، فعامة الناس ينتخبون شخصاً يلائم أذواقهم ، و يتفق معهم في المنهج و السلوك . و من الواضح هنا ، إلى أيّ درجة من السقوط و التردّي و الفساد سينحدر المجتمع ، و كيف سيهبط من محور العدل و أصالة العقل إلى حضيض وادي الميول الشخصية و الأوهام الاعتبارية .

و لنا أن نسأل هنا ، و على أنصار الديمقراطية ، الذين يوكلون حقّ انتخاب الإمام إلى جميع أفراد الشعب ، أن يجيبوا .

و سؤالنا هو : أنّ عامة الناس في كلّ أمة ليسوا بمستوى واحد في الفهم و العقل و الشعور و المعرفة ، بل الملحوظ أنّهم يتفاوتون فيما بينهم فبعضهم يجدد و يكافح و يعاني ليرفع من مستواه العقليّ و العلميّ . و مثله كمثل الفيلسوف اللبيب ، و العالم الكفوء . و العارف متنور الضمير ، إذ اطّلع

على الحقائق ، و أدرك أوضاع الناس و مصالحهم و مفسادهم ، و استطاع أن يشخص بحسه المرهف في معرفة الناس ، أعقل الأشخاص و أعلمهم و أورعهم و أشجعهم و أبصرهم بشؤون الأمة و مصالحها لينتخبه قائداً للناس .

و من الطبيعيّ فإنّ هؤلاء يندر وجودهم في كافة المجتمعات البشرية ، و يصعب العثور عليهم .

و ثمة شريحة أخرى لم يبلغ أفرادها تلك الدرجة من الكمال ، بيد أنّهم يطمحون إلى تطوير قواهم العلميّة و العمليّة و تكميلها ، و يريدون إيصال أنفسهم إلى الكمال من خلال التدرّج في المراحل العقليّة و العمليّة واجتياز الدروس التربويّة .

و هؤلاء يتواجدون في المجتمعات البشرية ، و عددهم أيضاً ليس قليلاً ، لكنهم قليلون للغاية إذا ما قيسوا بجماهير الأمة ، و إنهم و إن لم يبلغوا درجة الشريحة الأولى في تشخيص الحق من الباطل ، بيد أنّهم أمّوا بهذه المرحلة إلى حدّ ما .

و هناك شريحة ثالثة ، و هم عامّة الناس الذين يؤلّفون جماهير الأمة . و هؤلاء لم يرتقوا إلى مستوى عال من العلم و العمل ، و لم يخطوا خطوة واحدة على هذا الطريق . و إنهم يسيرون وراء بريق المظاهر و الألوان و الروائح ، فكلّ ما يبهر العيون يستقطبهم إليه . و هم و إن كانوا فارغين معنوياً و بعيدين عن الواقع ، لكنهم هم الذين يُدلون بأصواتهم لأجمل المرشّحين ، و يجتذبهم كلّ مرشّح تكثّر صورته و دعاياته ، و تركّز عليه وسائل الإعلام .

و لو تقرّر فرضاً تفويض الرأي إلى جميع الناس ، و إشراكهم في انتخاب القائد ، فينبغي أن يجري هذا التفويض وفق معدّل من ميزان العقل

ووعي الناس ، فمثلاً يحقّ لعامة الناس الإدلاء بصوت واحد ، ولطلاب المدارس بعشرة أصوات ، ولطلاب العلوم الدينية بمائة صوت ، وللعلماء بألف صوت ، وللحكام والفلاسفة الإلهيين بعشرة آلاف صوت ، وللعلماء الربانيين العارفين الذين تحرّروا من ربة أنفسهم و أهوائهم ، و وجدوا طريقهم إلى الحقّ والحقيقة و وصلوا إلى الكليّة بمائة ألف صوت ، و للإمام الذي تربّع في مصدر الولاية ، و هو من عالم الأمر قلق على عالم الخلق ، و قد انشرح صدره لتلقّي الأنوار الإلهيّة و بثّها في عالم الكثرة ، فكان في منهل الشرع و الشريعة ، له كلّ الأصوات . و يجب أن ينظر إليه على أنّه صاحب القرار الوحيد حتّى في اختيار الإمام من قبل الله . و هذا هو منطق الشيعة ، فهم يقولون : إنّ حقّ اختيار الإمام لله ، و نصبه يكون بواسطة النبيّ أو الإمام الذي يسبقه .

و أنتم يا دعاة الحرّيّة الجهلاء ! هل تمنحون جماهير الأمة حقّ انتخاب الإمام على أساس نفس هذا المعيار ؟ و هل تقسمون الناس إلى مجاميع مختلفة ، فتمنحونهم حقّ الانتخاب وفق معدّلات متفاوتة ؟!

فالتصويت عندكم على أساس أكثرية أصوات الناس بلا فرق بين العالم الفاضل و الجاهل البليد أو دماغ الدولة المفكّر أو العامّي الفارغ فلكل منهم صوت واحد .

و هذا أسلوب خاطى من منظار العقل و المعرفة . و هو أسلوب يهبط بقيمة العقل و العقلاء و العلم و العلماء إلى الحضيض ، و يجعل رأي العالم و الجاهل ، و المطلّع على شؤون المجتمع و غير المطلّع سواء ، في مقياس قيمة التصويت ، و يضع أصحاب المعرفة و الوعي في نفس الدرجة التي عليها السذج البسطاء !

فكيف تجيبون على هذه المسألة ؟! و ما هو موقفكم في ساحة العدل

الإنساني و شرف الإنسانية؟! وكيف تضيّعون حقوق عامّة الناس بترك انتخاب الإمام الذي يرضاه العقلاء و المفكّرون في المجتمع؟ كيف تضيّعون ذلك في مقابل العدل الإلهي؟ و من ثمّ تجرّون المجتمع نحو الانحاط و الفساد .

هذه مؤاخذة أسجلها على رافعي لواء الديمقراطية الجاهليّة ، و هي ممّا ألهمنيّه الله ، تبارك و تعالَى . هيتا ، أجيّبوا ! و هيهات أن تقدروا على الجواب !

لقد تحدّثت كتب التاريخ و علم الاجتماع عن طبيعة الأفكار السائدة عند عامّة الناس ؛ و قدّمت أكثر تلك الكتب و صفّاً يثير العجب لتلك الأفكار . و كمثال على ذلك نذكر شيئاً منها جاء في كتاب «مروج الذهب» للمؤرّخ الشيعي أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفّي سنة ٣٦٤ هـ . فقد قال هذا المؤرّخ :

و بلغ من إحكام معاوية للسياسة و إتقانه لها و اجتذابه قلوب خواصّه و عوامّه أنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بغير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفّين ، فتعلّق به رجل من دمشق ، فقال : هذه ناقتي ، أخذت منّي بصفّين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، و أقام الدمشقيّ خمسين رجلاً بينة يشهدون أنّها ناقتة . فقضى معاوية على الكوفيّ ، و أمره بتسليم البعير إليه . فقال الكوفيّ : **أصلحك الله !** إنّه جمل و ليس بناقة ، فقال معاوية هذا حكم قد مضى . و دسّ إلى الكوفيّ بعد تفرّقهم . فأحضره ، و سأله عن ثمن بعيره . فدفع إليه ضعفه . و برّه ، و أحسن إليه ، و قال له : أبلغ عليّاً أنّي أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة و الجمل .

و قد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صلاة الجمعة في يوم الأربعاء ، و أعاروه رؤوسهم عند القتال و حملوه بها .

[و لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَلَى يَدِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَ كَانَ فِي أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، (وَ كَانَ قَدْ بَلَغَ أَهْلَ الشَّامِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ مِنْ أَنَّ عَمَّارًا تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ)] رَكَنُوا إِلَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : إِنَّ عَلِيًّا هُوَ الَّذِي قَتَلَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ حِينَ أَخْرَجَهُ لِنَصْرَتِهِ ، صَدَّقَهُ جَمِيعُهُمْ ، وَ رَأَوْا كَلَامَهُ حِجَّةً ، وَ اعْتَبَرُوا عَلِيًّا وَ أَعْوَانَهُ هُمُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ .

ثُمَّ ارْتَقَى بِهِمُ الْأَمْرَ فِي طَاعَتِهِ إِلَى أَنْ جَعَلُوا الْعِنَ الْإِمَامَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةً ، يَنْشَأُ عَلَيْهَا الصَّغِيرَ ، وَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا الْكَبِيرَ .

وَ يَقُولُ الْمَسْعُودِيُّ : [وَ مِنْ غَفْلَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَ الْعِرَاقِ] مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْأَخْبَارِيِّينَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ زَعَمَائِهِمْ وَ أَهْلِ الرَّأْيِ وَ الْعَقْلِ مِنْهُمْ : مَنْ أَبُو تَرَابٍ (عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) هَذَا الَّذِي يَلْعَنُهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ الْمَنْبَرِ ؟ قَالَ : أَرَاهُ لَصًّا مِنْ لُصُوصِ الْفِتَنِ .

وَ حَكَى الْجَاحِظُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ وَ قَدْ ذَكَرَ أَهْلَ الْبَيْتِ يَقُولُ : إِذَا أَتَيْتَهُ مَنْ يَكَلِّمُنِي مِنْهُ ؟ وَ إِنَّهُ أَخْبَرَهُ صَدِيقٌ لَهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَ قَدْ سَمِعَهُ يَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ] : مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ هَذَا ؟ أَرَبْنَا هُوَ ؟

وَ ذَكَرَ ثَمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ : كُنْتُ مَارًّا فِي السُّوقِ بِبَغْدَادَ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، فَانزَلْتُ عَنْ بَغْلَتِي ، وَ قُلْتُ : لِشَيْءٍ مَا هَذَا الْجَمْعُ ؟ وَ دَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَ إِذَا بِرَجُلٍ يَصِفُ كَحَلَاءٍ مَعَهُ إِنَّهُ يَنْجَحُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَصِيبُ الْعَيْنَ . فَانظُرْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عَيْنُهُ الْوَاحِدَةُ بَرَشَاءَ ،^١ وَ الْآخَرَى

١- يقول صاحب «شرح القاموس»: البرش محرّكة و البرشة بالضمّ في شعر الفرس نكت صغار تخالف سائر لونه . و يقال لها بالفارسيّة (چيار) . و الفرس أبرش على وزن أحمر و برش كأمير . و البرش بياض يظهر على الأظفار . انتهى . فالعين البرشاء -إذن- هي ما يظهر فيها من النكت أو البياض في سوادها . و يقول في (مأسوكة): إسكتان بكسر الأوّل على ⇨

مأسوكة .

فقلتُ له : يا هذا ! لو كان كحلِكَ ما تقول لِمَ لم ينفع عينيك؟! فقال لي : يا جاهل ! أهاهنا اشتكت عيناى؟! إنما اشتكتنا بمصر ، فقال كلهم : صدق . [واعتراضك هذا ليس في محله] .

[يقول ثمامة : و لَمَّا أردتُ أن أفهمهم بأن هذا الرجل يغالط ، و حتى لو اشتكت العين بمصر ، فالكحل الآن ببغداد ، و لا بدّ أن ينفعها ، لكنهم لم يفهموا أبداً.] و ذكر أنه ما انفلت من نعالهم إلا بعد كدّ .

يقول المسعودي بعد نقل هذه الأخبار عن الجاحظ و ثمامة : و ذكر لي بعض إخواني : أنّ رجلاً من العامة بمدينة السلام (بغداد) رفع إلى الولاية الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالي عن مذهب الرجل . فقال : إنه مُرجئي ، قَدْرِي ، ناصبي ، رافضي . فلَمَّا قصه عن ذلك ، قال : إنه يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قاتل عليّ بن العاص . فقال له الوالي : ما أدري على أيّ شيء أحسدك : على علمك بالمقالات ، أو على بصرك بالأنساب ؟

[و يقول المسعودي أيضاً] : و أخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم ، قال : كُنَّا نَقعدُ نتناظر في أبي بكر ، و عمر ، و عليّ ، و معاوية ، و نذكر ما يذكره أهل العلم . و كان قوم من العامة يأتون فيستمعون منّا . فقال لي ذات يوم بعضهم ، و كان أعقلهم و أكبرهم لحيّة ! كم تطنبون في عليّ

صيغة المثني : شفرا الرحم أو جانباه ممّايلي شفريه . أو جانبها الفرج و هما قذاته . و جمعه أسك بفتح الأوّل و كسره ، و يأتي على وزن عَنَب . و مأسوكة على وزن معلومة وهي المرأة التي أخطأت خافضتها فأصابت غير موضع الخفض . و العين المأسوكة هي العين التي خربت أجفانها فهي كالمشرفة . و جاء هذا المعنى في «تاج العروس» و «لسان العرب» . و جاء في نسخة بدل من «مروج الذهب» موكوسة ، من مادة وَكَسَ وَكَسَ وَكَسًا ، بمعنى الناقصة .

ومعاوية ، و فلان ، و فلان ؟ فقلتُ له : فما تقول أنت في ذلك ؟! قال : مَنْ تريد ؟ قلتُ : عليّ ، ما تقول فيه ؟ قال : أليس هو أبو فاطمة ؟ قلتُ : و من كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية ! قلتُ : فما كانت قصّة عليّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم .

[و يقول المسعودي بعد نقله قصّة أُخرى عن بني أميّة و السفّاح] :
وقد كان ببغداد رجل في أيام هارون الرشيد متطبّب يطبّب العامة بصفاته .
و كان دهرتياً يظهر أنه من أهل السنّة و الجماعة ، و يلعن أهل البدع و يعرف بالسنيّ ، تنقاد إليه العامة . فكان يجتمع إليه في كلّ يوم بقوارير الماء خلق من الناس .

فإذا اجتمعوا ، و ثب قائماً على قدميه ، فقال لهم : معاشر المسلمين ! قلتُم : لاضارّ و لا نافع إلاّ الله . فلايّ شيءٍ مصيركم إليّ تسألونني عن مضارّكم و منافعكم ؟! الجؤوا إلى ربّكم . و توكلوا على بارئكم ، حتّى يكون فعلكم مثل قولكم .

١- جاء في معجم دهخدا «لغت نامه دهخدا» في مادّة قارورة نقلاً عن قاموس (ءاندرج) أنها قنيّنة صغيرة مدوّرة ، يصنعونها على شكل المئانة . و يملأونها بالبول . و في ذلك يقول الشاعر مثنوى مولوي :

آن زجاجی کوندارد نور جان بول قاروره است قنديش مخوان

«إنّ تلك الزجاجيّة التي ليس فيها نور ، هي قارورة البول ، فلا تسمّها قنديلاً» .

على هذا الأساس ، لمّا كانوا في القديم يأخذون إدرارهم في قنيّنة للفحص ، لذلك استعمل أخذ القارورة بمعنى أخذ الإدرار . و هذا مجاز من باب تسمية الحال باسم المحلّ . و جاء في «تذكرة الأولياء» لمؤلفه العطار : كان للخليفة طيب نصرانيّ ، و كان بارعاً ضليعاً في عمله . أرسله عند سفیان ليعالجه . فلمّا رأى قارورته ، قال : هذا رجل أذاب كبده خوف الله وسيخرج من مئانته قطعة قطعة .

فيقبل بعضهم على بعض ، فيقولون : إي والله قد صدقنا . فكم من مريض لم يعالج حتى مات . ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه قارورة الماء ، فيصف له الدواء ، فيقول : إيمانك ضعيف ، و لولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك ، فكان يقتل بقوله هذا خلقاً كثيراً لتزهيده إياهم في معالجة مرضاهم .

[و يواصل المسعودي حديثه بعد هذا الكلام فيقول] و من أخلاق العامة أن يُسَيِّدوا غير السيّد ، و يفضّلوا غير الفاضل ، و يقولوا بعلم غير العالم ، و هم أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين الفاضل و المفضول و الفضل و النقصان و لا معرفة للحقّ من الباطل عندهم .

ثم انظر ، هل ترى إذا اعتبرت ما ذكرنا ، و نظرت في مجالس العلماء ، هل تشاهدها إلا مشحونة بالخاصّة من أولي التمييز و المروءة و الحجبا .

و تفقد العامة في احتشادها و جموعها ، لا تراهم الدهر إلا مسرعين إلى قائد دبّ ، و ضارب بدفّ على سياسة قرد ، أو متشوّقين إلى اللهو و اللعب أو مختلفين إلى مشعبذ فتمسّ ممخرق ، أو مستمعين إلى قاصّ كذاب ، أو مجتمعين حول مضروب ، أو وقوفاً عند مصلوب . يُنَعَقُ بهم فيتبعون و يُصاح بهم فلا يرتدعون . لا ينكرون منكراً ، و لا يعرفون معروفاً و لا يبالون أن يلحقوا البارّ بالفاجر ، و المؤمن بالكافر . و قد بيّن ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فيهم حيث يقول : النَّاسُ اثْنَانِ : عَالِمٌ وَ مُتَعَلِّمٌ ، وَ مَا عَدَا ذَلِكَ هَمَجٌ رَعَاعٌ لَا يَعْباُ اللهُ بِهِمْ^١ . و كذلك ذكر

١- تطلق العوغاء على الجراد حين يخفّ للطيران أو بعدما ينبت جناحه . و يراد بهم هنا الكثير المختلط من الناس ، و هم السفلة المتسرّعون إلى الشرّ .

عن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد سُئِلَ عن العَامَّةِ ، فقال : هَمَجٌ رَعَاعٌ ؛ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

و أجمع الناس في تسميتهم على أنهم غوغاء^١ . و هم الذين إذا اجتمعوا ، غلبوا و إذا تفرقوا ، لم يعرفوا .

ثم تدبّر تفرقهم في أحوالهم و مذاهيم ، فانظر إلى إجماع مَلَيْهِمْ ، إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم قام يدعو الخلق إلى الله اثنتين و عشرين سنة ، و هو ينزل عليه الوحي ، و يمليه على أصحابه ، فيكتبونه و يدونونه و يلتقطونه لفظة لفظة . و حالة معاوية في هذه المدّة بحيث لا يعلمها إلا الله . ثم كتب له صَلَّى الله عليه وآله و سلم قبل وفاته بشهور . فأشادوا بذكره ، و رفعوا من منزلته : بأن جعلوه كاتباً للوحي ، و عظّموه بهذه الكلمة و أضافوها إليه ، و سلبوها عن غيره ، و أسقطوا ذكر سواه .

و أصل ذلك العادة و الإلفة ، و ما ولدوا عليه ، و ما نشؤوا فيه ، فألفوا وقت التحصيل و البلوغ ، و قد عملت العادة عملها ، و بلغت مبالغها . و في العادة قال الشعراء ، و تكلم أهل الدراية و الأدباء . قال الشاعر :

لَا تُهْنِي بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي
و قال آخر معاتباً لصاحبه :

وَ لَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَثْقَلُ مَحْمِلاً

مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا

و قد قالت حكماء العرب : العادة أملك بالآرب . و قالت حكماء

١-١- تطلق الغوغاء على الجراد حين يخف أو بعد ما ينبت جناحه. و يراد بهم هنا

الكثير المختلط من الناس، و هم السفلة المسرعون إلى الشر .

العجم: العادة هي الطبيعة الثانية .

وقد صنّف أبو عقّال الكاتب كتاباً في أخلاق العوامّ يصف فيه أخلاقهم و شيمهم و مخاطباتهم ، و سمّاه بـ «المُلهي» . ولولا أنّي أكره التطويل و الخروج عمّا قصدنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز ، لشرحتُ من نواذر العامة و أخلاقها ، و ظرائف أفعالها عجائب ، و لذكرتُ مراتب الناس في أخلاقهم و تصرّفهم في أحوالهم^١ .

أجل ، لقد نقلنا هذه المعلومات التاريخية عن كتابٍ لمؤرّخ و عالم اجتماعيّ مشهور ، يوثقه العامة و الخاصّة ، لتكون سنداً و حجّة للمؤالف و المخالف .

و ليعلموا أنّ عامّة الناس الذين يعيشون بهذا المستوى من الفكر و الخيال و العاطفة لا يستطيعون تعيين الإمام المعصوم .

فروح الإمام عليه السلام في نقطة من ذروة الحقائق و إدراك المعنويات و تشخيص الحقّ من الباطل . و للإمام فرقانٌ إلهيّ يفرق بين الصحيح و غير الصحيح ، بل هو في الدرجة العليا من هذا الفرقان . أي إنّ له قوّة تشخيصيّة و رادار نفسانيّ لا يخطئ . و لا يندم على ما فعل . إنّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا^٢ . و هو كالفرقان الذي جعله الله لموسى و هارون على نبيّنا وآله و عليهما الصلاة و السلام وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ^٣ . و إذ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ

١- «مروج الذهب» ج ٣ ، ص ٤١ إلى ٤٥ عند ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان . طبع

مطبعة السعادة بمصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢- الآية ٢٩ ، من السورة ٨: الأنفال .

٣- الآية ٤٨ ، من السورة ٢١: الأنبياء .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^١.

و للإمام بصيرة و نور يميّز بهما الطريق من الحفرة ، و الصالح من الطالح ، و الحقّ من الباطل ، و يسير في ضوئهما ؛ و ينظّم شؤونه و شؤون المتعلّقين بمجمعه على أساسهما . يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ^٢ .
 و من الواضح أنّ للإمام درجة عالية من هذا النور ، فأنتى للناس العوامّ و العاديين أن يصلوا إلى ذلك النور ليعرفوا الإمام ببصيرتهم لا يبصرهم ، فينتخبوه ؟!

و في ختام هذا الدرس نذكر رواية قيمة للغاية حول شروط الإمام وهي مأثورة عن معدن الولاية و الإمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام :

حديث الإمام الرضا عليه السلام الخاصّ بشروط الإمام

تحدّث المرحوم محمّد بن يعقوب الكلينيّ^٣ عن عبد العزيز بن مسلم قال : كنّا مع الرضا عليه السلام بمرور ، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف الناس فيها . فدخلتُ على سيدي الرضا عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسّم عليه السلام ثمّ قال : يا عبد العزيز ! جهل القوم و خُدِعوا عن آرائهم . إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه صلى الله عليه و آله حتّى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تبيانٌ كلّ شيءٍ . بيّن فيه الحلال و الحرام ، و الحدود و الأحكام ، و جميع ما يحتاج إليه الناس ، فقال عزّ وجلّ : مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

١- الآية ٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

١- الآية ٢٨ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٢- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ١٩٨ .

شَيْءٌ^١ . وَأُنزِلَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ ، وَهِيَ آخِرُ عَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
 أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
 دِينًا^٢ . وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ . وَ لَمْ يَمُضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ
 حَتَّى يَبَيِّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَ تَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ
 الْحَقِّ . وَ أَقَامَ لَهُمْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامَ عِلْمًا وَ إِمَامًا ، وَ مَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئًا تَحْتَاجُ
 إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيْتَهُ . فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكْمَلْ دِينَهُ ، فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ
 اللَّهِ ، وَ مِنْ رَدِّ كِتَابِ اللَّهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ . هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَ مَحَلَّهَا مِنْ
 الْأُمَّةِ ، فَيَجُوزُ فِيهَا اخْتِيَارَهُمْ ؟

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا وَ أَعْظَمُ شَأْنًا وَ أَعْلَى مَكَانًا وَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَ أَبْعَدُ
 غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَامًا
 بِاخْتِيَارِهِمْ . إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ بَعْدَ النَّبِوَّةِ
 وَالْخَلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَ فَضِيلَةَ شَرَفِهِ بِهَا وَ أَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ ، فَقَالَ : إِنْى جَاعِلُكَ
 لِلنَّاسِ إِمَامًا^٣ . فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُرُورًا بِهَا « وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي » ؟ قَالَ اللَّهُ
 تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ .

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة ، و صارت في
 الصفوة . ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة و الطهارة
 فقال :

وَ وَهَبْنَا لَهُوَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلاًَّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ *
 وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ

١- الآية ٣٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- الآية ٣ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

وَإِتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ١.

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال جلّ وتعالى: **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ٢.

فكانت له خاصّة، فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** ٣.

فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن أين يختار هؤلاء الجهال الإمام؟ إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء. إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين. إن الإمامة أُسّ الإسلام الناميّ، وفرعه الساميّ. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، و يقيم حدود الله، و يذبّ عن دين الله، و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة، و الموعدة الحسنة، و الحجّة

١- الآيتان ٧٢ و ٧٣، من السورة ٢١: الأنبياء.

٢- الآية ٦٨، من السورة ٣: آل عمران.

٢- الآية ٥٦، من السورة ٣٠: الروم.

البالغة . الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم ، و هي في الأفق بحيث لاتنالها الأيدي و الأبصار .

الإمام البدر المنير ، و السراج الزاهر ، و النور الساطع ، و النجم الهادي في غياهب الدجى و تيه البلدان و القفار ، و لجاج البحار . الإمام الماء العذب على الظمأ ، و الدال على الهدى ، و المنجي من الردى . الإمام النار على اليفاع ، الحار لمن اصطلى به ، و الدليل في المهالك . من فارقه فهالك . الإمام السحاب الماطر ، و الغيث الهاطل ، و الشمس المضيئة ، و السماء الظليلة ، و الأرض البسيطة ، و العين الغزيرة ، و الغدير و الروضة .

الإمام الأنيس الرفيق ، و الوالد الشفيق ، و الأخ الشقيق ، و الأم البرّة بالولد الصغير ، و مفزع العباد في الداهية النّاد^١ . الإمام أمين الله في خلقه ، و حجته على عباده ، و خليفته في بلاده ، و الداعي إلى الله ، و الذاب عن حرم الله .

الإمام المطهر من الذنوب و المبرأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم ، نظام الدين ، و عزّ المسلمين ، و غيظ المنافقين ، و بوار الكافرين .

الإمام واحدٌ دهره ، لا يدانيه أحد ، و لا يعادله عالم . و لا يوجد منه بدل و لا له مثل و لا نظير . مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له و لا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب . فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره ، هيئات هيئات !

ضلّت العقول ، و تاهت الحلوم ، و حارت الأبواب ، و خسّست العيون ، و تصاغرت العظماء ، و تحيّرت الحكماء ، و تقاصرت الحلما و حصرت الخطباء ، و جهلت الأبناء ، و كلّت الشعراء ، و عجزت الأدباء .

وعيبت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير . وكيف يوصف بكله ، أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه و يغني عنه ؟ لا ، كيف ؟ و أتى ؟ و هو بحيث النجم من يد المتناولين ، و وصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ و أين العقول عن هذا ؟ و أين يوجد مثل هذا ؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله و سلم ؟ كذبتهم - والله - أنفسهم ، و منتهم الأباطيل ، فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً ، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم . راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة ، و آراء مضلّة . فلم يزدادوا منه إلا بعداً ، قتلهم الله أنى يُؤفكون^١ . و لقد راموا صعباً ، و قالوا إفكاً ، و ضلوا ضلالاً بعيداً ، و وقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن بصيرة ، و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل و كانوا مستبصرين^٢ . رغبوا عن اختيار الله ، و اختيار رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و أهل بيته إلى اختيارهم . و القرآن يناديهم : وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ^٣ . و قال : مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٩ : التوبة . هذه الآية على رواية الصفوانى كما أشار إليه

المجلسي .

٢- الآية ٣٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٣- الآية ٦٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ^١ . و قال عز وجل : أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ إِنْ أُمَّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا^٢ . أم : طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^٣ . أم :
قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِكُمْ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا
وَ هُمْ مُعْرِضُونَ^٤ . أم : قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا^٥ .

بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . فكيف لهم
باختيار الإمام ؟ و الإمام عالم لا يجهل ، و راع لا ينكل ، معدن القدس
و الطهارة ، و النسك و الزهادة ، و العلم و العبادة ، مخصوص بدعوة الرسول
صلّى الله عليه وآله و نسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ،
و لا يدانيه ذو حسب ، فالبيت من قريش و الذروة من هاشم ، و العترة من
الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم و الرضا من الله عزّ وجلّ ، شرف
الأشراف ، و الفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع
بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عزّ وجلّ ، ناصح
لعباد الله ، حافظ لدين الله .

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأُتَمَّةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُوقَفُ لَهُمُ اللَّهُ وَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ
مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَ حَكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ ، فيكون علمهم فوق علم أهل
الزمان في قوله تعالى : أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا

١- الآيات ٣٧ إلى ٤٢ ، من السورة ٦٨ : القلم .

٢- الآية ٢٤ ، من السورة ٤٧ : محمد .

٣- الآية ٨٧ ، من السورة ٩ : التوبة . «طبع على قلوبهم» .

٤- الآيات ٢١ إلى ٢٣ ، من السورة ٨ : الأنفال . ٤- الآية ٢٦٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥- الآية ٩٣ ، من السورة ٢ : البقرة . ٥- الآية ٢٤٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^١ . وقوله تبارك و تعالی : وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^٢ . وقوله في طالوت إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^٣ .

و قال لنبیہ صلی اللہ علیہ وآلہ : أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^٤ . و قال في الأئمة من أهل بيت نبیہ و عترته و ذریته ، صلوات اللہ علیہم : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا^٥ .

و إن العبد إذا أختاره اللہ عزوجل لأمر عباده ، شرح صدره لذلك و أودع قلبه ينابيع الحكمة ، و ألهمه العلم إلهاماً . فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب . فهو معصوم مؤيد ، موفق مسدد . قد آمن من الخطايا و الزلل و العثار ، يخصه اللہ بذلك ليكون حجته على عباده و شاهده على خلقه . و : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^٦ .

فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه ؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه ؟ تعدوا - و بيت اللہ - الحق ، و نبذوا كتاب اللہ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، و في كتاب اللہ الهدى و الشفاء ، فنبدوه و اتبعوا

١- الآية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس . ٦- الآية ١١٣ ، من السورة ٤ : النساء .

٥- الآيتان ٥٤ و ٥٥ ، من السورة ٤ : النساء . ٤- الآية ٨ ، من السورة ٤٧ : محمد .

٦- الآية ٤ ، من السورة ٦٢ : الجمعة . ٥- الآية ٣٥ ، من السورة ٤٠ : غافر .

أهو آءهم ، فذمهم الله و مقتهم و أتعسهم ، فقال جلّ و تعالى : وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .^١ وقال : فَتَعَسَا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ .^٢ وقال : كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ .^٣ و صلى الله على النبي محمّد و آله و سلّم تسليماً كثيراً .

أجل ، لمّا فاض هذا الحديث عن معدن الولاية ، و ينبوع الإمامة و ترشّح عن شفتي الإمام الثامن ، و كانت كلّ كلمة من كلماته كنزاً نفيساً ينبغي التفكير به مليّاً ، و طلب فهمه و إدراك حقائقه من الله ، أتينا به كلّ تنويراً للعقول ، و تفريحاً للقلوب ، و إنعاماً للعيون .

و نستخلص من بحثنا هذا ، أنّ الطريق لاختيار الإمام مسدود بوجه الإنسان . و لمّا كان فكره لا يصل إلى مقامات الإمام و درجاته . و مستواه لا يتجاوز حدود أفكاره و أهوائه ، فليس له مثل ذلك الحق .

و قال البعض^٤ : كما أنّ احتمال الخطأ موجود في الخبر الواحد ، و غير موجود في الخبر المتواتر ، إذ إنّ المتواتر يفيد اليقين ، فلذلك ، إذا أراد شخص واحد أن ينتخب الإمام ، فاحتمال الخطأ في انتخابه كبير ، بيدّ أنّه كلّما أزداد عدد الناخبين ، فإنّ ذلك الاحتمال يضعف ، فيما إذا قام إجماع أهل الحلّ و العقد على ذلك ، إلى أن يزول شيئاً فشيئاً ، و تكون نتيجة الأصوات معصومة . و نقول هنا بأنّه قد اتّضح من خلال بحثنا أنّ هذه الدعوى باطلة ، و الخبر المتواتر لا يسعفنا في هذا المجال ؛ لأنّ شرطه أن يخبر المخبرون عن أشياء محسوسة ، و ذلك أنّ احتمال الخطأ وحده و ارد

٣- الآية ٥٠ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٤- تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤١٨ . عند التعرّض لأدلة القائلين بالاختيار .

في كلّ إخبار من إخباراتهم ، و يحصل اليقين بصدق الخبر من خلال كثرة المخبرين بدون تواطؤ . و أمّا إذا أخبروا عن المعقولات و الآراء ، فلا يفيد خبرهم اليقين أبداً . و بصورة عامّة ، فإنّ الخبر المتواتر لا ينطبق على هذه الأمور . و هكذا موضوع انتخاب الإمام ، فإنّه لا يتيسّر لأناس ليس بمقدورهم أن يدركوا فضائل الإمام و ملكاته و نفسيّاته الخفيّة المخفيّة و حالاته الروحيّة و درجات قربه من عوالم التوحيد ، سواء كانوا شخصاً واحداً أو مائة ألف شخص ؛ فإنّهم كلّهم في درجة واحدة و مستوى واحد ، و سوف لن تنكشف تلك الملكات و الفضائل الروحيّة باجتماعهم وانتخابهم أبداً . لذلك فإنّ طريق الإختيار مسدود ، و إنّ اختيارهم لن ينتج عصمة في الرأي و صوتاً عن الخطأ .

الدَّرْسُ العَشْرُونَ

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ

وَعَلَى رَأْسِ أُمُورِهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ آلَانِ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^١

إنَّ ما يفهم عن الإمامة من منظار العقل و الشرع هو أنَّ الإمامة
-كالنبوة - منصب من الله على أساس اللطف بالعباد ، مع أنَّ شأن الرسول
هو تشريع الأحكام و القوانين بواسطة الوحي الإلهي ، و شأن الخليفة هو
إيصال الأحكام و تبين الآداب و السنن ، و توضيح المجملات ، و تفسير
المعضلات ، و تطبيق الآيات و الكمالات على المصاديق و الموضوعات
و القتال على التأويل كما قاتل النبيّ على التنزيل ؛ و كذلك إظهار و بيان
صريح لبعض خصوصيات الأحكام التي لم تساعد الظروف على التصريح
بها في عصر رسول الله لأسباب ما ، أو بسبب تأخر الظروف و عدم تحقّق

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

موضوعاتها ، أو بسبب عدم استعداد النفوس لقبولها ، و كما أن أصول الكتاب نزلت على الناس تدريجياً ، و أن القوانين و الأحكام وصلتهم شيئاً فشيئاً لأسباب ما ، ف كذلك فروع الأحكام ، و خصوصيات الموضوعات و بيان الحقائق ، و تأويل القرآن ، فإن كل تلك الأشياء ينبغي أن تتضح لهم تدريجياً . و هذا هو ما يقوم به الخليفة و الإمام .

في لزوم نصب الإمام المعصوم حسب قاعدة اللطف الإلهي

لما اقتضى اللطف الإلهي أن يصطفي الله الأنبياء لتقريب العباد إلى طاعة الله و إبعادهم عن معصيته ، و الوصول إلى مقام القرب و حرم الله الآمن ، ليؤدّبوا العباد بآداب العبودية ، و يُعلّموهم ما خفي عليهم و جهلوه و يُعلّموهم أن الله لم يخلقهم كالأنعام ليأكلوا و يشربوا و يعيشوا غافلين ، بل خلقهم للمعرفة ، حتى يتلمّسوا طريق رضاه بتوجيه الأنبياء و إرشادهم و بذلك يَسّر عليهم طرق السلوك ، و أتمّ عليهم الحجة بإرسال الرسل و إنزال الكتب ، و تتابع الوحي الإلهي في كل عصر ، و هداهم إلى طريق السعادة بواسطة الأنبياء . لما اقتضى اللطف الإلهي كل تلك الأشياء ، ف كذلك اقتضى أن يكون للدين أئمة بعد الأنبياء و هم أفضل الخلق و أعرفهم و أعلمهم بحقائق الدين ، لكي يوصلوا النفوس التي لم تكتمل بعد إلى الكمال و يبلغوا الأحكام المشرّعة التي لم تُبلّغ للناس لأسباب ما ، و يربّوا الأشخاص الذين لم يتشرّفوا برؤية الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و الاستفادة منه فيفقدونهم نحو طريق الهداية ، و ليس من المعقول أن يهمل الله الأمة و يتركها بدون من يدير شؤونها ، في حين أن جميع الناس متساوون من حيث الحاجة إلى من يرّبّهم و يعلمهم ، و جميعهم متكافئون من حيث شمولهم بقاعدة اللطف الإلهي .

إذن ، من اللازم على الله تبارك و تعالی أن یبعث من یوجّه النفوس نحو الكمال ، و هو الذي یكمل الشریعة ببیانه ، و یدفع شبهات الملحدين و یسیر عالم الجهل بنور العرفان ، و یوضّح معارف الدین و أسرارہ للنفوس ، المستعدّة . و یصدّ أعداء الدین بقوّة السلاح ، و یقوم الاعوجاج بیده و لسانه ، و یرفع النقائص و یملأ الفراغ . و لمّا كانت هناك فاصلة زمانیة بین نبیین ، و لا وجود لشریعة و قانون بعد خاتم النبیین ، فسوف یكون وجود الإمام بین الشرائع ، و بعد وفاة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلّم لازماً و ضروریّاً بوصفه العلة المبقیة لأساس الفرض . و لمّا أخذ الله على نفسه أن یمنّ على عباده بلطفه الخفیّ ، و یرعاهم رعاية دقیقة ، و یهدیهم و یحسن بهم ، و لا یرید إلاّ خیرهم و سعادتهم ، لذلك علیه أن لا یترك دین نبیّه ناقصاً بارتحاله ، و إنّما یواصل رعايته للدین من خلال تعیین الإمام الذي یرتفع هو فقط أن یحمل هذه المهمة الثقيلة ، و هو الأنموذج الأكمل و المثل الأعلى لوجود النبیّ في كافة الخصوصیات ؛ و هو الذي یقود الناس نحو الكمال . من هذا المنطق كان تعیین الوصیّ فرضاً على النبیّ ، لذلك نصب الله علیّاً بن أبی طالب علیه السلام وصیّاً على الأمة كافة ، بواسطة النبیّ . و مضافاً إلى التأكيدات الواردة على خلافته و وصایته طیلة عصر النبوة الممتدّ ثلاث و عشرين سنة سواء في مكّة أو في المدينة . إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلّم عندما عاد من حجّة الوداع ، وقف عند غدیر خم فنصب علیّاً إماماً و خليفة بمشهد و مرأى مائة ألف من المسلمین أو یزیدون .

ولكن ما إن رحل رسول الله إلى ربّه حتى تأمر القوم في سقیفة بني ساعدة ضدّ النصّ النبویّ الشریف متدرّعين بالتحمّس للإسلام ، فأعرضوا عن وصیّ رسول الله ، و دعوا الناس إلى بیعتهم ، و فعلوا من الأفاعیل ما

فعلوا . حتى إذا ارتقوا منبر النبي ، عجزوا عن تلبية حاجات الناس ، و عيوا عن الإجابة على أسئلتهم و حلّ مشاكلهم ، و وهنوا في إدارة شؤون المسلمين حتى على الصعيد الظاهريّ و رجعوا إلى قطب الرحى أو مولى المولى كراراً و مراراً . لذلك رأى علماء السنّة و أنصارهم أنّ إمامة الأفضل غير واجبة على الأمة ، و يمكن نصب المفضل مع وجود الأفضل ، و لا يلزم تعيين الإمام من قبل الله . فالاختيار بيد الأمة ، يولّون من شاءوا لزعامتهم . و عندما يناقش هؤلاء و تتلى عليهم الآيات القرآنية ، و الأخبار الصحيحة المأثورة في هذا الموضوع ، و المثبتة في كتبهم ، فلا جواب لهم غير قولهم : لمّا كان هذا هو فعل السلف الصالح ، و نحن لاحق لنا أن نتدخل و ننتقد فعل الصحابة ، فعلينا أن نقرّ بكلّ ما فعلوه مهما كان الفاعل و مهما كان الفعل . و ليس لنا أن نقاش ، و ننتقد ، و نجرح ، و نعدّل ، و نحلّل و ندقق ، إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ .^١

اعتذار أهل السنّة بشأن عدم انتقاد عمل الصحابة هو اعتذار الجاهليين

فهذا الجواب هو جواب أهل الجاهليّة أنفسهم في مقابل البراهين الساطعة و الآيات الباهرة لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فعندما كان يقرأ عليهم آيات الله ، و يسدّ منافذ الشرك عليهم عن طريق العقل و الفطرة . و يلزمهم بعبادة الله وحده ، و يبيّن ذلك لهم بالدليل و البرهان كانوا يقولون : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ .^٢

و عندما كان يقال لهم هلّموا اتبعوا أحكام الله ، كانوا يقولون : لانترك ما ألفينا عليه آبائنا : وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا

١- الآية ٢٣ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٢- الآية ٢٢ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ^١.

و نحن أيضاً نقول لأهل السنّة : هل الميزان في الدين و تعاليمه هو كتاب الله و سنّة نبيّه ؟ أو أنّ لعمل الصحابة حجّيته مقابلهما ؟ فلو كانت الحجّة كتاب الله و سنّة رسوله ، فلا يجب أن يُحقّق في أعمالهم على الكتاب والسنّة فيستحسن الحسن منه و يستقبح القبيح . أمّا إذا اتّخذنا عمل الصحابة دليلاً للاعتقاد و العمل و نظرنا إليه نظرتنا إلى الكتاب والسنّة ، فعند ذلك يظهر لنا دين جديد متمخّضاً عن عمل الصحابة و عمل رسول الله . و من الطبيعيّ ، فإنّ هذا الدين سوف لن يكون ديناً سماوياً ، و ذلك لأنّنا يجب أن نعطلّ بعض السنّة أو بعض الكتاب و نضعهما جانباً بسبب حجّية عمل الصحابة ، و نتركهما عند تعارضهما مع عمل الصحابة . و محصّلة ذلك أنّ عمل الصحابة هو ملاك العمل ، فأين هذا التصرّو ؟ و أين الإسلام ؟

لقد أجاب السنّة جواب أهل الجاهليّة ، و اتّخذوا من اتّباع السلف و الصحابة ملاكاً لعملهم معرضين عن الآيات القرآنيّة الصريحة و الأخبار المتضافرة المتواترة بشأن و صاية أمير المؤمنين عليه السلام و خلافته الحقّة . و قد أولوا كلّ واحدة منها بنحو لا يقبل التأويل ، و برّروها بمبرّرات باهتة يدحضها المنطق : وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ^٢.

«و عندما يقال لهم : تعالوا نتبع ما أنزل الله و نقتدي بسيرة النبيّ

١- الآية ١٧٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ١٠٤ ، من السورة ٥ : المائدة .

وعمله (و هما أصلان أصيلان للاعتقاد والعمل و لا نلحق بهما شيئاً آخر و نجعله من أصولنا الاعتقادية و لا نتبع الأهواء الباطلة . الميزان هو الحق وكفى . لا عمل الصحابة . الميزان قول الله و سيرة رسوله ، لا عمل البشر المرعّضين للخطأ) قالوا : حسبنا سيرة آبائنا و كبرائنا (يقول الله) : إنّ آباءهم لا يعلمون شيئاً أبداً و لا يهتدون إلى الطريق المستقيم».

يلاحظ في بعض الأقوال و كذلك في بعض الكتابات ، أننا لماذا نأتي بعد مضيّ ألف سنة و نحقق في أقوال الصحابة و أفعالهم ، و نلقي اللوم و العتاب عليهم ، و نقيس أقوالهم و أفعالهم بميزان القرآن و الأخبار المأثورة عن الرسول الكريم . و نطعن في بعضهم فنخرجهم عن الصدق و الأمانة . لقد مضى عصر هذه المناقشات و المداولات ، و ما وجدنا أساء الصحابة أم أحسنوا ، فحسابهم على الله ، و ماذا يهّمنا من ذلك ؟ و وقتنا ضيق و عصرنا لا يسمح لنا أن نخوض في الاختلافات التي عرفنا آثارها في الماضي إذ أفضت إلى تهيج المشاعر و العواطف المذهبية ، و هذا ما سيجرّ إلى الجدال و النزاع . ولكن عندما نلقي نظرة عابرة على تلك التوجّهات ، فسيتضح لنا أنّها اعتراضات ليست في محلّها ، لأنّ النظر في سيرة الصحابة ليس من باب تتبّع العثرات و العيوب حتّى يثير العواطف بل هو من باب أن يكون ملاك عملنا و أسلوبنا على أساس صحيح و كفى . فلا نضمّر قصداً آخر أبداً . و لنجلس مع إخواننا أهل السنّة بأخوة ، و نناقش هذه القضايا بحرّيّة تامّة ، و نبذكلّ لون من ألوان التعصّب الجاهليّ ، لتتضح كلّ حجة من الحجج الشرعيّة التي هي ملاك عملنا ، فلا نجعل عملنا - لا سمح الله - على أساس غير إسلاميّ و غير صحيح سنين طويلة و أعمار مديدة و قرون متمادية . فإذا لا نعرف الصحابة ، و لا نعرف أساليبهم ، و مستواهم العمليّ و الإيمانّيّ ، و جعلنا عملنا وفقاً لعملهم و سيرتهم سنين متمادية دون

أن نلتفت إلى ذلك ، و احتججنا بأفعالهم ، فهل هذا التوجّه صحيح أو لا ؟ إن موضوعنا لا يحوم حول إحسان الصحابة وإسائتهم من وجهة نظرهم الخاصة بالذات . و أمير المؤمنين عليه السلام يقول : **وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ** .^١ إنما نعرض موضوعنا من حيث اصطدام عملنا بسيرتهم . هذا ألمٌ موحز ، فنحن نريد أن نكون مسلمين وفقاً لاعتقادنا ، و نجعل الحق ملاكاً لعملنا ، و نتمتع على شريعة سيّد المرسلين ، و إذا بنا نرى أن الذي يجري هو معاكس لهذا الهدف ، و ذلك بسبب السير وراء أشخاص لم ينطبق عملهم على الكتاب و السنة ، و نحن نحاول جاهدين أن يكون ديننا خالصاً لله ، **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** .^٢ ثم نجد ملوثاً و مشوباً بالشوائب . **فَهَذِهِ هِيَ الْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى** . و أننا نخشى أن ننضوي تحت عنوان الآية الشريفة : **وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** .^٣ و نخشى كذلك أن نكون مصداقاً لهذه الآية : **أَفْرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** .^٤

و نخاف أن نفتري على الله ، و نمتعض من التشريع المحترم و نفرّ منه ، **وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** .^٥

نحن نريد أن نكون ، و معنا جميع المسلمين ، بل و كافة أهل العالم تابعين للشريعة الحقّة و الدين الخالص النقيّ من جميع شوائب الخرافة

١- راجع «نهج البلاغة» طبعة محمّد عبده ج ١ ، ص ٢٨٣ ، الخطبة ١٥٤ للوقوف على

عمل عائشة في حرب الجمل .

٢- الآية ٥ ، من السورة ٩٨ : البينة .

٤- الآية ٢٣ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٣- الآية ١١٩ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٥- الآية ٧ ، من السورة ٦١ : الصف .

و التعصّب القوميّ و العنصريّ و المطهّر من كافة الأوساخ و القاذورات التي علقت به على مرّ التاريخ . أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ^١ .

فالدين الإسلاميّ هو دين العقل و العلم و البصيرة ، دين التفكّر و التأمل و الإمعان ، و لذلك فعلينا أن نطلع اطلاعاً كافياً على تفاصيل السيرة النبويّة و سيرة الأئمّة المعصومين ، و نتعرّف على أسلوب الصحابة و طريقة تفكيرهم بصورة تامّة ، و لا نكتفي بالظنّ فقط . وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ^٢ . وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ^٣ . بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ^٤ .

يقول علماء السنّة : العصمة و الأفضليّة غير واجبتين في الإمام ؛ لأنّهم يعتبرون منصب الخليفة النظر في الشؤون الاجتماعيّة و الشؤون العامّة فقط . مثل إقامة الحدود ، و قطع يد السارق ، و القصاص ، و المحافظة على الأمن ، و جمع الزكاة و حفظها . و الحرص على بيت المال و المحافظة عليه ، و حراسة الحدود و الثغور ، و تجهيز الجيش ، و دفع الظلم ، و تقسيم الفيء بين المسلمين ، و إرسال المسلمين إلى الحجّ و الجهاد . و يقولون : لا تجب الأفضليّة في مثل هذه الأمور ، فربّما يكون غير الأفضل و غير الأعلّم أكفأ من غيره فيها ، و أقدر عليها ، و أصوب عملاً ، لذلك يجب على الأئمّة عزل الأفضل ، و نصب المفضول مكانه للخلافة . و يقولون : تنعقد الخلافة بوصيّة الخليفة السابق و تنصيبه ، أو بيعة أهل الحلّ و العقد . كما في وصيّة أبي بكر بالخلافة لعمر ، و بيعة المسلمين للخلفاء التالين .

٣- الآية ٢٨ ، من السورة ٥٣ : النجم .

١- الآية ١٤ ، سورة ٤٧ : محمد .

٤- الآية ٢٩ ، من السورة ٣٠ : الروم .

٢- الآية ٣٦ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

ولا تجب بيعة جميع أهل الحلّ والعقد، بل تكفي بيعة واحد أو اثنين منهم، أو خمسة كحدّ أعلى. والدليل على ذلك هو أنّه لم يبايع أبوبكر يوم السقيفة إلاّ بضعة أشخاص، هم: عمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن خضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة.

قال الماوردي: «اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ليكون الرضاء به عامّاً، والتسليم لإمامته إجماعاً. وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر بيعته قدوم غائب عنها. وقالت طائفة أخرى: أقلّ من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين: أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها، وهم المذكورون سابقاً.

الثاني: أنّ عمر جعل الشورى في سنة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة وقال آخرون: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضى الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين. وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد؛ لأنّ العباس قال لعليّ: **امدّد يدك أبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّه فلا يختلّف عليك اثنان**».

تصريح أهل السنة في عدم لزوم الإمام المعصوم

والدليل الآخر هو «لأنّ البيعة حكم و حكم الواحد نافذ»^١.

١- «الغدِير» ج ٧، ص ١٤٢.

و يتفق على هذا الموضوع ، كفاية بيعة الواحد من أهل الحلّ و العقد ، إمام الحرمين الجويني في كتاب «الإرشاد» ، و الإمام ابن العربي المالكي في «شرح صحيح الترمذي» ، و القرطبي في تفسيره ، و الإمام أبو المعالي وآخرون .^١ و حتى التفتازاني يقول في «شرح المقاصد» : إذا مات الإمام و تصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة و استخلاف و قهر الناس بشوكة انعقدت الخلافة له . و كذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلا أنه يُعصى فيما فعل . و يجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً .^٢

و أما الصفات التي يجب أن يتّصف بها الخليفة فهي : أن يكون قرشياً ، و أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين ، و أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، و تدبير الجيوش و السرايا و سدّ الثغور ، و حماية البيضة ، و حفظ الأمة ، و الانتقام من ظالمها و الأخذ لمظلومها ، و أن يكون ممّن لا تلحقه رقّة و لا هواده في إقامة الحدود و لا جزع لضرب الرقاب و الأبخار . و لا يلزم أن يكون من أفضل الأمة ، بل يسوغ نصب المفضول إذا اقتضت المصالح . و ليس من صفاته أن يكون معصوماً ، و لا عالماً بالغيب ، و لا أفرس الأمة و أشجعهم ، و لا أن يكون من بني هاشم فقط ، و هو و سائر الأمة في العلم سيّان ، فلا يلزم أن يكون أعلم من غيره . فإن قالوا : إلى من يرجع الناس في المسائل ، و إلى من يُرجعون ما خفي عليهم ؟ قيل : الإمام ليس مسؤولاً عن ذلك ، بل هو مسؤول عن الأمور الاجتماعية الظاهرية كما ذكرنا .

١- «الغدير» ج ٧ ، ص ١٤٢ و ١٤٣ .

٢- «الغدير» ج ٧ ، ص ١٣٩ .

وقال جمهور أهل السنة من أهل الإثبات: لا ينخلع الإمام بفسقه وغصب الأموال، و ضرب الأبخار، و تناول النفوس المحرمة، و تضييع الحقوق، و تعطيل الحدود و سائر المحرمات، و لا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه و تخويله. و إطاعته واجبة على كل حال حتى لو جار و استأثر بالأموال لما أثار عن النبي و الصحابة القول: **اسْمَعُوا و أَطِيعُوا و لَوْ لِعَبْدٍ أَجْدَع، و لَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ، و صَلُّوا و رَأَى كُلِّ بَرٍّ و فَاجِرٍ. و رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: أَطِيعُهُمْ و إِنْ أَكَلُوا مَالَكَ و ضَرَبُوا ظَهْرَكَ و أَطِيعُوهُمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ.**

نقلنا هذه المواضع عن أبي بكر الباقلاني صاحب كتاب «التمهيد» الذي ذكرها في الأصول وفقاً لآراء أهل السنة.^١

الروايات المجعولة في لزوم إطاعة الحاكم الجائر

يستدل العامة على وجوب إطاعة الخليفة و الحاكم الجائر، كما أشار إلى ذلك الباقلاني، بأخبار كثيرة رووها. و نحن نذكر فيما يلي بعضها:

يقول العلامة الأميني:^٢ روي في «صحيح مسلم» و «سنن البيهقي» عن حذيفة بن اليمان أنه قال: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَّرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَ هَلْ وَّرَاءَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ وَّرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: كَيْفَ يَكُونُ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايِ وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي. وَ سَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ. قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ**

١- «الغدیر» ج ٧، ص ١٣٦ و ١٣٧.

٢- «الغدیر» ج ٧، ص ١٣٧.

وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَ أَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَ أَطِيعْ .

و في «صحيح مسلم» و «سنن البيهقي» عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال : سمعت رسول الله يقول : خِيَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَ يُحِبُّونَكُمْ وَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَ يُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ . وَ شِرَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَ يُبْغِضُونَكُمْ وَ تَلْعَنُونَهُمْ وَ يَلْعَنُونَكُمْ . قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا تُنَادِبُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَإِلِ فَرَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ لَا تَنْزَعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ .

و في «صحيح مسلم» و «سنن البيهقي» أيضاً عن سلمة بن يزيد الجعفي أنه سأل النبي : فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَنَا حَقَّهُمْ وَ يَمْنَعُونَنَا حَقَّنَا . فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : فَأَعْرِضْ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلِّمْ ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ .

و فيهما أيضاً عن المقدم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : ١ أَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ مَا كَانَ ، فَإِنْ أَمَرُوكُمْ بِمَا حَدَّثْتَكُمْ بِهِ فَإِنَّهُمْ يُوجِرُونَ عَلَيْهِ وَ تَوَجَّرُونَ بِطَاعَتِكُمْ ، وَإِنْ أَمَرُوكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا لَمْ أَمُرْكُمْ بِهِ فَهُوَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتُمْ مِنْهُ بُرَاءٌ . ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ إِذَا لَقِيتُمْ اللَّهَ قُلْتُمْ : رَبَّنَا لَا ظُلْمَ ؟ فَيَقُولُ : لَا ظُلْمَ . فَتَقُولُونَ : رَبَّنَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَأَطَعْنَاهُمْ بِإِذْنِكَ وَ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا خُلَفَاءً . ٢ فَأَطَعْنَاهُمْ بِإِذْنِكَ ، وَأَمَرْتَ عَلَيْنَا أُمَرَاءً فَأَطَعْنَاهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ : صَدَقْتُمْ هُوَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتُمْ مِنْهُ بُرَاءٌ .

١- ذكرت هذه الرواية أيضاً في «الدرر المنتور» ج ٢ ، ص ١٧٨ .

٢- هذا افتراء على الله . إن الله قط لم يستخلف و لم يؤمر على الأمة خلفاء الجور

وأمراءه ، و لم يوجب طاعتهم .

وفي «سنن البيهقي» عن سويد بن غفلة أنه قال: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ! لَعَلَّكَ أَنْ تَخْلَفَ بَعْدِي، فَاطِعِ الْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا. إِنْ ضَرَبَكَ، فَاصْبِرْ. وَإِنْ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ، فَاصْبِرْ. وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ وَإِنْ ظَلَمَكَ، فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ يَنْقُصُ دِينَكَ فَقُلْ: سَمِعْتُ وَطَاعَةَ، دَمِي دُونَ دِينِي.^١

ويروي السيوطي أيضاً عن ابن جرير، عن ابن زيد في قوله، تعالى: «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قَالَ: قَالَ أُمَيُّ: هُمُ السَّلَاطِينُ: قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَ سَلَّمَ: الطَّاعَةَ وَ فِي الطَّاعَةِ بَلَاءٌ. وَقَالَ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ الْأَمْرَ فِي الْأَنْبِيَاءِ - يَعْنِي لَقَدْ جَعَلَ إِلَيْهِمُ وَالْأَنْبِيَاءَ مَعَهُمْ - أَلَا تَرَى حِينَ حَكَمُوا فِي قَتْلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا.^٢

ويروي أيضاً عن البخاري عن أنس: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَ سَلَّمَ: اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ إِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَبِيئَةً.^٣

ويروي أيضاً عن أبي هريرة أن النبي قال: سَيَلِكُمْ بَعْدِي وُلَاةٌ فَيَلِيكُمُ الْبُرِّ بِيْرُهُ وَالْفَاجِرُ بَفَجْرِهِ فَاسْمَعُوا لَهُمْ وَ أَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الْحَقُّ وَ صَلُّوا وَرَاءَهُمْ. فَإِنْ أَحْسَنُوا فَلَهُمْ وَ لَكُمْ. وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ.^٤

أجل، فهذه نماذج من الروايات التي نقلها العامة في كتبهم، وبنوا إطاعة أولي الأمر على أساسها. إنهم يوجبون إطاعة الأمراء ما أقاموا

١- «الغدير» ج ٧، ص ١٣٨. وجاءت هذه الرواية في «الدرّ المشور» ج ٢، ص ١٧٧.

٢ و ٣- «الدرّ المشور» ج ٢، ص ١٧٦.

٤- «الدرّ المشور» ج ٢، ص ١٧٧.

الصلاة، أي أكانوا، و مهما فعلوا. و لاريب - طبعاً - أن هذه الروايات كلها موضوعة. فبعد أن استلم الحكم سلاطين الجور، بالأخص في عصر معاوية، وضع العلماء روايات حجة للتغطية على قبائح أولئك السلاطين وكم الأفواه؛ و أذاعوها بين الناس؛ إنهم نشروا تلك الأباطيل و بثوا تلك الأحكام على خلاف النصوص الصريحة الواردة في الكتاب العزيز و سنة نبينا الكريم صلى الله عليه و آله و سلم. و لقد أخبر رسول الله نفسه عن هذه المصيبة، فقال ما مضمونه: «ستظهر بين الناس بعدي أحاديث، فكل ما وجدتموه منها مخالفاً لكتاب الله، فاضربوه عرض الجدار». أي ألقوها جانباً، و لا تعيروا لها اهتماماً، فقد وضعها الوضاعون فأضلوا بها الناس المساكين، و نحن ينبغي أن نطبق تلك الروايات على كتاب الله قبل الرجوع إلى سندها.

الآيات الدالة على حرمة طاعة أهل المعصية

ننقل هنا عدداً من الآيات القرآنية: قال تعالى: **فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ^١** وَ لَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ^٢ وَ لَا تُطِعِ الْكٰفِرِينَ وَ الْمُنٰفِقِينَ وَ دَعِ أَذْبٰبَهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ^٣. و: **فَلَا تُطِعِ الْكٰفِرِينَ وَ جٰهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا^٤** وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ^٥. **فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا^٦**. وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا^٧. **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتِنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولًا***

١- الآية ٨، من السورة ٦٨: القلم. ٥- الآية ١٥١، من السورة ٢٦: الشعراء.

٢- الآية ١٠، من السورة ٦٨: القلم. ٦- الآية ٢٤، من السورة ٧٦: الدهر.

٣- الآية ٤٨، من السورة ٣٣: الأحزاب. ٧- الآية ٢٨، من السورة ١٨: الكهف.

٤- الآية ٥٢، من السورة ٢٥: الفرقان. ٨- الآيات ٦٦ - ٦٨، من السورة ٣٣: الأحزاب.

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا .^١ وَذُرُوا ظَهْرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ
إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذْكَرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ
لِيَجْذِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ .^١ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ
وَأَقْتَرِب .^٢

و هذه نماذج من الآيات التي تحرّم متابعة الظالم و طاعته مهما كان
عنوانه . و تمنع صراحة من اتباعه .

في ضوء هذا ، لما كانت الأخبار المذكورة فيما سبق مخالفة لنص
القرآن ، فلا اعتبار لها . و نسبتها إلى رسول الله ذنب لا يغتفر . و كل من
كان له إمام بالكتاب و السنّة ، و كان متفاعلاً مع روح الدين ، فإنّه يقف
على بطلانها حالاً .^٣

و نحن نقرأ في القرآن أنّ الله ينهى الإنسان عن إطاعة والديه إذا
أمرهم بمعصية ، فكيف يأمره بإطاعة الفسّاق و الفجّار و الظلمة ؟ و إنّ
جَهْدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا .^٤ و إنّ جَهْدَاكَ عَلَىٰ
أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا .^٥

١- الآيتان ١٢٠ و ١٢١ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- الآية ١٩ ، من السورة ٩٦ : العلق .

٣- خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة مفصلة تطرّق فيها إلى علّة الروايات
الكاذبة المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه و آله . «نهج البلاغة» مع تعليقه الشيخ محمّد
عبده ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، الخطبة ٤٢٣ .

٤- الآية ٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٥- الآية ١٥ ، من السورة ٣١ : لقمان .

يجب أن يكون الإمام هو الأفضل و على رأس أمور الأمة

أما قولهم إنَّ المفضول يمكن أن يدير شؤون الأمة مع وجود الفاضل في الأمة ، فهو قول بعيد عن الصواب و ليس في محله ؛ لأنَّ الأشخاص ما لم يصلوا إلى درجة التوحيد الخالص و لقاء الله ، فالتفاضل النسبي قائم بينهم . و ربّما يكون شخص أفضل من الآخر لسبب ما ، و هذا أكفأ من الأوّل لسبب آخر ، لكن لما لم يصل أحد إلى مرحلة العبوديّة المطلقة التي هي درجة الولاية ، فإنَّ النسبيّة ترفع عندئذٍ .

إنَّ وليّ الله الذي اجتاز جميع صفات الإمكان و الوجود المجازي و أصبح موجوداً بوجود الله ، و غرق في بحر التوحيد اللامتناهي ، كيف يُفضّل عليه شخص آخر ، و لو في جانب من الجوانب ؟ إنَّ صفات وليّ الله مندكّة في صفات الله ، و نفسه و ملكاته خارج عالم التقدير و القياس . و لا حدّ و لا مقدار لعلمه و قدرته و حياته . و هو في كافّة الصفات أفضل من الأمة جميعها بلا استثناء ، و لما كان رسول الله أكمل الآخرين و أفضلهم في جميع الصفات بلا استثناء ، و كان هو المرّي و المكمل للآخرين ، و مع أنّه لم يضرب بسيف في الغزوات إلاّ أنّه كان أقربهم للعدو ، و ذلك لتقوية قلوب قومه ، و لما كان هو المقدم عليهم جميعاً في الإنفاق ، و الإيثار و العلم ، و الحميّة ، و الوفاء ، و بقيّة الصفات بمقياس لا يقبل القياس . فكذلك الإمام عليه السلام فإننا عندما نفرض بلوغه مقام اليقين و التوحيد الخالص ، و نراه مرجعاً لتربية أمته ، فإنّه سيكون أفضل الناس جميعهم و أعلمهم من كلّ الجهات ، و فصل فضيلة من فضائله عنه محال ، و فرض صفة غير تامّة فيه محال أيضاً . و قد أقرّ بذلك الكبار من عرفاء أهل السنّة .

و لو كانت مقاليد الحكم بيدي الإمام نفسه ، فإنه يقسم الأعمال الاجتماعية على الأشخاص ، و هو يكون على رأس الأمور . و لكن ثمة فرق بين أن تنجز تلك الأعمال بإشراف الإمام ، و من خلال طاعته واتباعه و بين أن يكون للمكلفين بإنجازها رأي مستقل فيها كما يذهب إلى ذلك أهل السنة ، فهذا الرأي المستقل هو أساس الإشكال إذ إنه نأى بهم عن الصواب .

ولكنهم لو قاموا بتلك الأعمال بإشراف الإمام و استصوابه ، فالملاحظ

هو :

أولاً : ما أكثر الذين يعزلهم الإمام لعدم كفاءتهم ، كما نجد ذلك في ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام عندما تسلّم مقاليد الأمور في خلافته الظاهرية ، فعزل جميع الولاة الذين نصبهم عثمان بما فيهم معاوية إذ عزله من ولاية الشام .

ثانياً : لو كان القائمون بالأعمال تحت إشراف الإمام و مراقبته ، فإنهم مصونون من التخطي و الانتهاك ؛ لأنّ الإمام يُنبههم و يذكرهم بمجرد أقلّ خطأ يصدر منهم ، و يردعهم عن القيام بأيّ عمل مخالف . و نجد ذلك جلياً في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف و اليه على البصرة ، و كذلك رسالته إلى عبد الله بن عباس و اليه عليها بعد عثمان ؛ لأنّ الإمام هنا بمنزلة القلب الذي يصلح ما فسد من الأجزاء ، و عند عجزه ، فإنه يفصله عنه ، و العضو الفاسد لا بدّ أن يُستأصل . أمّا إذا كان الإمام غير معصوم ، فإنّ الذين يمارسون أعمالهم تحت سلطته ، إنّما يمارسونها بإشراف إنسان غير معصوم . و الولاة الذين ينصبهم ، هم تحت مراقبته و في هذه الحالة ، فأيّ مفاسد تبقى لا ترتكب ؟ مضافاً إلى ذلك ، فإنّ الرئيس في أوّل تصديّه قد لا يكون شخصاً متعدّياً متهوراً ، بيد أنّ التعلّق بالدنيا

و الإهتمام بالرئاسة يجعلان منه شخصاً آخر غير ما كان في البداية فالرئاسة اختبار عجيب و عسير للغاية و مدمر للإنسان .

التصدّي للشؤون الاجتماعية من قبل غير المعصوم عرضة

للزلل والانحراف دائماً

و من ينجو من هذه المزالق غير الإنسان المعصوم ؟ فالعنوان والشأن ، والرئاسة ، و التسليم بالطاعة تستقطب اهتمام الإنسان شيئاً فشيئاً فتغريه حتى تجعله يفكر بمكاسب أكثر لصالح شخصيته و اعتباره فتتلوث روحه اللطيفة بالتدريج ، و يقسو قلبه الرقيق ، و يجفو ضميره الإنساني و تجفّ عينه الباكية ، و يتبدل خشوعه في الصلاة إلى غفلة و سهو إلى أن يصبح واحداً من الفجار و الفساق .

و هذه مسألة ثابتة من وجهة نظر علم النفس ، و مذكورة في كتب علماء الأخلاق مشقعة أو متبعة بالأدلة و البراهين . مضافاً إلى ذلك فالتجربة شاهد صدق واضح على هذا الموضوع . ففي هذه الحالة ، كيف يجوز في سنن الله تعيين شخص ناقص لزعامه الناس ، في حين أنّ نفسه عرضة للهلاك ، أولاً ، و يهلك بسيرته أمة بكاملها ، ثانياً ، قال تعالى : **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ** .^١

و كثير من أهل السنة يرون للخليفة استقلالاً في الرأي و يقولون : إذا رأى الخليفة في حكم من الأحكام مصلحة للأمة ، فله أن يمضيه حتى لو كان مخالفاً لحكم الله و مناقضاً لصريح الدين .^٢ كما يشاهد أنّ كثيراً من

١- الآية ٩٨ ، من السورة ١١ : هود .

٢- أحمد أمين المصري في كتابه «فجر الإسلام» على ما نقله العلامة الطباطبائي في

الخلفاء كانوا يعملون برأيهم في المسائل المستحدثة .

إذ نقرأ في التاريخ أن عمر حرّم متعتي الحجّ والنساء ، و رفع عبارة «حَيَّ عَلَيَّ خَيْرِ الْعَمَلِ» من الأذان ، و غير ذلك من الأعمال . و يرى أهل السنّة أنّ الأحكام الصادرة عن الخلفاء واجبة المراعاة و التنفيذ وفقاً للآية القائلة بوجوب إطاعة أولي الأمر .

كما يروي السيوطي عن عكرمة أنّه سُئِلَ من أمّهات الأولاد ، فقال : هنّ أحرار . أي : إنّ الأمة تُعتق إذا رزقت ولداً من مولاها و سيدها . فقيل له : بأيّ تقوله ؟ قال : بالقرآن . قالوا : بماذا من القرآن ؟ قال : قول الله أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ^١ . و لما كانت هذه الآية تفيد وجوب إطاعة أولي الأمر ، و عمر كان أولي الأمر ، و أفتى بإعتاق أمّ الولد ، لذلك حكم القرآن باعتاقها^٢ .

ليس لأولي الأمر حقّ التشريع

و هذا مردود من ناحيتين : الأولى : قلنا : إنّ المراد من أولي الأمرهم المعصومون لا غيرهم . الثانية : قلنا : إنّ حقّ التشريع يختصّ بكتاب الله في الأصول . أمّا في الفروع و بيان خصوصيات الأحكام و تعيين الموضوعات ، فإنّه لرسول الله ، و ليس لأولي الأمر حقّ في ذلك ، بدليل أنّ الآية تقول عند التنازع : رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ^٣ .

لذلك فإنّ جميع الآراء و الفتاوى التي صدرت عن الخلفاء ، صغرى

تفسيره «الميزان» ج ٤ ، ص ٤٢٢ .

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- «الدرّ المثور» ج ٢ ، ص ١٧٧ .

٣- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

وكبرى لاتحظى بتأييد الشارع .

أجل ، فإنّ هذه الطائفة من العامّة على مدّعاها تستدلّ قائلة : لمّا كانت مراعاة المصلحة العامّة و متطلّبات كلّ عصر تستدعي أن يصدر الخليفة أحياناً حكماً خاصّاً ، فالواجب يقتضي إطاعة حكمه حتّى لو كان مخالفاً للكتاب والسنة . و هذا الحكم يحظى بتأييد الدين أيضاً وفقاً لآية أولي الأمر ؛ لأنّه لمّا كان الدين يريد صلاح الأمة في كلّ عصر ، و أنّ الخليفة يحكم على الناس وفقاً لآية أولي الأمر ، و أنّه أصدر هذا الحكم الخاصّ مخالفاً للنصوص الدينيّة ، فمن الطبيعيّ أنّ هذا الحكم يحظى بتأييد الشارع . و الذي ينظر في التاريخ ، يجد أنّ حكومات مختلفة قد تعاقبت على الأمة منذ عصر صدر الإسلام ، و أنّ مثل تلك الأحكام قد صدرت عن الحكّام كثيراً في العصر الأمويّ و العباسيّ . ففي ضوء هذه النظرية ، لا يعدّ للدين مفهوم صحيح ؛ لأنّ الدين في قاموس هؤلاء عبارة عن مصالح اجتماعيّة يتعامل الحاكم و السلطان بمقتضاها في كلّ عصر . و يغيّر حكم الله و رسوله وفقاً لما يراه من مصلحة ، على النحو المتداول في المجتمعات الأخرى حيث يحكم أهل الحلّ و العقد في كلّ عصر وفقاً لصلاح تلك الجماعة و ينفذون ذلك . فالدين - في ظلّ هذه النظرية - سيصبح سنّة اجتماعيّة فقط ، إذ كان الأنبياء في العصور الخالية يبيّنونه في قالب الدين ، و على شكل إظهار الوحي ، و ذلك من أجل تربية الناس . كما يصرّح البعض بأنّ الدين سنّة اجتماعيّة في قالب الوحي .

و أنّ مشاهدة جبرئيل ، و وجود الجنّة و النار ، و الصراط ، و الكتاب وغيرها من الأشياء ، جاءت بشكل مبسّط لتفهيم الناس و تطويعهم . و لمّا تطوّرت العلوم ، و شقّت طريقها في العالم ، فلا معنى لتربية الناس بنمط ديني ، لقد كان الدين في حلقة من حلقات الماضي مدرسة تربويّة ، و كما

أن علماء الجيولوجيا يخرجون من باطن الأرض أشياء من خلال دراسة آثار طبقات الأرض «الجيولوجيا»، فيتصدّوا إلى الخوض في أحوال أهل ذلك العصر و خصوصياتهم، فكذلك علماء الاجتماع هذا اليوم، فإنّ عليهم الخوض في المباحث الدينيّة بنفس تلك الطريقة .

إذا كان قصد أهل السنّة من لزوم إطاعة الخلفاء هو إطاعتهم بأيّ شكل كان، فلا نقاش لنا معهم؛ لأنّ هذا النقاش سيؤول إلى إنكار الله و عوالم الباطن، و الملكوت، و الفضائل الأخلاقيّة، و المعاد، و اتصال الأنبياء بالملائكة .

و أمّا إذا كان قصدهم هو أنّ للخلفاء، مع وجود الاعتقاد بالله و رسوله، أن يضعوا حكماً من عندهم وفقاً لمصالح العصر و قابليّات الناس، فينبغي أن نقول في جوابهم، إنّ الدين أمر أصيل، و الأحكام الدينيّة حاکمة على الاجتماعيات و مصالحها، أي: يجب إصلاح المجتمعات بالتعاليم الدينيّة، و يجب تربية الناس بتطبيق التعاليم الإلهيّة. و ينبغي تنظيم المجتمع على أساس التعاليم الدينيّة؛ لا أن الدين يفقد أصالته، و يعيش المجتمع مستقلاً و منفكاً عنه فلا يتنازل عن فعليّة تفكيره القائم و مصالحه التخيّليّة فيفرض رأيه على الأحكام الدينيّة، و يجعلها عرضة للتغيّر و التبديل .

و فيما يلي نماذج قرآنيّة كشاهد على ما نقول: **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ**^١. **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**^٢. **وَ مَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ... وَ مَنْ**

١- الآية ٥٧، من السورة ٦: الأنعام .

٢- الآية ٣٢، من السورة ١٠: يونس .

لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ... وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الفٰلسِقُونَ ... فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا ... وَ أَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ .^١

و يقول تعالى - أيضاً: وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَ لَنْ أَتَّبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا وَاقٍ .^٢
يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ .^٣ وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ .^٤

أجل : فإن سبب جميع هذه الأحكام الباطلة التي صدرت عنهم هو أنهم زحزحوا الخلافة عن محورها الأصلي بعد رسول الله ، و اجتهدوا في الأحكام وفقاً لآرائهم و أهوائهم ، و منذ ذلك الحين فإن كل حاكم جاء بعدهم حذا حذوهم فحكم و أفتى وفقاً لميله و هواه ، جرياً على تلك السنة السيئة لأولئك الأول . ثم وضعوا لذلك اسماً هو : مصلحة المجتمع .

انتقاد أمير المؤمنين لغاصبي الخلافة

يقول أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام من خطبة له : حَتَّىٰ إِذَا قُبِضَ اللَّهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ [وَ سَلَّمَ] رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَ غَالَتْهُمْ السُّبُلُ ، وَ اتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَ هَجَرُوا

١- الآيات ٤٤ إلى ٤٩ ، من السورة ٥ : المائدة . ٣- الآية ٢٦ ، من السورة ٣٨ : ص .

٢- الآية ٣٧ ، من السورة ١٣ : الرعد . ٤- الآية ٧ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .

السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، مَعَادِنَ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَ أَبْوَابَ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ .^١ ثُمَّ قَالَ : قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .^٢

و قد تدمر عليه السلام كثيراً من غاصبي الخلافة . و عبر عنهم أنهم مُخْرَبُو الدِّينِ كما لاحظنا ذلك في كلامه . و يقول في خطبة أُخْرَى : اَللّٰهُمَّ ! اِنِّي اَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَاِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَ اَكْفَنُوا اِنَائِي وَ اَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ اَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَ قَالُوا : اَلَا اِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَاخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ اَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا اَوْ مِتْ مُتَأَسِّفًا ، فَنَظَرْتُ فَاِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَ لَا ذَابٌّ وَ لَا مُسَاعِدٌ اِلَّا اَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَاغْضَيْتُ عَلَى الْفَدَى وَ جَرَعْتُ رِيبِي عَلَى الشَّجَى وَ صَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى اَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ وَ اَلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ .^٣

تركوه وحيداً ، و بينما كان مشغولاً بتجهيز رسول الله ، سارعوا بدهاء عجيب فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، و دعوا الناس إلى بيعتهم خلاف النصّ النبويّ . و لما فرغ من مواراة الجسد الشريف في الثرى ، كانوا قد فعلوا فعلتهم ، و استحوذ عليهم الشيطان ، و حرفوا الشريعة عن قطبها ، و حاصروا الإمام ، و سعدوا على منبر رسول الله ، و جرّوه كالجمال المخشوش إلى المسجد ليمثل أمام أبي بكر ، و سلّوا عليه سيوفهم ليبياع . فحاججهم ووجه أنظارهم إلى ما هم عليه من ضلال ، و بيّن لهم شرفه و فضله ، بيد أنّه لم يحصل على أيّ نتيجة قطّ .

١- «نهج البلاغة» مع تعليقة الشيخ محمّد عبده ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، الخطبة ١٤٨ .

٢- «نهج البلاغة» مع تعليقة الشيخ محمّد عبده ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، الخطبة ١٤٨ .

٣- نفس المصدر السابق ، ص ٤٣٧ ، الخطبة ٢١٥ .

وَ خَرَجَ عَلَيَّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَحْمِلُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَلَى دَابَّةٍ لَيْلًا فِي مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ تَسْأَلُهُمُ النُّصْرَةَ . فَكَانُوا يَقُولُونَ : يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ! قَدْ مَضَتْ بَيْعَتُنَا لِهَذَا الرَّجُلِ ، وَ لَوْ أَنَّ زَوْجَكَ وَ ابْنَ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ . فَيَقُولُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : أَفَكُنْتُ أَدْعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ فِي بَيْتِهِ لَمْ أَدْفِنْهُ وَ أَخْرُجُ أَنْزَعُ النَّاسِ سُلْطَانَهُ ؟ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : مَا صَنَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ ، وَ لَقَدْ صَنَعُوا مَا اللَّهُ حَسِبُهُمْ وَ طَالِبُهُمْ .^١

١- «الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٢ .

الذَّزِيسُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

الْأَيْمَةُ الْمَغْصُومُونَ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِأُولِي الْأَمْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ آلَانِ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١

إنَّ المقصود من أولي الأمر هو أحد الثقلين الذين خلفهما النبي
الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أمته . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَهْلَ بَيْتِي وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا
حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ .^٢

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- وقد أورد الطبراني في معجمه الكبير هذا الحديث مع إضافة عبارة «من بعدي»
بعد لفظ «الثقلين» (نقلًا عن الميرزا محمد البدخشاني في «مفتاح النجا» عن زيد بن ثابت
(العقبات ، ج ١ ، ص ٢٨٠) ، ونقله أحمد بن حنبل بأدنى اختلاف في اللفظ عن زيد بن ثابت
بطريقين صحيحين ، الأول في بداية ص ١٨٢ ، والثاني في نهاية ص ١٨٩ في الجزء الخامس
من مسنده . كما نقل الطبراني في «المعجم الكبير» ، وفي «كنز العمال» ج ١ ، ص ٤٧ و ص ٤٨
مانصه : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إذ إن القرآن وحده لا يكفي ما لم يكن هناك معلّم وقيم على الناس .
و في ضوء الحديث النبوي الشريف ، فإن عمر قد أخطأ عندما قال : **كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ** ، و ذلك لأنّ رسول الله قال : «لن يفترقا» ، فمن أخذ بأحدهما دون الآخر ، فقد حُرّم الاثنين .

لا يكفي كتاب الله وحده بدون أهل البيت

إنّ ذلك الرجل الذي قال : نأخذ بالقرآن ، و لانحتاج إلى العترة ، لم يفهم كتاب الله حقاً ، و قد قصرت يده و أيدي أتباعه عن الكتاب و عن أهل البيت في آن واحد ، لأنّ القرآن له حقيقة و واقعية هي أعلى من هذه الألفاظ و أهمّ كثيراً .

و كما لو كتبنا على الورق أسماء مثل حسن ، تقي ، عليّ ، فإنّ هذه الأسماء تمثّل واقعاً خارجياً له جسم ، و روح ، و حدود ، و مواصفات ، و حياة ، و علم ، و قدرة ، و نفس ، و غرائز ، و نيات ، و غير هذه الأشياء .

﴿ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَ عِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ . و يقول السيوطي في «الدرّ المنتور» ج ٦ ، ص ٧ : و أخرج الترمذي و حسّنه ، و ابن الأنباري في «المصاحف» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم : **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي . أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَ عِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي وَ لَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا .** و ينقل صاحب «غاية المرام» في ص ٢١١ ، ٣٩ حديثاً عن العامة و في ص ٢١٧ ، ٨٢ حديثاً عن طريق الخاصة تتعلق بحديث الثقلين . و أَلّف العلامة الخبير الميرزا نجم الدين شريف العسكري كتاباً بعنوان «محمّد و عليّ و حديث الثقلين و حديث السفينة» ذكر فيه طرق الحديث مفصلاً . كما أننا بحثنا عن هذا الحديث مفصلاً في المجلد الثالث عشر و ورد ذلك في المقدّمة الثانية من «تفسير الصافي» نقلاً عن «تفسير العياشي» .

و تلك الحقيقة هي أعلى و أرقى من هذا اللفظ الحاكي بآلاف المرّات ، بل أكثر . و هذا الاسم هو فقط معرّف و ممثّل لذلك الواقع . فكذلك حقيقة القرآن الكريم ، فإنّه عالم جدّ رفيع و كبير ، و حيّ ، و الحقائق جميعها فيه موجودة ، و طرق الخير و الشرّ و نتائج الأعمال كلّها ، نحو الجنّة ، و النار و الصراط ، و الكتاب ، و الميزان فيه مشهودة . و هذه الألفاظ المدوّنة بين الدفتين تمثّل اسماً لتلك الحقيقة ، و الإمام عليه السلام هو الواقف على تلك الحقيقة . و معاني هذا الكتاب السّماويّ و حقائقه كلّها منطوية في نفسه ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ^١ . و هذه هي المعية التي قصدتها رسول الله بقوله : عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضِ^٢ .

لأنّ من الواضح أنّ هذه المعية هي القرآن في الحقيقة ، في هذا الكتاب المشهود و الملموس خارجاً ؛ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ... * وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ^٣ . و قال أيضاً : قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ^٤ .

١- الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- يروي صاحب «ينابيع المودة» في ص ٩٠ من كتابه معية عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ عن كتاب «جمع الفوائد» . ثمّ يقول : للأوسط و الصغير . و ينقل صاحب «غاية المرام» في ص ٥٣٩ و ٥٤٠ من كتابه ثلاثة أحاديث عن الخوارزميّ و الحمويّ . و الزمخشريّ في «ربيع الأبرار» حول هذا الموضوع .

٣- الآيات ٤٧ إلى ٤٩ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٤- الآية ٤٣ ، من السورة ١٣ : الرعد .

إحاطة أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن و قتاله في سبيله

وردت روايات كثيرة عن الشيعة و السنة^١ في أنّ المقصود بمن عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . و في حديث مأثور عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضاً أنّه قال : **إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلِيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلِيَّ تَنْزِيلِهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ : لَا . قَالَ عُمَرُ : أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ - وَ كَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا - ٢ .**

يستشفّ من هذه الروايات جيّداً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الملمّم بالقرآن ، القيم على هذا الكتاب السماويّ ، المكلف من قبل الله بقتال الأئمة على قبول معنى القرآن و باطنه . و في ضوء ما مرّ بنا ، فإننا نخلص إلى أنّ كلام القائلين بالرجوع إلى القرآن و الإفادة منه ، و الاستغناء عن الروايات المأثورة عن المعصومين ، كلام فارغ لا طائل تحته ، و ليس له أيّ شأن : - لأتّه مضافاً إلى أنّ كتاب الله لا يكفي بلا إمام - فإنّ القرآن نفسه أمرنا باتباع أهل البيت في آيات كثيرة نحو : **مَا آتَيْنَاكُمْ إِلَّا رَسُولٌ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَبْنَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** .^٣ و قوله : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا**

١- وردت في «غاية المرام» ص ٣٥٧ ستّ روايات عن طريق العامة ، و ثماني عشرة رواية عن طريق الخاصّة . و نقلت في «ينابيع المودة» ص ١٠٢ أحاديث كثيرة بشأن هذا الموضوع .

٢- نقل صاحب «الغدیر» هذا الحديث في الجزء السابع ، هامش ص ١٣١ ، و قال : أخرجه جمع من الحفاظ ، و صحّحه الحاكم و الذهبيّ و الهيثميّ كما يأتي تفصيله . و نقلت في «بحار الأنوار» الطبعة الكمپاني ج ٨ ، ص ٤٥٥ و ص ٤٥٦ روايات كثيرة بشأن قتال أمير المؤمنين عليه السلام على تأويل القرآن .

٣- الآية ٧ ، من السورة ٥٩ : الحشر .

تحقيق في عدم افتراق الثقلين ، و معية أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن للدرس الحادي والعشرون

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .^١ وكذلك وردت روايات جمّة عن طريق الشيعة والسنة في أنّ المقصود بذلك هو أمير المؤمنين عليه السلام .^٢ وهناك أيضاً ما يماثل آية أولي الأمر التي أوجب الله فيها إطاعتهم بنحو مطلق .

و ينقل صاحب كتاب «غاية المرام» في ص ٢٦٣ أربعة أحاديث عن العامة ، و في ص ٢٦٥ أربعة عشر حديثاً عن الخاصة في أنّ المقصود من أولي الأمر هم الأئمة الطاهرون صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين . لذلك فإنّ الذين يقولون : نرجع إلى كتاب الله ، عليهم أن يعلموا بأنّ كتاب الله قد أرجعهم إلى رسول الله بقوله : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .^٣ وقوله : أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ .^٤ وقوله : وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ .^٥ فطاعته صلى الله عليه و آله و سلم واجبة . و هو نفسه قد أوجب طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وفقاً لحديث الثقلين ، و العشيرة ، و الغدير وخصف النعل ، و السفينة ، و غيرها من هذه الأحاديث . وكذلك وفقاً لمدلول آية أولى الأمر بانضمام الروايات المأثورة إليها ، فإنّ إطاعة الأئمة الأطهار واجبة بأمر الله ، و حجّية الأخبار الصحيحة المأثورة عنهم ثابتة .
و جاء في «الكافي» و تفسير «العياشي» عن الإمام الصادق عليه السلام

١- الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢- نقل صاحب «غاية المرام» في ص ١٠٣ أربعة و عشرين حديثاً عن العامة ، و في ص ١٠٧ تسعة عشر حديثاً عن الخاصة .

٣- الآية ٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٤- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء ؛ الآية ٩٢ ، من السورة ٥ : المائدة ؛ الآية ٥٤ ، من السورة ٢٤ : النور ؛ الآية ٣٣ ، من السورة ٤٧ : محمّد ؛ الآية ١٢ ، من السورة ٦٤ : التغابن ؛ الآيتان ٣٢ و ١٣٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٥- الآيات ١ و ٢٥ و ٤٦ ، من السورة ٨ : الأنفال ؛ الآية ١٣ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

أنه قال في آية أولي الأمر: إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً ، أَمَرَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا^١.

تفسير أولي الأمر بالأئمة عليهم السلام و نزول آية التطهير

و جاء في «الكافي» أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عند السؤال عن وجوب إطاعة الأوصياء: نَعَمْ ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَ قَالَ اللَّهُ: إِنَّمَا وَ لِيُكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ^{٣٢}.

و جاء في «الكافي» و «تفسير العياشي» أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية أنها نزلت في علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين عليهم السلام . و عندما قيل له: إن الناس يقولون: فما له لم يُسَمَّ علياً و أهل بيته في كتابه؟ فقال: فقولوا لهم: نزلت الصلاة ولكن و لم يسَم لهم ثلاثاً و لا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فسّر ذلك لهم . و نزلت عليه الزكاة و لم يسَم لهم من كلّ أربعين درهماً درهم حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله هو الذي فسّر ذلك لهم . و نزل الحج ، فلم يقل: طوفوا سبعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الذي فسّر ذلك لهم . و نزلت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَ نزلت في علي ، و الحسن ، و الحسين عليهم السلام . فقال في علي: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . وَ قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَهْلِ

١- «تفسير الصافي» ج ١ ، ص ٣٦٤ .

٢- الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٣- «تفسير الصافي» ج ١ ، ص ٣٦٤ .

بَيْتِي ، فَأِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ . وَقَالَ : لَا تَعْلَمُوهُمْ ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ .^١ وَقَالَ : إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَىٰ وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ .

فلو سكت رسول الله ، ولم يبين من أهل بيته ، لادّعاها آل فلان و آل فلان ، ولكن الله أنزل في كتابه الكريم تصديقاً لنبية صلى الله عليه وآله وسلم : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا .^٢ فكان عليّ ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة عليهم السلام عند رسول الله فأخذهم بيده ، فأدخلهم تحت الكساء في بيت أم سلمة ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَ ثَقَلًا وَ هَوْلَاءَ أَهْلُ بَيْتِي وَ ثَقَلِي . فقالت أم سلمة : أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ عَلَيَّ خَيْرٌ وَلَكِنَّ هَوْلَاءَ أَهْلُ بَيْتِي وَ ثَقَلِي . فأنزل الله آية التطهير .^٣

و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام ، إذا أخذ بها ، زكى العمل و لم يضرّ جهل ما جهل بعده ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الإقرار بما جاء به من عند الله ، و حق في الأموال الزكاة و الولاية التي أمر الله بها ، و ولاية آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ

١- (بحار الأنوار) ج ٢٧ ، ص ١٠٦ ؛ و في ضمن حديث الغدير ذكر بعضه في «غاية المرام» ص ٢١٤ ، الحديث الثامن عشر والتاسع عشر .

٢- بشأن نزول آية التطهير في أهل البيت . ذكر صاحب «غاية المرام» ٤١ حديثاً عن العامة في ص ٢٨٧ ، و ٣٤ حديثاً عن الخاصة في ص ٢٩٢ .

٣- جاء هذا الحديث مفصلاً في «تفسير الصافي» ج ١ ص ٣٦٤ .

مِنْكُمْ». فَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ صَارَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ الْحُسَيْنُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ هَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ. إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِإِمَامٍ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.^١

يروى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن منصور بن حازم أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ اللهَ أَجَلٌ و أَكْرَمَ من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله. قال: صدقت. قلت: إنَّ من عرف أن له رباً، فينبغي له أن يعرف أن لذلك الربَّ رضاءً و سخطاً، و أنه لا يعرف رضاءه و سخطه إلا بوحي أو رسول. فمن لم يأتيه الوحي، فقد ينبغي له أن يطلب الرسل. فإذا لقيهم، عرف أنهم الحجَّة و أن لهم الطاعة المفترضة. و قلت للناس: تعلمون أن رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم كان هو الحجَّة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى. قلت: فحين مضى رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم. من كان الحجَّة على خلقه؟ فقالوا: القرآن. فنظرت في القرآن. فإذا هو يخاصم به المُرجئي و القدريُّ و الزنديق^٢ الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصوصته. فعرفت أن القرآن لا يكون حجَّة إلا بقيم فما قال فيه من شيء، كان حقاً. فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمَّر يعلم، و حذيفة يعلم. قلت: كلُّه؟ قالوا: لا. فلم أجد أحداً يقال: إنَّه يعرف ذلك كلُّه إلا عليّاً عليه السلام. و إذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري. و قال هذا: لا أدري. و قال هذا: لا أدري.

١- «تفسير الصافي» ج ١، ص ٣٦٥.

٢- المُرجي و جمعها المُرجئة، فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضُرَّ مع الإيمان معصية و لا ينفَع مع الكفر طاعة. سُموا «مُرجئة» لاعتقادهم أن الله تعالى أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي: أخر عنهم. و «القدري» قد يطلق على الجبري أو على التفويضي. و «الزنديق» هو النافي للصانع أو الثنوي.

وقال هذا أنا أدري فأشهد أنّ عليّاً عليه السلام كان قِيم القرآن . وكانت طاعته مفترضة وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم . وإنّ ما قال في القرآن فهو حقّ . فقال : رحمك الله .^١

مناظرة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام مع الشامي في الإمامة

و يروي الكلينيّ بإسناده أيضاً عن يونس بن يعقوب أنّه قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام ، فقال : إنّني رجل صاحب كلام وفقه و فرائض ، و قد جئت لمناظرة أصحابك . فقال أبو عبد الله عليه السلام : كلامك من كلام رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم أو من عندك ؟ فقال : من كلام رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ومن عندي فقال أبو عبد الله عليه السلام : فأنت إذا شريك رسول الله ؟ قال : لا . قال : فسمعت الوحي عن الله عزّ وجلّ يخبرك ؟ قال : لا . قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ؟ قال : لا . فالتفت أبو عبد الله إليّ ، فقال : يا يونس بن يعقوب ، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم .

ثمّ قال : يا يونس ، لو كنت تحسن الكلام ، كلمته . قال يونس : فيا لها من حسرة . فقلتُ : جعلتُ فداك ، إنّني سمعتك تنهى عن الكلام و المجادلة و تقول : ويل لأصحاب الكلام ، يقولون : هذا ينقاد ، و هذا لا ينقاد . و هذا ينساق ، و هذا لا ينساق . و هذا نعقله ، و هذا لانعقله . فقال أبو عبد الله : إنّما قلتُ : فويلٌ لهم إن تركوا ما أقول ، و ذهبوا إلى ما يريدون .

ثمّ قال لي : اخرج إلى الباب ، فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله قال : فأدخلتُ عُمران بن أعين ، و كان يحسن الكلام . و أدخلتُ الأحوال (و هو محمّد بن النعمان المعروف بمؤمن الطاق) و كان يحسن الكلام .

١- «أصول الكافي» ج ١ ، كتاب الحجّة ، ص ١٦٨ .

و أدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام . و أدخلت قيس بن الماصر ، وكان عندي أحسنهم كلاماً ، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام . فلما استقر بنا المجلس وكان أبو عبد الله قبل الحج يستقر أياماً في جبل في طرف الحرم في فائزة له مضروبة . قال : فأخرج أبو عبد الله رأسه من فازته ، فإذا هو ببعير يخب ، فقال : هشام ورب الكعبة . قال : فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له . فقال : فورد هشام بن الحَكَم ، وهو أول ما اختطت لحيته . و ليس فينا إلا من هو أكبر سنّاً منه . قال : فوسّع له أبو عبد الله ، و قال : نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ .

ثم قال : يا حُمران ، كَلِمَ الرجل ، فكلمه ، فظهر عليه حمران و غلبه . ثم قال : يا طاقى ، اكلمه ، فكلمه . فظهر عليه الأ حول . ثم قال : يا هشام بن سالم ، كلمه فتعارفا . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لناصر : كلمه ، فكلمه فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشاميّ . فقال للشاميّ : كَلِمَ هذا الغلام - يعني هشام بن الحَكَم - فقال : نعم . فقال لهشام : يا غلام ! سلني في إمامة هذا ؛ فغضب هشام حتى ارتعد ، ثم قال للشاميّ : يا هذا ، أربك أنظر لخلقه ، أم خلقه لأنفسهم ؟ فقال الشاميّ : بل ربّي أنظر لخلقه .

قال هشام : فَفَعَلَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ مَاذَا ؟

قال الشاميّ : أقام لهم حجة و دليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا ، يتألفهم و يقيم أودهم و يُخَبِّرُهُمْ بِفِرْضِ رَبِّهِمْ .

قال هشام : فمن هو ؟

قال الشاميّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

١- الطاقى هو مؤمن الطاق . و لما كان له دكان تحت طاق ، لذلك عرف بمؤمن الطاق . ولكن السنة يسمونه في كتبهم : شيطان الطاق .

قال هشام : فبعد رسول الله ؟

قال الشاميّ : الكتاب والسنة .

قال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنّا ؟

قال الشاميّ : نعم .

قال هشام : فلم اختلفنا أنا و أنت و صرت إلينا من الشام في مخالفتنا

إياك ؟

قال يونس : فسكت الشاميّ . فقال أبو عبد الله عليه السلام للشاميّ :

مالك لا تتكلّم ؟ قال الشاميّ : إن قلتُ : لم نختلف ، كذبتُ . وإن قلتُ : إن الكتاب والسنة يرفعان عنّا الاختلاف ، أبطلتُ ، لأتتهما يحتملان الوجوه وإن قلتُ : قد اختلفنا وكلّ واحدٍ منا يدّعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة إلا أنّ لي عليه هذه الحجّة . فقال أبو عبد الله عليه السلام : سلّه تجده مليّاً .

فقال الشاميّ : يا هذا ! من أنظر للخلق ، أربّهم أو أنفسهم ؟ فقال

هشام : ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم .

فقال الشاميّ : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ، و يقيم أودّهم

ويخبرهم بحقّهم من باطلهم ؟

قال هشام : في وقت رسول الله صلّى الله على وآله وسلّم أو

الساعة ؟

قال الشاميّ : في وقت رسول الله ، رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم والساعة من ؟

فقال هشام : هذا القاعد الذي تُشدّ إليه الرحال ، و يخبرنا بأخبار

السماء (والأرض) وراثته عن أبٍ عن جدّ .

قال الشاميّ : فكيف لي أن أعلم ذلك ؟

قال هشام : سله عمّا بدالك .

قال الشاميّ : قطعت عذري ، فعليّ السؤال . فقال أبو عبد الله : يا شاميّ ! أخبرك ، كيف كان سفرك ؟ وكيف كان طريقك ؟ كان كذا وكذا .

فأقبل الشاميّ يقول : صدقت . أسلمت ليله الساعة . فقال أبو عبد الله : بل آمنت بالله الساعة . إنّ الإسلام قبل الإيمان ، و عليه يتوارثون و يتناكحون . و الإيمان عليه يُثابون . فقال الشاميّ : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأنك وصي الأوصياء .

قال يونس : ثم التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حُمران ، فقال : تُجري الكلام على الأثر فتصيب ، و التفت إلى هشام بن سالم ، فقال : تريد الأثر ولا تعرفه . ثم التفت إلى الأحول ، فقال : قياس رواج . تكسر باطلاً

١- و قد عدّ آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٣٥٨ الأحول من مشاهير متكلمي الشيعة ، يقول :

و منهم : أبو جعفر مؤمن الطاق ، دكّانه في طاق المحامل بالكوفة ؛ يرجع إليه بالنقد فيردّ رداً ، و يخرج كما يقول فقيل شيطان الطاق ؛ و هو محمّد بن عليّ بن النعمان بن أبي طريقة البجليّ الأحول ، روى عن عليّ بن الحسين و أبي جعفر و أبي عبد الله عليهم السلام منزلته في العلم و حسن المحاضرة أشهر من أن يذكر ، و احدثه في علم الكلام و المناظرة . ناظر متكلمي عصره و قطع الخصوم ، لايجاري و لايباري ، له كتاب «افعل لاتفعل» كتاب كبير حسن و له كتاب الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، و كتاب كلامه على الخوارج و كتاب مجالسه مع أبي حنيفة و المرجئة ، و عداده في التابعين .

و قال ابن النديم و كان متكلماً حاذقاً ؛ و له من الكتب : كتاب «الإمامة» ، كتاب «المعرفة» ، كتاب «الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول» ، كتاب «طلحة و الزبير و عائشة» رضي الله عنهم - انتهى ما في الفهرست .

بباطلٍ إلا أنّ باطلك أظهر . ثمّ التفت إلى قيس بن الماصر ،^١ فقال : تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبعد ما تكون منه . تمزج الحق مع الباطل ، و قليل الحق يكفي عن كثير الباطل . أنت والأحوال قفازان حاذقان .

قال يونس : فظننت والله أنّه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما . ثمّ قال : يا هشام ! لا تكاد تقع . تلوي رجلك إذا هممت بالأرض طرت ، مثلك فليكنم الناس ؛ فاتق الزلّة . و الشفاعة من ورّائها إن شاء الله .^٢

و ذكر النعماني في تفسيره أنّ إسماعيل بن جابر يقول : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول : إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً فخرم به الأنبياء فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتاباً فخرم به الكتب فلا كتاب بعده . أحلّ فيه حلالاً وحرم حراماً فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة . فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعثكم وجعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم علماً باقياً في

١- وعدّ آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٣٥٨ و ٣٥٩ قيس بن الماصر من مشاهير متكلمي الشيعة ، يقول :
و منهم : قيس الماصر أحد أعلام المتكلمين من الشيعة المشهورين ، كان له تلامذة وهو من شيوخ الشيعة في علم الكلام ، وهو أحسن كلاماً من هشام بن الحكم و حمدان الأحول ، كان تعلم الكلام من علي بن الحسين عليهما السلام .
ثمّ ينقل المرحوم آية الله الصدر هنا كلام الإمام الصادق عليه السلام في شأنه و شأن الأحول و حمران بن أعين و هشام بن سالم كما أوردناه في المتن وفق رواية «الكافي» ، ثمّ يقول في النهاية :

قلت : و حمران بن أعين أخوزرارة بن أعين ، وهو من طبقة التابعين لأنّه هو والأحوال مؤمن الطاق و قيس الماصر تعلّموا الكلام من زين العابدين علي بن الحسين .

٢- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ١٧١ .

أوصيائه ١.

أجل ، لقد صدّوا الأُمَّة عن أهل البيت بعد وفاة رسول الله بقولهم :
كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ . و أقصوا صاحب العصمة و الولاية الكبرى . و زعم طلاب
الدنيا أن خلافة رسول الله أمر مادّي و رئاسة ظاهرية ، فترتّبوا على أريكة
الحكم من وحي هوى النفس ، و ساقوا الناس نحو الغي و الضلالة فزعزعوا
بذلك دعائم الإسلام و أركانه .

خطبة أمير المؤمنين حول منزلة آل محمّد عليهم السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام ضمن الخطبة الثانية في «نهج البلاغة»
وَ مِنْهَا (يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَ لَجَأُ أَمْرِهِ ،
وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ ، وَ مَوْتَلُ حُكْمِهِ ، وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ ، وَ جِبَالُ دِينِهِ . بِهِمْ أَقَامَ
انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ، وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ .

وَ مِنْهَا (يَعْنِي قَوْمًا آخِرِينَ) زَرَعُوا الْفُجُورَ ، وَ سَقَوْهُ الْغُرُورَ
وَ حَصَدُوا الثُّبُورَ . لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ . وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ
الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي ، وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي . وَ لَهُمْ
خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ ، وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى
أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُتَّقَلِهِ ٢ .

و قال أيضاً ضمن كلام له آخر : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنِ حَقِّي
مُسْتَأْتَرًا عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ

١- «تفسير الصافي» ج ١ ، ص ٢٣ .

٢- «نهج البلاغة» ج ١ الخطبة الثانية ، ص ٢٩

هَذَا . ٢٠١

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام حول عدم وجود الناصر و المعين

و من خطبة له لما قبض رسول الله ، و جاءه العباس بن عبدالمطلب و أبوسفیان ، ليبايعاه بالخلافة ؛ و منها نفهم أنه كم كان وحيداً لناصر له و لامعين ؛ و نراه يقدم نفسه بأنه لاجنح له .

أَيُّهَا النَّاسُ ! شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ (والمقصود بسفن النجاة هنا آل بيت رسول الله لما جاء في الحديث المسلم به المنقول عن الشيعة والسنة : مثلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَى . وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) وَ عَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا عَنْ تَيْجَانِ الْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ . هَذَا مَاءٌ أَجْنٌ وَ لُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَّاعِ بغيرِ أَرْضِهِ . فَإِنْ أَقْلَ ، يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ . وَ إِنْ أَسْكَتَ ، يَقُولُوا : جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ . هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتِيَا وَالتِّي . وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِنَدِي أُمِّهِ بَلِ أَنْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطَرَبْتُمْ اضْطَرَابَ الْأَرْشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ .^{٣ و ٤}

فهذا الكلام كناية عن القضاء الإلهي المحتم ؛ إذ لا بد أن يفتن الله الناس ، ليمتيز ، إثر ظهور المناوئين ، الذين يتبعون الشريعة و النصوص

١- «نهج البلاغة» ج ١ الخطبة السادسة ، ص ٤٢ .

٢- «والله إني محروم من حقي معزول عن الأمر منذ قبض الله روح نبيّه إلى يومنا هذا إذ سلب الآخرون حقي وقدموا أنفسهم و منعوني» .

٣- «نهج البلاغة» ج ١ الخطبة الخامسة ، ص ٤٠ .

٤- و معنى الفقرة الأخيرة : «لو أصحرت لكم عن بعضها لاهتزتم و اضطربتم اضطراب الحبال الطويلة في الآبار العميقة و لم تطيقوا سماع ذلك» .

النبوية المتعلقة بالولاية من الذين غلب عليهم الهوى فأعرضوا عن الولاية فيكون الناس فريقين متميزين ، فريق في الجنة وفريق في السعير .^١
 فريق ينعمون في حرم الولاية لأهل البيت و هم مصنونون من كل ما ينغص عليهم النعمة ، في الدرجات العلى من الجنة . و فريق مطرودون من ذلك الحرم الأمن ، محرومون من هذا النعيم ، فهم يصهرون في نار تلتظي .
 وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ .^٢

إنَّ السبب من عدم قيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو عدم وجود الأعوان و الأنصار كما نجده يقول : قال لي رسول الله : يا عليّ ، إن وجدت بعدي أعواناً عليهم فجاهدهم وخذ بحقك . و إن لم تجد فاصبر و كف يدك .^٣

و هو نفسه عليه السلام يقول : لو كان لي أربعون ناصرًا و معيناً بعد وفاة رسول الله (طبعاً الناصر المضحّي و المعين الحقيقي) لنهضتُ

١- الآية ٧ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٢- الآيات ١٤٠ إلى ١٤٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣- ينقل صاحب «غاية المرام» في ص ٥٥ من كتابه عن كتاب سليم بن قيس عن سلمان الفارسيّ ضمن حديث طويل عن رسول الله حين قبض أنه قال لأمير المؤمنين : يَا أُخِي إِنَّكَ سَتَلْقَى بَعْدِي مِنْ قُرَيْشٍ شِدَّةٍ مِنْ تَظَاهُرِهِمْ عَلَيْكَ وَ ظُلْمِهِمْ لَكَ . فَإِنْ وَجَدْتَ أَعْوَانًا عَلَيْهِمْ فَجَاهِدْهُمْ وَ قَاتِلْ مَنْ خَالَفَكَ بِمَنْ وَافَقَكَ وَ إِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَاصْبِرْ وَ كُفَّ يَدَكَ وَ لَا تَلْتَقِ بِهَا إِلَى التَّهْلُكَةِ فَإِنَّكَ مَعِيَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى . وَ لَكَ بِهَارُونَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَنَّهُ قَالَ لِمُوسَى : إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي (البخ) . و قد قسّم هذا الحديث الطويل في كتاب سليم إلى قسمين : الأول من ص ٦٩ إلى ص ٧٢ . و الثاني من ص ٧٩ إلى ص ٨٣ .

و ضربت بالسيف .^١

وجاء ذلك أيضاً في الرسالة التي بعثها معاوية إليه إذ قال له : يا علي ! أنت الذي لم تجد لك حتى أربعين ناصراً و معيناً . و لَمَّا أتاك أبي للبيعة قلت له : لو وجدتُ أربعين ذوي عزمٍ لناهضتُهم .^٢ و لَمَّا وجدوه وحيداً وكان أنصاره سلمان ، و أباذر ، و المقداد ، و الزبير ، و عمّار بن ياسر و العباس بن عبدالمطلب ، و أبيّ بن كعب ، و عُتْبة بن أبي لهب ، و البراء بن عازب و سعد بن أبي وقاص ، و طلحة بن عبيد الله .^٣ و جميع بني هاشم و عدد كثير آخر من المهاجرين و الأنصار ، تحصّنوا في بيت فاطمة عليها السلام ؛ إذ لم يجدوا مأمناً أفضل من بيت بضعة الرسول لحفظ أرواحهم . فأرسل أبو بكر عمرَ لأخذ البيعة منهم و قال له : فإِن أَبَوْا فَقَاتِلَهُمْ .^٤

أخذ أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد للبيعة

جاء عمر مع جماعة من أعوانه و دخل بيت فاطمة عليها السلام يقول

١- ينقل في كتاب «غاية المرام» ص ٥٥٠ في السطرين الأخيرين عن سلمان ضمن حديث جاء فيه أن الإمام بعد أن أركب فاطمة على حمار طالباً النصر من المهاجرين والأنصار فَمَا اسْتَجَابَ لَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ وَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا . فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُصْبِحُوا مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَ مَعَهُمْ سِلَاحُهُمْ عَلَى أَنْ يُبَايِعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَ أَصْبِحُوا لَمْ يُوَافِقَهُ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ . الحديث

٢- تتضح رسالة معاوية من خلال جواب أمير المؤمنين له . و جاء ذلك في «نهج البلاغة» ص ٣٣ من قسم الكتب و الرسائل .

٣- جاء في كتاب «عبدالله بن سبأ» ص ٦٥ طبع مصر : تخلف هؤلاء عن البيعة و تحصّنوا في بيت فاطمة . و ورد ذلك في «الرياض النضرة» ج ١ ، ص ١٦٧ ، و «تاريخ الخميس» ج ١ ص ١٨٨ ، و «ابن عبد ربّه» ج ٣ ، ص ٦٤ ، و تاريخ «أبي الحديد» ج ٢ ، ص ١٣٠ إلى ١٣٤ ، و «السيرة الحلبية» ج ٣ ، ص ٣٩٤ و ٣٩٧ .

٤- «عبد الله بن سبأ» ص ٦٨ ، نقلاً عن ابن عبد ربّه و أبي الفداء .

ابن أبي الحديد : ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَقَالَ لِعَلِيِّ : قُمْ فَبَايِعْ ، فَتَلَكَّا وَاحْتَبَسَ^١ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : قُمْ ، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ . فَحَمَلَهُ وَدَفَعَهُ كَمَا دَفَعَ الزُّبَيْرَ حَتَّى أَمَسَكَهُمَا خَالِدٌ وَسَاقَهُمَا عُمَرُ وَ مِنْ مَعَهُ سَوْقًا عَنيفًا ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ وَامْتَلَأَتْ شَوَارِعُ الْمَدِينَةِ بِالرِّجَالِ . وَرَأَتْ فَاطِمَةُ مَا صَنَعَ عُمَرُ فَصَرَخَتْ وَ وُلُوَّتْ وَاجْتَمَعَ مَعَهَا نِسَاءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْهَاشِمِيَّاتِ وَ غَيْرِهِنَّ فَخَرَجَتْ إِلَى بَابِ حُجْرَتِهَا وَ نَادَتْ : يَا أَبَا بَكْرُ ! مَا أَسْرَعَ مَا أَغْرَمْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ . وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُ عُمَرَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ .^٢

أجل ، فقد اقتيد أمير المؤمنين إلى المسجد بتلك الحالة المدهشة و الحبل في عنقه كالجمل المخشوش و أخرج من بيته ليبايع أبا بكر .
و الشاهد على ذلك أن أمير المؤمنين كان يوماً يذكر فضائله و مناقبه لجماعة كثيرة من الناس في زمن خلافة عثمان . و كان طلحة بن عبيد الله حاضرًا فقال له :

كيف نضنع بما ادعى أبو بكر و عمر و أصحابه الذين صدقوه و شهدوا على مقاتله يوم أتوه بك و في عنقك حبل و صدقوك بما احتججت .^٣ و شاهدنا الآخر هو ما كتبه معاوية إليه في إحدى رسائله فقال له : و كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تباع . و الجمل المخشوش هو الذي يدخل في عظم أنفه من الخشب لينقاد . فأجابه الإمام

١- «تلكاً» بمعنى تباطأ و توقّف . و احتبس أيضاً بمعنى توقّف و تأنّى .

٢- «شرح النهج» الطبعة ذات المجلدات الأربعة ج ٢ ، ص ١٩ . و ذكر ذلك أيضاً في الجزء الأول ، ص ١٣٤ ، من شرحه .

٣- كتاب «سليم بن قيس» ص ١١٧ . و ينقل في هذا الكتاب ص ٨٩ أيضاً عن سلمان الفارسي : نادى عليّ عليه السلام قبل أن يبايع و الحبل في عنقه : يَا ابْنَ أُمِّ أَنْ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي ، و ينقل صاحب «غاية المرام» في ص ٥٥٢ هذه العبارة نفسها عن كتاب سليم عن سلمان .

أروع جواب في رسالة يذكر فيها محامده و محاسنه ، و يعدّد قبائح معاوية و سيئاته . فقال له ردّاً على تلك الفقرة : **وَقَلَّتْ إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَع . وَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَ أَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ وَ مَا عَلَيَّ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكَاً فِي دِينِهِ وَ لَا مُرْتَاباً بِبَيْعِهِ . وَ هَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَضُودَهَا وَ لَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .^{١ و ٢}**

١- و معنى الفقرة الأخيرة : « و هذه حجّتي إلى غيرك من الظالمين لأنك لاتليق بالخطاب و إقامة البرهان عليك و لكنّي بيّنت لك صورة ذلك الدليل و الحجّة بمقدار مختصر قد سنح و ظهر و أطلقت القول فيها .»

٢- «نهج البلاغة» في ص ٣٣ ، الرسالة ٢٨ من رسائله عليه السلام . يقول ابن أبي الحديد في الطبعة ذات المجلّدات الأربعة ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ إلى ٤٤٧ بعد نقله هذه الرسالة : سألتُ أبي جعفر النقيب يحيى بن أبي زيد عن هذه الرسالة فقال : كتب أمير المؤمنين كتابين جواباً على كتابي معاوية .

فالكتاب الأوّل الذي أرسله معاوية ليس فيه هذه اللفظة : **كالجمل المخشوش** . وإلّا ما فيه : **حسدت الخلفاء و بغيت عليهم . عرفنا ذلك من نظرك الشزر و قولك الهجر و تنفّسك الصعداء و إبطانك عن الخلفاء** . و أرسل هذه الرسالة إلى أمير المؤمنين مع أبي مسلم الخولانيّ . و لمّا كتب إليه الإمام جواباً ، كتب معاوية رسالة أخرى مع أبي أمامة الباهليّ و فيها **كالجمل المخشوش** . (أملى أبو جعفر رسالة معاوية على ابن أبي الحديد فكتبها ، ص ٤٤٧) . و كتب الإمام جواب هذه الرسالة كما تلاحظ في «نهج البلاغة» . يقول أبو جعفر النقيب : و إلّا كثير من الناس لا يعرفون الكتابين ؛ و المشهور عندهم كتاب أبي مسلم فيجعلون هذه اللفظة [كالجمل المخشوش] فيه . و يقول العلامة الأمينيّ في ج ٧ ، ص ٧٨ الهامش : جاءت هذه العبارة (كالجمل المخشوش) في «العقد الفريد» ج ٢ ، ص ٢٨٥ ، و «صبح الأعشى» ج ١ ، ص ٢٢٨ ، و «شرح ابن أبي الحديد» ج ٣ ، ص ٤٠٧ .

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالْعُشْرُونَ

إِلَى الدَّرْسِ الرَّابِعِ وَالْعُشْرِينَ

الإشكالات الواردة على آية "أولئكم" مع أجوبتها

وأخوة أمير المؤمنين مع رسول الله في كافة الدرجات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١
أصبح جلياً لنا من مجموع المباحث السابقة جيداً أنّ أُولَى الْأَمْرِ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ هُمُ الْأُمَّةُ الْمَعْصُومُونَ سَلَامَ اللَّهِ وَ صَلَوَاتِهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ . وَ لَا يَجُوزُ حَمَلُهَا عَلَى الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ أَوْ عَلَى
أَمْرَاءِ السَّرَايَا أَوْ عَلَى الْعُلَمَاءِ ؛ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ غَيْرَ مَوْجُودَةَ عِنْدَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ .
وَ لَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْعِصْمَةَ عِنْدَهُمْ ، إِلَّا الشَّيْعَةُ ؛ إِذْ يُعْتَقِدُونَ
بِعِصْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَ قَدْ ذَكَرْنَا سَابِقاً أَنَّهُ
لَمَّا فَرَضَتِ الْآيَةُ إِطَاعَةَ أُولَى الْأَمْرِ بِالْقَيْدِ وَ لَا شَرْطٍ ، وَ قَرْنَتْ طَاعَتَهُمْ
بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ .

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

و أما حمل الآية على الحكّام و السلاطين فلا يجوز أيضاً ، لأنّ إطاعة هؤلاء إذا كانت واجبة مطلقاً فهي مخالفة لضرورة الدين و صريح الآيات القرآنيّة ، إذ حرّمت إطاعة المكذّبين و المسرفين و كلّ ما فيه معصية لله و مخالفة لأوامره . و إذا كانت واجبة بشكل مقيد و عند الأمر بالطاعة فهي مخالفة لإطلاق الآية الشريفة أيضاً . و لذلك اعترف الفخر الرازيّ في تفسيره بلزوم العصمة في أولي الأمر . بيّد أنّه لمّا كان معارضاً لخلافة أمير المؤمنين عليّ و أبنائه الطيّبين مباشرة ، فهو يقول بأنّ أولي الأمر جماعة من أهل الحلّ و العقد لهم علم و خبرة ، و إجماعهم في المسائل حجّة ، و نتيجة آرائهم و أفكارهم ملازمة للعصمة .

و قد أبطلنا هذه النظرية في المباحث المتقدّمة ، و بيّنا مواضع الإشكال و الفساد فيها مفصّلاً .

إشكالات أهل السنّة في انطباق آية أولي الأمر على الأئمّة المعصومين

إنّ الإشكالات التي أثارها العامة حول انطباق الآية على الأئمّة المعصومين هي سبعة إشكالات كلّها واهية لا تصمد أمام الدليل و البرهان . و نحن هنا سنتطرّق إليها جميعها مشفوعة بالأجوبة .

الإشكال الأوّل : قيّدت الآية المباركة لفظ «أولي الأمر» بكلمة

«مِنْكُمْ» أي إنّهم من سنخكم . و هذا يدلّ على أنّ الواحد منهم إنسان عادي مثلنا ، و هم مؤمنون من غير مزية عصمة إلهيّة .

الجواب : يتمّ هذا الاستدلال إذا كان متعلّق لفظ منكم ظرفاً لغواً ، كما

يصلح عليه النحويّون ، ولكنّ ظاهر الآية يفيد أنّ الظرف هنا هو ظرف مستقرّ ، أي «أولي الأمر كائنين مِنْكُمْ» . و هذا يدلّ فقط على أنّ أولي الأمر هم من جنس البشر لا من جنس آخر ، نظير قوله تعالى : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

الْأَمِّيْنَ رَسُوْلًا مِنْهُمْ^١. و قوله في دعوة إبراهيم: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُوْلًا مِنْهُمْ^٢. و قوله: رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي^٣. في ضوء ذلك، فالآية تدلّ فقط على أنّ أولي الأمر هم من الناس أنفسهم. و من الطبيعيّ، فلا شكّ أنّ الأئمة المعصومين هم من جنس البشر لا من جنس الملائكة أو غيرهم.

الإشكال الثاني: أنّ لفظ أولي الأمر جمع، و الجمع يدلّ على مسمّى له تعدّد، فإذا أردنا أن نحمل الآية على الأئمة المعصومين، و لما كان في كلّ عصر إمام واحد ليس أكثر، فهذا يلزم أن نحمل لفظ الجمع على المفرد، و هو خلاف الظاهر.

الجواب: أنّ الذي هو خلاف الظاهر من حمل الجمع على المفرد هو أن يطلق لفظ الجمع و يراد به واحد من آحاده. ولكنّ الآية الشريفة ليست كذلك. إنّ أولي الأمر هم الأئمة الاثنا عشر المعصومون، و لا إشكال في إطلاق لفظ الجمع عليهم. و لا يلزم في صحّة استعمال لفظ الجمع وجود جميع أفرادها فعلاً، بل إذا وُجِدُوا واحداً بعد الآخر، فإنّ لفظ الجمع المنحلّ إلى الآحاد سوف ينطبق عليهم. فنحن نقول على سبيل المثال: على طالب المدرسة أن يجتاز الصفوف الدراسية. فالصفوف هنا جمع ولكنّ اجتيازها لا يتحقّق في زمن واحد، بل يتحقّق تدريجاً. و مثل هذا الاستعمال شائع بين الناس كثيراً. فهم يقولون: أطع رؤساءك، أي: أطع هذا الرئيس؛ لأنّه لا يوجد في كلّ عصر أكثر من رئيس واحد. و قد وردت هذه الجموع في القرآن المجيد كثيراً. منها: فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ^٤. فَلَا تُطِعِ

١- الآية ٢، من السورة ٦٢: الجمعة.

٢- الآية ١٢٩، من السورة ٢: البقرة.

٣- الآية ٣٥، من السورة ٧: الأعراف.

٤- الآية ٨، من السورة ٦٨: القلم.

الْكَافِرِينَ. ١ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ. ٢ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا. ٣ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ. ٤ فالواضح من هذه الآيات هو أن الإنسان لا يؤدي صلواته كلها في زمن واحد، ولا يطيع سادته وكبراءه في وقت واحد، ولا يخفض جناحه للمؤمنين جميعهم في عصر واحد. فهذه الجموع تنحلّ إلى أفراد متعدّدين. ومتى كان أحدهم مصداقاً، فهو الذي يقع عليه عبء التكليف. وآية أولي الأمر هي كذلك لأنّها منحلّة إلى أفراد، متى تحقّق وجود أحدهم في الخارج، فإنّ وجوب إطاعته سوف يتحقّق لامحالة.

الإشكال الثالث: لو كان القصد من إطاعة أولي الأمر هو إطاعة الأئمة المعصومين. فهذا مشروط بمعرفتهم. لأنّ الإنسان إذا لم يعرفهم، فوجوب إطاعتهم محال، وهذا تكليف بما لا يطاق. ولما فرضت الآية المباركة إطاعتهم بنحو مطلق، فلا تنطبق إذن على الأئمة المعصومين.

الجواب: أنّ هذا الإشكال نفسه إشكال على المستشكل؛ لأننا إذا اعتبرنا أولي الأمر هم المنتخبين من أهل الحلّ والعقد، فإنّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم أيضاً. ولا فرق بين أن نعتبر أولي الأمر هم الأئمة المعصومين أو غيرهم، فإطاعة التكليف - على أيّ حال - منوطة بمعرفة موضوعه. والفرق الوحيد هو أنّ تعريف الأئمة المعصومين يحتاج إلى بيان من الله ورسوله، بينما تعريف أهل الحلّ والعقد يتولاه الناس. هذا أولاً، وأما ثانياً:

١- الآية ٥٢، من السورة ٢٥: الفرقان.

٢- الآية ٢٣٨، من السورة ٢: البقرة.

٣- الآية ٦٧، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٤- الآية ٨٨، من السورة ١٥٥: الحجر.

فإن معرفة الموضوع - كما جاء في علم الأصول - ليست شرطاً في أصل التكليف ، بل الشرط هو تنجز التكليف و تحقق بلوغه . فالتكليف متحقق من غير معرفة به و بموضوعه ، لكن ليس له تنجز ، و عند قصور المكلف عن العلم ، فلا يقع عليه تكليف . و لو أردنا فرضاً أن نجعل العلم بالتكليف أو بموضوعه من شرائط التكليف نفسه كالإستطاعة في الحج و وجدان الماء في الوضوء ، فلن يوجد تكليف مطلق أبداً . و في ضوء ما تقدم فإن وجوب إطاعة أولي الأمر مطلق في هذه الآية الشريفة ، و من الطبيعي فإن العلم بهم شرط لتنجز التكليف . و عند عدم العلم ، فلا تنجز في التكليف ما لم يكن عن تقصير . و في أغلب التكليف فإن العلم بالموضوع من شرائط بلوغ التكليف ، لا من شرائط أصل التكليف .

الإشكال الرابع : أن الله تعالى يقول في هذه الآية بعد وجوب إطاعة أولي الأمر: **فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** .

و هذا يعني أن فض النزاع يقع على الله و رسوله كما تصرح الآية به . و لو كان أولو الأمر هم الأئمة المعصومين ، لأوجبت الآية الرجوع إليهم لفض النزاع ؛ لأنهم يحكمون بين الناس حسب الواقع . و لكن لما لم تصرح الآية بالرجوع إليهم لفض النزاع ، فهذا يعني عدم اتصافهم بالعصمة ، و عدم حجية قولهم في النزاع ، و إنما المرجع لفض النزاع هو الكتاب و السنة .

الجواب : كما مر بنا في أوائل البحث مفصلاً فإن الآية تخاطب

المؤمنين :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فقد وجبت في هذه الآية إطاعة الله و رسوله و أولي الأمر بنحو مطلق و بلا قيد و لا شرط . فإطاعة الله في القوانين الكلية و أصول الأحكام التي يريدتها القرآن المجيد .

أما إطاعة رسوله فلها بُعْدَان : الأوّل : ما يرجع إلى القوانين والأحكام ، نحو تفصيل الأحكام ، و بيان حدود الموضوعات و مواصفاتها و تفرّيع الفروع المبيّنة أصولها في كتاب الله . فهذا البعد هو بعد التشريع و يختصّ برسول الله . الثاني : ما يرجع إلى أوامره الشخصية المتعلقة بالمصالح الاجتماعيّة نحو تجهيز الجيش ، و إرسال السرايا ، و تعيين أمراء الجيش و أئمة الجماعة و المؤذنين ، و أمثالها من الشؤون التي لا ترتبط بالتشريع ، بل هي منوطة برأيه و حكمه . فإطاعة رسول الله في كلا البعدين واجبة .

و أما إطاعة أولي الأمر فهي فقط في البعد الثاني من بُعْدَي طاعة الرسول ؛ لأنّ أولي الأمر ، و إن كانوا الأئمة المعصومين ، فهم لم ولن يأتوا بشريعة جديدة بل هم تابعون لشريعة رسول الله . لذلك لانصيب لهم من التشريع ، و إنّما شأنهم بيان الأحكام ، و إبلاغ معاني القرآن ، و تأويلها و تجهيز الجيوش ، و النظر في المصالح الاجتماعيّة من قبيل تعيين الولاية و نصب القضاة و غيرها . فإطاعة أولي الأمر واجبة فقط في الآراء الشخصية . و لما جعلت الآية الشريفة كتاب الله و سنّة رسوله هما المرجعين لأخذ الأحكام ، و لا نصيب لأولي الأمر في ذلك ، لذا ينبغي الرجوع إلى الله و رسوله لفضّ النزاع ، سواء من خلال الرجوع إلى أولي الأمر أو إلى غيرهم ممّن يعلم بالكتاب و السنّة . و من الطبيعيّ إذا ماتم الرجوع إلى أولي الأمر ، و حكموا وفقاً للكتاب و السنّة لعلمهم بهما ، فإنّ حكمهم سيكون قاطعاً أيضاً و تجب إطاعتهم في ضوء الآية المباركة .

فاتّضح لنا إذن أنّ السبب من وراء الإرجاع إلى الكتاب و السنّة وعدم الإرجاع إلى أولي الأمر في التنّازع هو من باب تعيين مصادر الأحكام و التشريع المنحصرة في الكتاب و السنّة ، لا من باب عدم حجّية قول أولي

الأمر، فقولهم حجة و رافع للخصومة من حيث إنه متخذ من كتاب الله و سنة رسول الله .

و مما يؤيد جميع ما ذكرنا ، هو الآيات التالية التي تحرم الرجوع إلى الطواغيت لفض النزاع و الخصومة ، فقد قال جلّ من قائل : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * ... وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .^١

فهذه الآيات تحرم الرجوع إلى غير الله و رسوله لفض المنازعات و المشاجرات ، و تدين الأشخاص الذين يتحاكمون إلى سلاطين الجور الذين يحكمون خلاف حكم الله و رسوله ، لحلّ مشاكلهم ، ملقية اللوم عليهم طاعة فيهم لأجل ذلك . و تجعل حكم النبي هو الفاصل في الخصومة الرافع للمنازعة ، فهذه شواهد تدلّ على أنّ الله قد جعل مرجع الأحكام في آية أولي الأمر كتابه و سنة رسوله ، لذلك ينبغي تحكيمهما في المنازعات من هذه الجهة ، لا من جهة أنّ قول أولي الأمر ، على فرض عصمتهم و عدم تجاوزهم الكتاب و السنة ، ليس حجة ، بل هو حجة ، و حجّيته في طول حجّية الكتاب و السنة لا في عرضها .

الإشكال الخامس : يقول الشيعة : إنّ فائدة الإمام المعصوم هي هداية الناس إلى الصراط المستقيم و إنقاذهم من المنازعات و المشاجرات و التفرقة . و هذا طبعاً مع فرض عصمتهم ، ولكن لو فرض وقوع نزاع بين

١- الآيات ٦٠ و ٦١ و ٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

أولي الأمر أنفسهم، إذ يتنازعون حول أصل الولاية أو غير ذلك، فإنهم في هذه الحالة غير معصومين، وإن تلك النتيجة ستكون غير عائدة ولا مفيدة. ولما بينت الآية الشريفة تنازع الناس مع وجود أولي الأمر بل تنازع أولي الأمر أنفسهم، واعتبرت المرجع في رفع الخصومة كتاب الله وسنة رسوله في كافة الأحوال، فمن المحال فرض العصمة لهم مع وجود فرض التنازع بينهم. **الجواب:** كما ذكرنا سابقاً فإن الخطاب موجّه في هذه الآية إلى غير أولي الأمر من سائر المؤمنين «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ...»

من الواضح أنّ المعنيين بهذا الخطاب هم أفراد آخرون من المؤمنين. وهذا الخطاب الذي يأمر الناس بطاعة أولي الأمر لا يشمل أولي الأمر أنفسهم. وعندما يقول بعد ذلك: فإذا تنازعتهم فارجعوا إلى الله ورسوله، فهو خطاب يتلو ذلك الخطاب الأول. ولما كان عطفاً فالمخاطبون به هم نفس المخاطبين السابقين، أي إنهم غير أولي الأمر. لذلك فإنّ مجال التنازع هو الوقائع الحادثة بين الناس، لا المسائل والأحكام الصادرة عن الإمام؛ لأنّه لا معنى للتنازع في أحكامه وأوامره مع وجوب طاعته، ولا يفترض ذلك. وكما لا مجال للتنازع بين أولي الأمر في المسائل الواقعة (كذلك لا يفترض نزاعهم فيما بينهم باعتبار أنّ الخطاب موجّه للمؤمنين لا لهم. مضافاً إلى ذلك فإنهم معصومون لا يتنازعون، فالخطاب لا يشملهم. ومن الواضح - طبعاً - أنّ الناس يجب أن يرجعوا في منازعاتهم إلى الكتاب والسنة. فيُنهي نزاعهم من له علم بهما سواء كانوا أولي الأمر أو غيرهم. مثل الآيات التي توجّه المؤمنين إلى وجوب طاعة رسول الله، يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَمَّا كَانَتْ تَخَاطَبُ الْمُؤْمِنِينَ، فهي لا تشمل رسول الله. بل تخصّ المؤمنين الذين ينبغي أن

يسأله عن حكم الله و الرسول أو يسألوا غيره ممن له علم و اطلاع ، ثم يطيعوه . وكذلك في آية أولي الأمر فإن الخطاب لا يشملهم ، بل يشمل غيرهم من المؤمنين الذين ينبغي أن يسألوا أولي الأمر عن الحكم و المسألة أو يسألوا غيرهم ، فيعملوا وفقاً لحكم الله و رسوله .

الإشكال السادس : أنا في زماننا هذا عاجزون عن الوصول إلى الإمام المعصوم و تعلم الأحكام و المسائل و تأويلات القرآن منه ، و لاسبيل لنا إليه ، فلا يكون هو الذي فرض الله طاعته علينا ، إذ لاسبيل إلى الطاعة . و من جهة أخرى لما كنا نعلم أن الآية الكريمة فرضت طاعة أولي الأمر بنحو مطلق ، فلا يكون أولو الأمر هم الأئمة المعصومين .

الجواب : أن الوصول إلى الإمام كان ميسوراً لكافة الناس في زمن الظهور كما نجد ذلك في عصور الأئمة الأحد عشر . و أما في زمن الغيبة فإن عدم إمكان الوصول لجميع الناس مستند إليهم ، إذ حرموا من ذلك الفيض بسبب سوء أفعالهم و خياناتهم و جرائمهم ، فهذا القصور ليس من جهة الله و رسوله ، كما لو قتلت الأمة نبيها ثم اعتذرت أنها لا تقدر على طاعته و لا تتمكن من لقائه و الإفادة من محضره . كما وقع للأئمة في زمن الحضور مثل هذه المصائب التي يمكن أن نعتبر زمنها زمن غيبة أيضاً .

فقد سجن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام و فرضت الإقامة الجبرية على الإمام الرضا و غيره من الأئمة كالإمام الجواد ، و الإمام الهادي ، و الإمام العسكري عليهم السلام بحيث لم يتيسر لجميع الناس الوصول إليهم . فمتى أصلحت الأمة نفسها ، و وجدت فيها القابلية على ظهور الإمام فسوف تتشرف بلقائه ، كما نلاحظ ذلك في رسالة الإمام المهدي صلوات الله عليه التي كتبها إلى الشيخ المفيد رضوان الله عليه إذ يذكر بهذه النقطة فيقول : **وَ لَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا - وَفَقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ - عَلَى اجْتِمَاعٍ مِّنْ**

الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَّا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ الْيَمْنُ بِلِقَائِنَا ، وَ لَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَ صِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا ، فَمَا يَحْسِبُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكَرَهُهُ وَ لَا نُؤَثِّرُهُ مِنْهُمْ .^١

هذا من ناحية العوام ، و أما من ناحية خواص الناس الذين يحاولون جادّين من أجل تزكية النفس ، و يخطون خطوات ثابتة وطيّدة على الصراط المستقيم مجدّدين في مجاهدة المشتبهات النفسانيّة ، فإنّ الطريق إلى لقاء الإمام و الإفادة من فيضه مفتوح أمامهم . فكلّ من أراد أن يتشرّف بحضور الإمام ، فعليه أن يخطو خطوات صادقة مخلصّة على هذا الطريق .

مضافاً إلى ذلك ، فإنّ هذا الإشكال مقلوب على الفخر الرازيّ نفسه لأنّه يرى أنّ أولي الأمر هم إجماع أهل الحلّ و العقد المتّبعة آراؤهم الذين يجب عليهم أن يشكّلوا أمة واحدة في جميع العالم الإسلاميّ . و هذا - بطبيعة الحال - غير ممكن ، إذ لا يتيسّر حالياً بأيّ وجه من الوجوه تشكيل أمة إسلاميّة واحدة في كل العالم الإسلاميّ بنظرية أهل الحلّ و العقد .

الإشكال السابع : إذا كان القصد من أولي الأمر هم الأئمة المعصومين ، فإنّ ذلك يحتاج إلى تعريف صريح من الله و رسوله . و لو كان ذلك ، لرجعت الأمة كلّها إليهم بعد وفاة رسول الله ، و نظروا إليهم على أنّهم الأولياء و أصحاب الاختيار ، و لما اختلف في أمرهم اثنان .^٢

الجواب : أنّ سبب مخالفة بعض الأئمة ليس فقدان النصّ من الله و رسوله ؛ لأنّ كثيراً من الأمور قد ورد فيها نصّ صريح من الكتاب و السنّة

١- «الاحتجاج» للشيخ الطبرسيّ ، طبع النجف ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

٢- ذكر الفخر الرازيّ في تفسيره ، ج ١٠ ، ص ١٤٦ الإشكال الثاني و الثالث و الرابع و الإشكال السادس في ص ١٤٤ و ذكر العلامة الطباطبائيّ في تفسير «الميزان» ج ٤ ، ص ٤١٧ و ٤٢٥ و ٤٢٦ بقية الإشكالات مع إشكالات الفخر نفسه ، و أجاب عليها جميعها .

لكنّها خولفت أيضاً. فالعلم بالحكم و فهم الواقع في جانب ، و تسليم القلب لأمر الله و رسوله في جانب آخر .

فما أكثر ما يكون الإنسان قد عرف جيّداً موضوعاً ما ، و أدرك من الناحية الفكرية و العقلية حقيقة الأمر بدون أيّ شبهة و شك ، بيد أنّه أعرض عن ذلك الأمر المعلوم و لم يطبّقه عملياً بسبب حبّ الرئاسة ، و غلبة النفس الأمّارة ، و الانغماس في اللذات و الشهوات ، و عدم خضوع القلب أمام الحقائق و الواقعيّات . فحبّ الجاه و هوى الرئاسة عند الإنسان أقوى من حبّ المال و بعض الشهوات الغذائيّة و الجنسيّة آلاف المرّات . و ربّما أعرض الإنسان ظاهريّاً عن الشهوات الجنسيّة و الغذائيّة و الماليّة ، لكنّ حبّ الجاه و الرئاسة ، و هو خفيّ للغاية ، يعشعش في منافذ القلب الدقيقة . و يظلّ ملازماً للإنسان حتّى موته ، و هو آخر ما يخرج من قلوب الصديقين . و كيف يخرج من القلب بهذه السرعة و هذه السهولة ؟ إنّهُ كالصيّاد ينصبّ كميناً في زاوية الضمير حتّى إذا ما وجد الفرصة سانحة للهجوم فإنّه يبادر إلى ذلك ، فيدعو الناس إلى اتّباعه متنازلاً عن كلّ شيءٍ لأجل ذلك حتّى عن المال و الولد . غير أنّ الذين اخترقوا هذه الحواجز و نزلت فيهم آية «المباهلة» و آية «التطهير» ، و كذلك الذين يرون أنفسهم تابعين لأولئك المطهّرين ، محاولين بلوغ الهدف بمجاهدة النفس غير متخطّين نصوص الكتاب و السنة ، و غير مرتابين في ولاية الأئمة المعصومين . فهؤلاء جميعاً مستثنون ممّا ذكرنا .

النصوص الصريحة في الكتاب و السنة حول ولاية

أمير المؤمنين عليه السلام

ألم تنزل آية الولاية في أمير المؤمنين و أبنائه الطاهرين

عليهم السلام فقال جلّ من قائل: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا** الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ^١ فلا شك أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام بإجماع الشيعة والسنة . و قال تعالى : **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** . و هذه الآية نزلت عندما خاطب النبي الأمة في غدير خم قائلاً : **الُسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ** .

و قال تعالى في آية التطهير : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا** و هم الخمسة المطهرون : رسول الله و أمير المؤمنين ، و فاطمة ، و الحسن ، و الحسين صلوات الله عليهم . و جاء في حديث السفينة : **مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَى وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ** .

و حديث العشيّة : **أَيُّكُمْ يُؤَاؤِرُنِي عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ؟**

و حديث الثقلين : **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ عِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا** .

و حديث المنزلة : **يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لِأَنْبِيَّ بَعْدِي** .

و حديث خصف النعل : **أَنَا قَاتَلْتُ النَّاسَ عَلَيَّ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ وَ لَكِنْ خَاصِصْتُ النَّعْلَ يُفَاتِلُهُمْ عَلَيَّ تَأْوِيلِهِ - وَ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا** . و نحو أمره صلى الله عليه و آله أصحابه أن يسلموا عليه بالإمارة و يقولوا : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ** . و أحاديث أخرى جمّة صرّح بها رسول الله عشرات المرّات بل مئات المرّات ، و في مجالس عديدة و مواطن كثيرة

١- الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

فسمّاه وصيته ، و وزيره ، و وارثه ، و أخاه ، و نفسه ، و خليفته ، و وليّ كلّ مؤمن بعده . و هذه الأحاديث التي وردت ، و الآيات التي نزلت في حقّ أمير المؤمنين ، و آيات أخرى غيرها ، كلّها ممّا يتفق عليها الشيعة و السنة . فقد اعتبروا جميع إسنادهما صحيحة ، و رووها عن رسول الله بطرق عديدة و ذكروها في كتب التاريخ و الحديث و التفسير المعتمدة .^١ ألا تكفي كلّ هذه الآيات و الروايات المعتمدة لإثبات ولاية أمير المؤمنين و أبنائه الطاهرين؟!

أجل ، فإذا لم نعتبر هذه الروايات نصوصاً صريحة ، فهذا يعني أننا لم نفهم معنى النصّ الصريح ، و لو تكلم جبرئيل و نادى من أعلى السماء : أنّ أمير المؤمنين وصيّ رسول الله ، لعادوا إلى قولهم بأنّ هذا ليس نصّاً و تصريحاً . و كلّ من يراجع كتب أهل السنة يجدها زاخرة بأحاديث الوصاية و تصريحات رسول الله ، مع ذلك فهم يقولون : لم يصرّح رسول الله بذلك . لقد كان مشركو قريش يرون الآيات الباهرة و المعاجز القاهرة من رسول الله كلّ يوم بحيث لم يبق أمامهم أيّ مجال للشكّ و الإبهام ، بيد أنّهم لم يقرّوا بها ؛ لأنّ نفوسهم لم تستعدّ لقبول قول الحقّ و الانصياع للواقع .
 وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ .^٢

و قال تعالى : وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا

١- ذكرنا في المباحث المتقدمة سند بعضها ، و سيأتي سند البعض الآخر في

المباحث القادمة إن شاء الله تعالى .

٢- الآية ٢٥ ، من السورة ٦ : الأنعام .

بَيَّاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَفِيلِينَ ١

وقال عزّ شأنه : «وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ٢ .
وقال : إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣ .

إنَّ كلَّ من يلاحظ سيرة رسول الله مع أمير المؤمنين عليه السلام ويستقصي أسلوبهما وسلوكهما فإنه يقف على هذه الحقيقة بدون أي شك وريب ، وهي أنّ وجود ذلك الإمام العظيم امتداد لوجود رسول الله ومخلّد له ، وهو نفس النبيّ ، و خلافته بعد رسول الله كالشمس الساطعة في راحة النهار .

اعتراف أبي بكر بتقدّم أمير المؤمنين عليه السلام عليه

لقد كان أبو بكر وعمر وأعوانهما على علم تامّ بمنزلة أمير المؤمنين عليه السلام . وكان واضحاً عندهم ما أخبر به الرسول الكريم عن وصايته و ولايته و خلافته عليه السلام غير أنّهم لجّوا بمناهضته فاجتمعوا في السقيفة داعين الناس إلى بيعتهم بدون أن يخبروا الإمام بذلك .

يقول ابن حجر الهيتمي الشافعيّ : روى ابن سمان في كتابه المعروف بـ«الموافقة» بإسناده عن ابن عباس أنّه قال : لَمَّا جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ لِرِيزَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ ، قَالَ عَلِيُّ لِأَبِي بَكْرٍ : تَقَدَّمَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا أَتَقَدَّمُ رَجُلًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

١- الآية ١٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- الآيتان ١٠٥ و ١٠٦ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٣- الآيتان ٩٦ و ٩٧ ، من السورة ١٠ : يونس .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَ [آلِهِ] وَ سَلَّمَ يَقُولُ فِيهِ : عَلِيٌّ مِنِّي كَمَنْزِلَتِي مِنْ رَبِّي .^١
 و روى محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ هذا الحديث في كتابيه : «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ١٦٣ ، و «ذخائر العقبي» ص ٦٤ لكن بهذه العبارة : عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَبِّي .

وكذلك روى الموفق بن أحمد الخوارزمي بإسناده عن الشعبيّ أنّه قال :
 نَظَرَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُقْبِلًا ، فَقَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أَجْوَدِهِمْ مَنْزِلَةً وَأَعْظَمِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَنَاءً وَ أَعْظَمِهِمْ^٢ عَلَيْهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا - وَ أَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّهُ لَرُؤُوفٌ بِالنَّاسِ وَ إِنَّهُ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ .^٣ و ذكر محبّ الدين الطبريّ هذا الحديث كلّهُ أيضاً في «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ١٦٣ من غير الاستشهاد بقول رسول الله .

و روى الشيخ سليمان الحنفيّ القندوزي عن كتاب «مودّة القُربى» بسنده المتّصل عن عبد الله بن عمر أنّه قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ : خَيْرُ رِجَالِكُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَ خَيْرُ نِسَائِكُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ .^٤

١- «الصواعق المحرقة» ص ١٠٨ ، نقلًا عن كتاب «مقام الإمام أمير المؤمنين» ص ٩ .

٢- لانستبعد أن تكون تصحيفاً لـ «وَأَعَزَّهُمْ عَلَيْهِ» .

٣- «المناقب» للخوارزمي ، ص ٩٧ .

٤- «ينابيع المودّة» ص ٢٤٧ ، و الروايات المأثورة عن رسول الله في أنّ أمير المؤمنين خير البشر كثيرة للغاية و مثبتة في كتب العامّة . و قد نقلنا قسماً منها في أوائل هذا الكتاب علماً بأنّ عائشة قد روت بعضها . و روي في «ذخائر العقبي» ص ٩٦ عن عقبه بن سعد

و روى عن ابن عمر أيضاً أنه قال: كُنَّا إِذَا أَعَدَدْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَعَلَيَّْ مَا هُوَ؟ قَالَ: عَلِيٌّ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ. هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَرَجَتِهِ. إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ففَاطِمَةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَرَجَتِهِ وَعَلِيٌّ مَعَهُمَا. ^١ و يمكننا أن نجد روايات كثيرة مأثورة عن رسول الله، و شواهد من كلام كبار علماء الإمامية و علماء السنة تؤيد هذه الرواية التي ذكرها عبد الله بن عمر من أن علياً من أهل بيت لا يقاس به أحد.

و روى في «ذخائر العقبى» ص ١٧ عن أنس بن مالك أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ. و في «ينابيع المودة» ص ٢٥٣ أنه قال بعد حديث ابن عمر: قال أحمد بن محمد الكرزري البغدادي: سمعت من عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألتُ أبي أحمد بن حنبل عن أفضل الصحابة، فقال: أبو بكر، و عمر، و عثمان. ثم سكت. فقلت: أين علي بن أبي طالب؟ قَالَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِهِ هُوَ لَاءِ. و روى في «كنز العمال» ج ٦ ص ٢١٨ عن «فردوس الأخبار» للدليمي أنه قال: قَالَ: نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ.

العوفي أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله و قد سقط حاجباه على عينيه فسألناه عن علي. قال: فرغ حاجبيه بيديه، فقال: ذَلِكَ مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ. و روى أيضاً في «ينابيع المودة» ص ٢٤٦ عن علي عليه السلام و حذيفة، و عائشة مانصه: عَلِيُّ خَيْرِ الْبَشَرِ، مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ. و في ص ٢٤٧، عن عائشة أنها قالت: إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنْ مَنْ خَرَجَ عَلَيَّ عَلِيٌّ فَهُوَ كَأَنَّ فِي النَّارِ، قِيلَ: لِمَ خَرَجْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَنَا نَسِيتُ هَذَا الْحَدِيثَ يَوْمَ الْجَمَلِ حَتَّى ذَكَرْتُهُ بِالْبَصْرَةِ، وَ أَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

١- «ينابيع المودة» ص ٢٥٣.

و ذكر عبید الله الحنفی هذا الحدیث فی کتابه «أرجح المطالب» ص ٣٣٠ عن ابن مردویه فی کتاب «المناقب». و قال أيضاً: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ: نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ.

و جاء فی الخطبة الثانية من «نهج البلاغة» قوله: لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ.^١

و روى الخوارزمي الحنفی كذلك بإسناده عن رسول الله: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: خَيْرٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.^٢

فهذه أحاديث ذكرها أبو بكر، و عائشة، و عبد الله بن عمر أنفسهم عن رسول الله في فضائل أمير المؤمنين و أفضليته. و نقلت أيضاً أحاديث أخرى على لسان عمر و عبد الله بن عمر و غيرهما في أخوة الإمام لرسول الله.

أخوة أمير المؤمنين لرسول الله

يقول محب الدين الطبري:^٣ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ عَلِيٌّ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَ لَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَ بَيْنَ أَحَدٍ؟ قَالَ لَهُ

١- «نهج البلاغة» ج ١ طبعة عبدة - مصر، الخطبة ٢ ص ٣٠.

٢- «مناقب الخوارزمي» ص ٦٣ نقلاً عن كتاب «مقام الإمام أمير المؤمنين» ص ٤٩.

٣- «ذخائر العقبى» ص ٦٦. و ذكر ابن الجوزي هذا الحدیث في «التذكرة» ص ١٥ و رواه أيضاً محمد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» عن «صحيح الترمذي» عن زيد بن أرقم. وكذلك رواه ابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» ص ٢٢ عن «صحيح الترمذي» عن عبد الله بن عمر. و ذكره صاحب «نظم درر السمطين» أيضاً في ص ٩٤ مع اختلاف في اللفظ.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
يقول محب الدين الطبري بعد نقل هذا الحديث : رواه الترمذي
بسند المتصل ، وقال : حديث حسن . و أخرجه البغوي أيضاً في
«المصابيح» وعده من الأحاديث الحسان .

و جاء في رواية أخرى عن الإمام أحمد بن حنبل : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَمَّا قَالَ : أَخِيَتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَ تَرَكْتَنِي ؟ قَالَ : وَ
لِمَ تَرَانِي تَرَكْتِكَ ؟ إِنَّمَا تَرَكْتِكَ لِنَفْسِي ، أَنْتَ أَخِي وَ أَنَا أَخُوكَ .^١
وَ عَن عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : طَلَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ فَوَجَدَنِي فِي حَائِطٍ نَائِماً فَضْرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَ قَالَ : قُمْ فَوَاللَّهِ لَارْضِيكَ
أَنْتَ أَخِي وَ أَبُو وُلْدِي ، تُقَاتِلُ عَلَيَّ سُنَّتِي ، مَنْ مَاتَ عَلَيَّ عَهْدِي فَهُوَ فِي
كَنْزِ الْجَنَّةِ ، وَ مَنْ مَاتَ عَلَيَّ عَهْدِكَ ، فَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَ مَنْ مَاتَ عَلَيَّ
دِينِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالْأَمْنِ وَ الْإِيمَانِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ أَوْ
غَرَبَتْ . أخرجه أحمد .^٢

وَ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : عَلَيَّ بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ . وَ فِي رِوَايَةٍ :
مَكْتُوبٌ عَلَيَّ بَابِ الْجَنَّةِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ، قَبْلَ
أَنْ تُخْلَقَ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ بِالْفِي سَنَةِ أَخْرَجَهُمَا أَحْمَدُ فِي الْمَنَاقِبِ .^٣
و يقول ابن الأثير : وَ أَخَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ
مَرَّتَيْنِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخِي بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ أَخِي بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ ، وَ قَالَ لِعَلِيٍّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا : أَنْتَ أَخِي فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .^٤

١ و ٢ و ٣ - «ذخائر العقبى» ص ٦٦

٤- «أسد الغابة» ج ٤ ، ص ١٦ . و يروي في «أسد الغابة» أيضاً ج ٣ ، ص ٣١٧ عن ⇨

و روى القندوزي الحنفي عن أحمد بن حنبل في مسنده بسنده المتصل عن مخدوج ابن زيد الهذلي أنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ أَخِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ أَخِي وَ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لِأَنِّي بَعْدِي - إِلَى أَنْ قَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : ثُمَّ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ : نِعَمَ الْأَبُ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ ، وَ نِعَمَ الْأَخُ أَخُوكَ عَلِيُّ .^١

و قال أيضاً: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الشُّورَى ، قَالَ عَلِيُّ لِأَهْلِ الشُّورَى : أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ ... هَلْ تَعْلَمُونَ ... أَنْ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ [بَعْدَمَا رَجَعَ مِنَ السَّمَاءِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ]: فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْحُجْبِ : نِعَمَ الْأَبُ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ ، وَ نِعَمَ الْأَخُ أَخُوكَ عَلِيُّ ، وَاسْتَوْصَى بِهِ ؟ قَالُوا : نِعَمَ .^٢ فقد أنشد الإمام عليه السلام الحاضرين يوم الشورى بالله في فضائله التي كانوا يقرّون بها .

و روى ابن الصبّاغ المالكي عن ضياء الدين الخوارزمي عن ابن عباس أنه قال: لَمَّا أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَ هُوَ أَنَّهُ أَخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ أَخَى بَيْنَ عُثْمَانَ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَ أَخَى بَيْنَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ أَخَى بَيْنَ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ وَ الْمُقَدَّادِ ، وَ لَمْ يُوَخَّ بِبَيْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

١- «ينابيع المودة» ص ١٤٢ . و نقل ابن الجوزي هذا الحديث أيضاً مفصلاً في «التذكرة» ص ١٣ عن أحمد بن حنبل و أيده .

٢- «ينابيع المودة» ص ١٤٣ . و ينقل في «غاية المرام» ص ٤٨١ عن «نهج البلاغة» قوله : قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الشُّورَى : أَنْشِدْكُمْ اللَّهُ أَفِيكُمْ أَحَدٌ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ نَفْسِهِ حِينَ أَخَى بَيْنَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ وَ بَعْضِ غَيْرِي ؟ فَقَالُوا : لَا .

وَيَبِينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، خَرَجَ عَلَيَّ مُغَضِبًا حَتَّى أَتَى جَدُولًا مِنَ الْأَرْضِ وَ تَوَسَّدَ ذِرَاعَهُ وَ نَامَ فِيهِ ، تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ ، فَطَلَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فَوَجَدَهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ فَوَكَّرَهُ بِرِجْلِهِ وَ قَالَ لَهُ : قُمْ فَمَا صَلَحْتَ أَنْ تَكُونَ إِلَّا أَبَا تُرَابٍ ، أَغْضِبْتَ حِينَ آخَيْتَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لَمْ أُوَاحِ بِبَيْنِكَ وَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . إِلَّا مَنْ أَحَبَّكَ ، فَقَدْ حُفَّ بِالْأَمْنِ وَ الْإِيمَانِ . وَ مَنْ أَبْغَضَكَ ، أَمَاتَهُ اللَّهُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .^١

و روى ابن المغازلي الشافعي أيضاً بإسناده عن زيد بن أرقم أنه قال : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ : إِنِّي مُوَاحِ بِبَيْنِكُمْ كَمَا آخَى اللَّهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ أَخِي وَ رَفِيقِي ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» الْأَخْلَاءُ فِي اللَّهِ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .^٢

و روى أيضاً عن حذيفة بن اليمان أنه قال : آخَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ . كَانَ يُوَاحِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَ نَظِيرِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَذَا أَخِي . قَالَ حُذَيْفَةُ : فَرَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شِبْهُ وَ لَا نَظِيرٌ ، وَ عَلِيُّ أَخُوهُ .^٣ أي : إنه عليه السلام يشارك رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم في جميع تلك الصفات . و هذا هو ما تستدعيه الأُخُوَّةُ . و كذلك روى عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده المتصل ،^٤ و الموفق

١- «الفصول المهمة» ص ٢٢ .

٢- «غاية المرام» ص ٤٧٨ الحديث السادس من طرق العامة .

٣- نفس المصدر السابق . الحديث الثامن من طرق العامة .

٤- «غاية المرام» ص ٤٩٧ . الحديث الحادي عشر ، و الحديث الثاني عشر . و ذكر

صاحب «نظم دُرر السمطين» الحديث الأول في ص ٩٤ من كتابه .

ابن أحمد الخوارزمي أيضاً بأسناده المتصل ،^١ و الحمويي بإسناده المتصل أيضاً ،^٢ روى هؤلاء الثلاثة عن زيد بن أبي أوفى ، وكذلك روى الحمويي^٣ بسند آخر عن زيد بن أرقم باختلاف يسير في اللفظ ، روى هؤلاء مانصه :
 قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَسْجِدَهُ فَقَالَ : أَيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ وَ يَتَفَقَّدُهُمْ وَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَوَافَقُوا عِنْدَهُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ أَخَى بَيْنَهُمْ . وَ ذَكَرَ حَدِيثَ الْمُوَاخَاةِ بَيْنَهُمْ -
 فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقَدْ ذَهَبَ رُوحِي وَ انْقَطَعَ ظَهْرِي حِينَ رَأَيْتَكَ فَعَلْتَ بِأَصْحَابِكَ مَا فَعَلْتَ غَيْرِي ، فَإِنْ كَانَ هَذَا عَنْ سَخَطِ عَلِيٍّ فَلَكَ الْعُتْبَى وَ الْكَرَامَةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرُتَكَ إِلَّا لِنَفْسِي ، وَ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَ أَنْتَ أَخِي وَ وَارِثِي . قَالَ : وَ مَا أَرِثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ !؟ قَالَ : مَا وَرَثَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي . قَالَ : وَ مَا وَرَثَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِكَ ؟ قَالَ : كِتَابَ اللَّهِ وَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ . وَ أَنْتَ مَعِي فِي قَصْرِي فِي الْجَنَّةِ مَعَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ . وَ أَنْتَ أَخِي وَ رَفِيقِي ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ : «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

و روى صاحب كتاب «الفردوس» أيضاً بسنده عن أبي ذر ، فقال :
 أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! هَلُمُّوا أَحَدْتُكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ .
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْهُ وَ اسْتَغْفِرْ بِهِ

١- «غاية المرام» ص ٤٩٧ . الحديث الحادي عشر ، و الحديث الثاني عشر . و ذكر

صاحب «نظم دُر السمطين» الحديث الأول في ص ٩٤ من كتابه .

٢- نفس المصدر السابق ص ٤٨٠ ، الحديث الخامس عشر .

٣- نفس المصدر السابق ص ٤٨١ الحديث الثامن عشر .

اللَّهُمَّ انصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ فَإِنَّهُ عَبْدُكَ وَ أَخُو رَسُولِكَ ١ .

و روى ابن أبي الحديد عن أبي رافع قوله : أَيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبِذَةِ أَوْدَعَهُ فَلَمَّا أَرَدْتُ الانصِرَافَ قَالَ لِي وَلِإِنَاسٍ مَعِيَ : سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَيْكَ بِالشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاتَّبِعُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَهُ : أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْتَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَأَنْتَ الْفَارُوقُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَأَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْكَافِرِينَ ، وَأَنْتَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ خَيْرُ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي تَقْضِي دِينِي وَ تَنْجِزُ مَوْعِدِي ٢ .

و روى أيضاً ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن حكيم بن جبير أنه قال : خَطَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي إِلَّا كَذَابٌ . وَرِثْتُ نَبِيَّ الرَّحْمَةَ وَ نَكَحْتُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَ أَنَا خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ ، وَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبَسَ : مَنْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى جُنَّ وَ صُرِعَ ، فَسَأَلُوهُمْ هَلْ رَأَيْتُمْ بِهِ قَبْلَ هَذَا ، قَالُوا : مَا رَأَيْنَا بِهِ قَبْلَ هَذَا عَرَضاً ٣ .

و روى شيخ الإسلام الحمويني مثل هذه الرواية عن زيد بن وهب باختلاف يسير في اللفظ ٤ .

و روى أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده عن عمر بن عبد الله عن أبيه

١- «غاية المرام» ص ٤٨١ ، الحديث الثالث و العشرون .

٢- «غاية المرام» ص ٤٨٦ ، الحديث السادس و الثلاثون .

٣- «غاية المرام» ص ٤٨٥ ، الحديث الحادي و الثلاثون . وجاء هذا الحديث في «نظم درالسمطين» ص ٩٦ . و في «أرجح المطالب» ص ٤٨٠ باختلاف يسير في اللفظ ، نقلاً عن كتاب «علي و الوصية» ص ٣٥٤ .

٤- «غاية المرام» ص ٤٨٦ ، الحديث الثامن و الثلاثون .

عن جدّه أنّه قال: إِنَّ النَّبِيَّ أَخِي بَيْنَ النَّاسِ وَ تَرَكَ عَلِيًّا حَتَّى آخِرِهِمْ لَا يَرَى لَهُ أَخًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَخِيَتَ بَيْنَ النَّاسِ وَ تَرَكَتَنِي ؟ قَالَ : وَلِمَنْ تَرَانِي تَرَكَتُكَ ؟ وَ إِنَّمَا تَرَكَتُكَ لِنَفْسِي ، أَنْتَ أَخِي وَ أَنَا أَخُوكَ . فَإِنْ فَآخَرَكَ أَحَدٌ ، فَقُلْ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ، لَا يَدْعِيهَا بَعْدَكَ إِلَّا كَذَّابٌ .^١

و روى ابن المغازلي أبو الحسن الفقيه أيضاً بإسناده عن أنس أنّه ، بعد نقله قصّة المواخاة بين الصحابة ، و ذكره تأثر أمير المؤمنين ، عليه السلام لعدم التفات رسول الله إليه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آلِهِ] وَسَلَّم : إِنَّمَا ذَخَرْتُكَ لِنَفْسِي ، أَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ أَخَا نَبِيِّكَ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنَّى لِي بِذَلِكَ ؟ فَآخَذَ بِيَدِهِ وَ أَرَقَاهُ الْمَنِيرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! هَذَا مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ . أَلَا إِنَّهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى . أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ . قَالَ : فَانصَرَفَ عَلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فَاتَّبَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : بَخٍ بَخٍ يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ .^٢

و روى عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ (أَوْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ) بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِيهِمْ رَهْطٌ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ وَ يَشْرَبُ الْفَرْقَ . قَالَ : فَصَنَعَ لَهُمْ مِدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا . قَالَ : وَ بَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ ، ثُمَّ

١- «غاية المرام» ص ٤٧٨ ، الحديث الثالث . و جاء في «دلائل الصدق» ٢/٢٦٧ : أَخَى النَّبِيُّ بَيْنَ النَّاسِ وَ تَرَكَ عَلِيًّا حَتَّى بَقِيَ آخِرُهُمْ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَخِيَتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَ تَرَكَتَنِي ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا تَرَكَتُكَ لِنَفْسِي . أَنْتَ أَخِي وَ أَنَا أَخُوكَ . فَإِنْ ذَكَرَكَ أَحَدٌ ، فَقُلْ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ ، لَا يَدْعِيهَا بَعْدَكَ إِلَّا كَذَّابٌ . وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخَزْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي ، وَ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَأَنْبِيَّ بَعْدِي ، وَ أَنْتَ أَخِي وَ وراثي . و جاء هذا في تعليقة ص ٢٠٩ من «ديوان الحميري» ، و في «نظم دُرر السمطين» ص ٩٥ .

٢- «غاية المرام» ص ٤٧٨ ، الحديث الخامس .

دَعَا بَعْزَ فَرْشَرُبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ وَلَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ .
فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ! إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً
وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يُكُونَ أَخِي
وَصَاحِبِي ؟ قَالَ : فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ، ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى
يَدِي .^١

و نحن نقلنا حديث العشييرة في الدروس الماضيّة مفصلاً^٢ . و قد
وضح لدينا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تقلّد يومئذٍ منصب الوزارة
والأخوة ، و الخلافة ، و الولاية .

أجل ، فهذه الأحاديث التي أتينا بها هنا حول أخوة أمير المؤمنين
عليه السلام هي غيوض مختصر من الأحاديث المروية في هذا الباب .
و يذكر المرحوم السيّد هاشم البحراني في كتابه «غاية المرام» بشأن
مؤاخاة أمير المؤمنين لرسول الله واحداً و عشرين حديثاً عن طريق العامّة
(في ص ٤٧٨) ، و خمسة أحاديث عن طريق الخاصّة (في ص ٤٨١) و ينقل
هذا المؤلّف ثمانية و ثلاثين حديثاً عن طريق العامّة (في ص ٤٨٢) و أربعة
و ثلاثين حديثاً عن طريق الخاصّة (في ص ٤٨٦) كلّها تتعلّق بأخوة الإمام
لرسول الله .

و نقل ذلك كثير من علماء العامّة ، مثل الترمذي في «الصحیح»
و البغوي ، في «مصايح السنّة» ، و ابن كثير في «البدایة و النهایة» ، و الملا
علي المتقي الحنفي في «كنز العمال» ، عن مؤلّفات عديدة لعلماء الأحناف
و الشوافع ، و كذلك نقل هذا الموضوع ابن الأثير في «أسد الغابة» ، و
الموفق بن أحمد الحنفي الخوارزمي في «المناقب» ، و أحمد بن حنبل في

١- «غاية المرام» ص ٤٨٢ ، الحديث الثاني .

٢- المجلد الأول من هذا الكتاب ، الدرس الخامس .

«المسند»، و إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في «فرائد السمطين» بطرق عديدة، و المناوي في «كنوز الحقائق» إذ طبع في حاشية «الجامع الصغير» للسيوطي الشافعي^١ في «مطالب السؤل»، و سبط بن الجوزي في «التذكرة»، و ابن صباغ المالكي في «الفصول المهمة»، و محب الدين الطبري في «ذخائر العقبى»، و جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي في «دُرر السمطين»، و غير هؤلاء.

إن الروايات الماثورة بشأن الأخوة هناك كلها مأخوذة من مصادر العامة و كتبهم. و مارواه الخاصة في كتبهم بشأن هذا الموضوع كثير أيضاً، بيد أننا لما كنا نرمي إلى النقل عن العامة غالباً من وحي «و الْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ»، لذلك اكتفينا بما نقلناه هنا.^٢ يقول السيد إسماعيل الجميري:

فَتَىٰ أَخَوَاهُ الْمُصْطَفَىٰ خَيْرٌ مُّرْسَلٍ وَ خَيْرٌ شَهِيدٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرٌ^٣
و يمكن قياس معنويات الصحابة من خلال عقد الأخوة الذي تم على يد النبي، و هو صلى الله عليه و آله ما ينطق عن الهوى، لأن هذا العقد قد راعى تماماً الجانب الروحي، و الانسجام الفكري، و حجم الإلفة و الرفقة و البعد النفسي عند الصحابة. و لذلك نراه صلى الله عليه و آله قد أخى^٤ بين

١- «مقام الإمام أمير المؤمنين عند الخلفاء» ص ٥٢.

٢- نقل العلامة الأميني في «الغدير» ج ٣، من ص ١١٢ إلى ص ١٢٤ خمسين حديثاً حول الأخوة.

٣- «ديوان الجميري» ص ٢٠٩، بتخريج «أعيان الشيعة» ج ١٢، ص ٢٨؛ و «مناقب»

ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٨٩.

٤- «مطالب السؤل» ذيل ص ١٨. ينقل ابن أبي الحديد في شرحه ج ١٨، ص ٣٧

(٢٠ جزءاً) عن أبي عمر صاحب «الاستيعاب» أن رسول الله قد أخى بين سلمان وأبي الدرداء عند مؤاخاته بين المسلمين.

أبي بكر و عمر ، و بين عثمان و عبد الرحمن بن عوف ، و بين طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام ، و بين أبي ذرّ الغفاريّ و المقداد بن عمرو و بين معاوية بن أبي سفيان و حُباب بن يزيد المجاشعيّ .^١ و أمّا مؤاخاته صلّى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام ففيها أسرار تتضح من خلال التأمل و الإمعان في الروايات المأثورة في هذا الحقل و غيره من الحقول ، إذ تُظهر لنا تلك الروايات كيفيّة تعامله صلّى الله عليه و آله مع أمير المؤمنين . و من المقطوع به أنّ هذه الأخوة ليست أمراً اعتبارياً صورياً ، بل هي تعبّر عن نوع من الاتصال و الارتباط الحقيقيّ بينهما بدليل أنّ أمير المؤمنين لمّا سأله عن سبب تركه إياه بلا أخ ، أجابه بأنّه هو أخوه و ليس له أخ غيره ، و قد ذكره لنفسه . فهذا الإرتباط الحقيقيّ يدلّ على نوع من الوحدة و الاتّحاد في أصل الخلقة و الفطرة كالأخوين الحقيقيّين الذين ينشآن من أصل واحد ، و ينموان في رحم واحد ، و كذلك الروح المقدّسة لرسول الله ، و الروح المقدّسة لأمير المؤمنين عليهما الصلاة و السلام فإنّهما قد انبثقتا عن عالم واحد ، هو عالم النور و الطهر و التوحيد .

و على هذا الأساس ، جاءت الروايات التي نقلناها سابقاً عن رسول الله صلّى الله عليه و آله إذ قال :^٢ خُلِقْتُ أنا و عليّ من نور واحد ، و سرى ذلك النور دائماً في أصلاب آبائنا حتّى عبد المطلب ، ثمّ انقسم نصفين ، فصار نصف إلى عبد الله ، و نصف إلى أبي طالب . فظهر من

١- يقول ابن الأثير في «النهاية» ج ١ ، ص ٣٢٦ : حُباب بالضمّ اسم الشيطان . و يقال للحية : حباب أيضاً . كما يقال لها : شيطان . لذلك غيّرُوا اسم حُباب كراهيةً للشيطان . انتهى .
و أمّا حَبَاب فهو من الحَبِّ بمعنى الخداع الذي يشي بين الناس .
٢- الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣١ - ٣٤ و ١٣٠ - ١٣٣ .

عبد الله رسول الله ، و من أبي طالب وصي رسول الله . فهو خاتم النبيين ، وهذا خاتم الوصيين .

وكذلك جاءت الروايات التي تدلّ على أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم : قال : « خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارِ شَتَّى . » وقال أيضاً : « وَالنَّبِيَاءُ مِنْ أَشْجَارِ شَتَّى . » وثمة روايات كثيرة تدلّ على وحدة نفسيهما ، نحو قوله : عليّ بن أبي طالب نفسي ، وقوله : هو مثلي .

أجل ، فهذا الاتحاد في الفكر والطبيعة بين ذينك العظيمين في هذه الدنيا وفي جميع المراحل إنّما هو نابع عن اتحاد النور والحقيقة في باطن أمرهما وملكوتهما وهذا أمر مهم للغاية ، إذ هما كالأخوين الذين يمثلان فرعين من أصل واحد .

فذاذك الإمامان في عالم الإنسانيّة هما جسمان مختلفان من نور واحد و حقيقة واحدة . و لذلك قال حذيفة : لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ بَأَنَّ عَلِيًّا أَخُوهُ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَ لَا مِثِيلَ لَهُ : فعليّ بن أبي طالب بما تقتضيه مقام الأخوة هو سيّد الوصيين وإمام المتّقين و المنصوب من قبل ربّ العالمين و لا مثيل له . و هذا تفسير استنبطه حذيفة من نفس معنى الأخوة . و الشاهد على هذا المعنى قوله صلّى الله عليه وآله : مَكْتُوبٌ عَلَيَّ بَابُ الْجَنَّةِ : «مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ أَخُوهُ» . و الجنة هي عالم المعنى والحقيقة و ظهور البواطن و الخفايا . و كان رسول الله ، و وليّ الله معاً في تلك العوالم ، بل في عوالم أعلى منها .

لذلك قال رسول الله : كانت أخوة عليّ مكتوبة على باب الجنة من قبل ألفي سنة . و هذه القابليّة إشارة إلى العوالم العليا حيث كان اتحاد تينك

الروحين المقدّستين .

و الشاهد الآخر على هذا المعنى أيضاً هو ما جاء في أغلب الروايات المأثورة عن رسول الله أنه قال : يا عليّ ! أنت أخي في الدنيا والآخرة . و الدنيا عالم ظاهر و الآخرة عالم باطن . أي أنت أخي في هذه الدنيا من حيث الإبلاغ ، و القتال على تأويل القرآن ، و الجهاد ، و العلم ، و القضاء و سائر شؤون النبوة . و أنت أخي في الآخرة من حيث العلم ، و المعرفة و التوحيد ، و الصفات الحميدة كالكرم ، و الحلم ، و العفو ، و الإيثار و سائر المملكات ، و من حيث الاطلاع على السرائر و المغيبات في المواطن كلها .^١ و اللطيف ماورد عنه في بعض الروايات المذكورة أنه قال : أنت أخي و رفيقي ، أي : أنت ملازمي و مرافقي في تلك المراحل جميعها . و قال . صلى الله عليه و آله ترسيخاً لهذا المعنى : أنت أخي و أنا أخوك و من الواضح أنّ الأخوة من الأمور الإضافية ، فكلّ من كان أخاً لشخص فذلك الشخص هو أخ للأوّل حتماً ، فلا حاجة إلى التذكير و التنبيه ، بيد أنّ رسول الله أراد أن يثبت هذا المعنى إلى درجة لم يبق معها أيّ مجال للشبهة و التأويل .

و لذلك نراه يقول : من مات على دينك ، ختم له بالأمن و الإيمان . و إنّ الذين على دينك ، أي : شيعتك محفوفون بالخير و العافية ، و الأمن و السلامة ، و الإيمان و اليقين ماطلعت شمس أو غربت ، و ما زالت الدنيا . و من مات على بغضك ، فإنّ الله يميته ميته أهل الجاهلية . أي : من لم

١- يقول السيّد الجُميريّ في ص ٦٣ من ديوانه :

وَ كَانَ لَهُ أَخاً وَ أَمِينَ غَيْبٍ عَلَى الْوَحْيِ الْمُنْزَلِ حِينَ يُوحَى

و تخريج ذلك من كتاب «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢١٤ ؛ و المناقب ج ٢ ، ص ١٣

و جلد ٣ ، ص ٥٨ .

يتصل بك ، فإنه لا يعرف عن الإسلام شيئاً . و من لم يعرفك ، فإنه لم يعرفني ، و من أبغضك ، فقد أبغضني . و من ردّ عليك و أنكرك ، فقد ردّ عليّ و أنكرنني .

و بُعيد بيان حقيقة الأخوة ، ذكر رسول الله معنى الوزارة مشبهاً إيّاها بأخوة هارون و وزارته لموسى . فأمر المؤمنين من النبيّ كهارون من موسى في جميع النواحي إلا النبوة فإنها ليست لأحد بعده . فهو منه كهارون من موسى في النواحي المعنويّة و الظاهريّة كالخلافة ، و الوصاية و الوزارة ، و الأخوة ، و المعاني الساميّة الراقية ، و إدراك الأسرار و ما تنطوي عليه الضمائر . و قد قال له بعد ذكره الأخوة : أنت الصديق الأكبر ، و أنت الفاروق بين الحقّ و الباطل ، و أنت الذي تقضي ديني بأداء الرسالة ، و أنت الذي تبلغ عني ، و تنجز عِداتي . و أنت مثلي ، فما صدر عني ، صدر عنك .

و الشاهد الآخر قوله صلّى الله عليه و آله : هذا عظيم الفخر لك ، و إن فإخرك أحد بعدي ، فقل : أنا عبد الله و أخو رسول الله لا يدعيها غيرك إلا الكذاب .

أجل ، فما أتينا به من بحث هنا كان من وحي فقه الحديث ليعرف معنى أخوته جيّداً . و ما ذكره رسول الله بعد هذه العبارة : أنت أخي ، نحو : و وصيّي ، و وزيريّ ، أو في الدنيا و الآخرة ، أو و أنت الصديق الأكبر ، أو و أنت تقضي ديني و تُنجز عِداتي ، و غيرها ممّا ذكرناه ، فإنها تمثّل جملاً تفسيرية لمعنى الأخوة .

و لذلك يمكن أن نجزم قائلين : إنّ منصب الأخوة أعلى من مناصب أمير المؤمنين جميعها ؛ لأنّ الخلافة ، و الوزارة ، و الولاية ، و الإمارة و الوراثة ، و غيرها . كلّها ترتشف من أصل وحدته و أخوته له صلّى الله

عليه وآله . ولا يمكن العثور على مقام أرفع من هذا بعد مقام العبودية ولذلك قال له رسول الله : قل لمن فاخرك : **أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أُوْخُو رَسُولِهِ .**

فهذا الإخبار من لدن رسول الله هو إخبار عن الغيب وكشف عن الحقيقة ؛ لأنه لم ينكر أحد أخوة عليّ لرسول الله إلا عمراً ، عندما اقتيد الإمام إلى المسجد للبيعة ، وهو بذلك الموقف المأساويّ الفظيع والحالة الأليمة الفجيعة . لقد تجرأ عليه عمر قائلاً له بكل وقاحة : إن لم تبايع أبا بكر والله نضرب عنقك . فقال عليه السلام : **تَقْتُلُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَ أَخَا رَسُولِهِ فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا عَبْدَ اللَّهِ ، فَنَعَمْ ، وَ أَمَا أَخُو رَسُولِهِ ، فَلَا .** يقول ابن قتيبة :

فَأَخْرَجُوا عَلِيًّا فَمَضَوْا بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا لَهُ : بَايِعْ . فَقَالَ : إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ ، فَمَهْ ؟ قَالُوا : إِذَنْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ نَضْرِبُ عُنُقَكَ . قَالَ : إِذَا تَقْتُلُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَ أَخَا رَسُولِهِ . قَالَ عُمَرُ : أَمَا عَبْدَ اللَّهِ ، فَنَعَمْ . وَ أَمَا أَخُو رَسُولِهِ ، فَلَا .^١

وَ أَبُو بَكْرٍ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَا تَأْمُرُ فِيهِ بِأَمْرِكَ ؟ فَقَالَ : لَا أُكْرِهُهُ عَلَى شَيْءٍ مَا كَانَتْ فَاطِمَةُ إِلَى جَنْبِهِ . فَلَحِقَ عَلِيٌّ بِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَصِيحُ وَ يَبْكِي ، وَ يُنَادِي : « يَا بَنَ أُمَّ إِنْ أَلْقَوْمْ

١- جاء في أغلب الروايات أن عمر هو الذي أنكر أخوته ، ولكن جاء في كتاب سليم بن قيس ص ٨٦ ، وكذلك في «غاية المرام» السطر الأخير في ص ٥٥١ نقلاً عن كتاب سليم أن أبا بكر أنكرها أيضاً . قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَى بِعَلِيٍّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، انْتَهَرَهُ عُمَرُ وَ قَالَ لَهُ : **بَايِعْ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ أَنَا لَمْ أَبَايِعْ ، فَمَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ ؟ قَالُوا : نَقْتُلُكَ ذُلًّا وَ صَغَارًا . فَقَالَ : إِذَا تَقْتُلُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمَا عَبْدَ اللَّهِ ، فَنَعَمْ ، وَ أَمَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا نَعْرِفُكَ بِهَذَا . فَقَالَ : أَتَجْحَدُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخَى بَيْنِي وَ بَيْنَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - الحديث .**

أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي»^١.

أشار الإمام هنا - وفقاً لحديث المنزلة - إلى قضية هارون أخي موسى عندما خلفه على بني إسرائيل وذهب هو إلى ميقات ربّه . فزَيْن السامريّ العجل ، و قدّمه إلى بني إسرائيل ، و دعاهم إلى عبادته : فلما رآه بنو إسرائيل ، توجّهوا إليه ، و سجدوا له ، متمرّدين على وصيّ موسى و أخيه هارون ، إذ خلعوا طاعته ، و أعرضوا عن عبادة الله . فصاح بهم هارون و نصحهم ، و حاول أن يصدّ السامريّ عن عمله ، بيدّ أنّه لم يفلح و ذلك بسبب قوّة التبليغ السيّئ الذي قام به السامريّ ، و العجل المزيّن ، و انحراف الناس نحو الصنميّة التي كانوا قد نسوها مدّة ، بحيث كانت رغبتهم في الرجوع إليها قد بلغت درجة لم ينفع معها كلام هارون و مبادرته إلى رفع ذلك البلاء . و لمّا رجع موسى من الطور ، و وجد قومه عاكفين على عبادة العجل ، غضب ، و صاح بأخيه هارون لتركه إيّاهم على تلك الحالة .

«قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي»^٢.

١- الإمامة و السياسة» ج ١ ، ص ١٣ . و نقل ذلك في «غاية المرام» ص ٥٤٦ تحت عنوان : الحديث الثاني ، عن ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» أنّ أمير المؤمنين عندما أخذوه إلى المسجد ، كان يقول : **أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ** . و جاء في كتاب سليم بن قيس ص ٢٥١ هذا الموضوع نفسه الذي نقلناه عن «الإمامة و السياسة» إذ ينقل هناك مسألة إنكار عمر أخوة عليّ بن أبي طالب لرسول الله بقوله : **أَمَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا** . و يقول ابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج ١١ ، ص ١١١ . (عشرون جزءاً) : روى كثير من المحدثين أنّه عقب يوم السقيفة ، تألم ، و تظلمّ و استنجد ، و استصرخ حيث ساموه الحضور و البيعة و أنّه قال و هو يشير إلى القبر : **«يَا بَنَ أُمَّ إِبْنِ الْقَوْمِ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي»** . و أنّه قال : **وَاجْعَفَرَاهُ ! وَ لَا جَعْفَرَ لِي الْيَوْمَ ! وَاحْمَرْتَاهُ ! وَ لَا حَمْرَةَ لِي الْيَوْمَ !**

٢- الآية ١٥٠ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ
إِلَى الدَّرْسِ الثَّلَاثِينَ

وَصَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ آلَانَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .^١

الدين الإسلامي المقدس دين كامل شرع على أساس الفطرة . وهو
الدين الذي يُلبّي جميع الحاجات الفطرية للإنسان بنحو تام من أجل ارتقاء
البشر إلى منازل السعادة . فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا .^٢ و لم يترك الإسلام أي حكم من الأحكام الفطرية إلا و صرح
به بنحو أتم . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي .^٣ و قال
الرسول الأكرم : إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .^٤ و قال أيضاً : مَا مِنْ
شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وَ قَدْ دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ ، وَ مَا مِنْ شَيْءٍ يُبَعِّدُكُمْ عَنِ

١- الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- الآية ٣٠ ، من السورة ٣٠ : الروم .

٣- الآية ٣ ، من السورة ٥ : المائدة .

٤- «مكارم الاخلاق» للطبرسي ، في خطبة الكتاب ص ٢ .

النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ١.

الوصية عن الأحكام الفطرية والعقلية والشرعية

تمثل الوصية حكماً من أحكام الشريعة المتقنة المرتكزة على الفطرة، والوصية تعني أنّ الإنسان يوصي بشأن أمور دينه و دنياه كي لا تُترك سدىً، وكما تكون في الحياة بشكل أفضل، فكذلك هي بعد الممات تكون بشكل أفضل أيضاً. والوصية حكم عقليّ وقد أقرّها الشارع المقدّس أيضاً. وهذا الحكم له ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: حكم الفطرة، وهذا يعني أنّ كلّ إنسان مجبول فطرياً على الرغبة في القيام بأعماله والإشراف على جميع شؤونه مباشرة ووفقاً لرأيه و هو اه. فهذا حكم فطري و غريزة إلهية فالإنسان لا يريد أبداً أن يُفْلِتَ زمام أموره من يده فيكون بيّد شخص آخر غريب عنه. و إلى جانب رغبته في أعماله و شؤونه المتنوّعة، فإنّ له رغبة في أن يكون صاحب القرار فيها من حيث التصرّف و التغيير و التبديل و المحافظة عليها و غير ذلك. و هذه الرغبة لا تنتهي عند ساعة الاحتضار بل تمتدّ إلى ما شاء الله من عمر الزمن مادام الإنسان يشاهد آثاره شاخصة بعد الموت على تعاقب السنين و تصرّم الأيام و الشهور و الدهور.

و لذلك نراه في هذه الدنيا قد مدّ بصره بنظرة ثاقبة فاحصة نحو زمن ما بعد الموت حتى أفق واسع و شعاع طويل للغاية فيه. و هو يحاول جاهداً

١- جاء هذا الحديث في «بحار الأنوار» الطبعة الكمبانيج ج ١٥ كتاب الأخلاق ص ٤٨ عن «الكافي» بالشكل التالي: يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَاللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَ يُبَاعِدُكُمْ عَنِ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَ مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَ يُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

أن يفرض إرادته و يعبر عن رأيه و حرّيته و عمّا يراه من صالحه ، و ذلك من أجل المحافظة على آثاره من علم ، و كتاب ، و صدقة ، و بناء ، و ولد و زوجة و مزرعة ، و أمثال ذلك . و يبذل أقصى جهده من أجل تحقيق ذلك بعد الموت . و هذه الغريزة الفطرية ملحوظة حتّى عند الحيوانات . إذ إنّ أكثرها عندما يشعر بقرب موته و يرى علامات الموت ، فإنّه يشيّد لأفراخه بيتاً محكماً و عُشّاً رصيناً بعيداً عن كلّ خطر .

المرحلة الثانية : حكم العقل . لاشكّ أنّ العقل يفرض سيطرته على الإنسان من خلال ما يفكرّ به الإنسان نفسه من ضرورة الإهتمام بأموره و تنظيمها و عدم إهمالها و يدرك أنّ عليه تعيين وصيّ له بعده لحفظها و حراستها لتنظيم آثاره و الإفادة منها . و يوصي بالمحافظة عليها لكي يتسنى له الإفادة منها بعد موته بنفس المقدار الذي كان يطمح أن يفيد منها في حياته و العقلاء في العالم ينظرون إلى الشخص الذي يموت بلا وصيّة تاركاً و راءه زوجة ، و ذرّيّة ، و محلّ تجاريّ ، أو مزرعة ، أو أمر متعلّق بالحكومة أو بالمسائل العلميّة ، أو أمثال ذلك بدون تدبير ، ينظرون إلى مثل هذا الشخص نظرة امتهان و ازدراء ، و يرونه إنساناً ناقصاً ، و يذمّونه على ترك الوصيّة . على عكس مالو أوصى و عيّن له وصيّاً كفوءاً خبيراً بصيراً مدبّراً يدير شؤونه و يتولّى أمر ذرّيّته من أولاده الصغار و غيرهم . فإنّهم يثنون عليه و يمجّدونه ، و ينظرون إلى عمله بوصفه عملاً إنسانياً .

المرحلة الثالثة : حكم الشرع الذي شرّع على أساس حكم الفطرة و حكم العقل . و الوصيّة في ضوءه حكم ممدوح و مستحسن في جميع الشرائع و الأديان . و قد جاءت الوصيّة في الشريعة الإسلاميّة المقدّسة التي هي أكمل الشرائع و أتمّها بحدود و مواصفات معيّنة واضحة لا غبار عليها . قال تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ وَبَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا
إِثْمُهُ وَعَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^١.

الولاية أهم مسألة في الدين

إن أهم مسألة من مسائل الدين هي مسألة الولاية ، أي : تولي زمام
الأُمور الدينية ، الظاهرية و الباطنية ، و البدنية و الروحية ، و الدنيوية
و الأخروية ، و المادية و المعنوية ، و العبادية و الاجتماعية . و هذه الأمور
جميعها منطوية في أمر الدين ، و كانت الولاية عليها لرسول الله صلى الله
عليه و آله وسلم .

الولاية هي روح الدين ، و الدين بدونها جسد هامد لا حراك فيه
كالدين بدون نبي مبعوث من الله ، أو كعلاج المريض بدون طبيب ، أو
كبناء البيت بدون معمار . أو كإجراء عملية جراحية بدون طبيب جراح ؛
لأن سعادة الناس في ظل الدين ، و قوام الدين في ظل حافظه و حارسه
العارف بأصوله و فروع و القيم على معارفه و حقائقه . و كما أن الإنسان
يتنكب عن جادة الإنسانية ما لم يكن له دين ، و لا يصدق عليه إلا اسم
الإنسان فقط ، فكذلك الدين فاتته يعدل عن الصراط المستقيم ما لم يكن له
إمام ، و لا ينطبق عليه إلا اسم الدين فقط . و لذلك نرى أن ذلك المقدار من
التوصيات النبوية بشأن الولاية لا يضارعه شيء مما ورد في المسائل
الدينية الأخرى . و إن ذلك الحجم من التعظيم الذي أولاه النبي لمقام
الولاية ، و تأكيده المتواصل ، و تذكيره المتتابع ، و أخذه العهد و البيعة من
الناس و الصحابة ، و تذكيراً بتوجيه الخطاب إليهم ، و إسهادهم على ذلك

١- الآيتان ١٨٠ و ١٨١ ، من السورة ٢ : البقرة .

لا يضاهيه ما جاء في أي حكم من أحكام الدين الأخرى ، بل ولا يبلغ عُشره أو واحداً بالمائة أو واحداً بالألف منه .

إنّ قراءة في السيرة النبويّة و مطالعة في التاريخ الصحيح تكشفان لنا أنّ ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند النبيّ صلّى الله عليه و آله مع أصل الإسلام على حدّ سواء . و إنّ كفتها متساوية مع كفة النبوة و القرآن ، بل هي روح النبوة و روح القرآن .

إنّنا في هذا البحث - ناهيك عن الأحاديث النبويّة بشأن ولاية أمير المؤمنين المأثورة بعناوين مختلفة و عبارات متنوّعة ، نحو حديث العشيرة ، و حديث أنس ، و حديث الغدير ، و حديث المنزلة ، و حديث الثّقَلَيْن . و حديث السفينة . و غيرها التي جاء بعضها في هذا الكتاب و سيجيء بعضها الآخر لاحقاً - نريد أن نعرض الأحاديث التي ورد فيها لفظ الوصيّة بشكل خاصّ ، حتّى يتبيّن لنا كثرة المواطن التي أطلق رسول الله فيها لقب «سيد الوصيين» أو «سيد الأوصياء» أو «وصيّي» على أمير المؤمنين . و كذلك سمّاه في مواطن كثيرة : «خليفتي» و بالألقاب التي تحمل معنى الخليفة و الوصي .

وصاية أمير المؤمنين من قبل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم .

أعلن رسول الله في أوّل يوم دعا فيه عشيرته إلى الإسلام أنّ عليّاً أخوه و وزيره و وصيّه و خليفته . و قد نقلنا و قائع تلك الجلسة في هذا الكتاب .

و روى ابن المغازليّ ، و هو من أعيان علماء العامّة ، بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم أنّه قال : يَا عَلِيُّ أَنْتَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ

وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَيَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ^١. ثُمَّ قَالَ
ابن المغازلي نفسه: قال أبو القاسم الطائي: سألت أحمد بن يحيى عن معنى
اليعسوب، فقال: أمير النحل وذكورها. وقد شبه رسول الله علي بن
أبي طالب في هذا الخبر بأمير النحل.

و روى الشيخ عبد الحافظ بن بدران عن جماعة كثيرة عن مشايخه
بسلسلة إسناده المتصل عن الشعبي قوله: قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ لِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَرَحَبًا بِسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامِ
الْمُتَّقِينَ. فَقِيلَ لِعَلِيِّ: فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ مِنْ شُكْرِكَ؟ قَالَ حَمِدْتُ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا آتَانِي، وَسَأَلْتُهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَانِي، وَ أَنْ يَزِيدَنِي مِمَّا
أَعْطَانِي^٢.

و نقل الحموي، وهو من كبار علماء العامة، بسنده المتصل عن
جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: كُنْتُ يَوْمًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فِي بَعْضِ حِيْطَانِ الْمَدِينَةِ وَ يَدُّ عَلِيٍّ فِي يَدِهِ، فَمَرَرْنَا بِنَخْلٍ
فَصَاحَ النَّخْلُ: هَذَا مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ، وَ هَذَا عَلِيُّ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ
وَأَبُو الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ، ثُمَّ مَرَرْنَا بِنَخْلٍ: فَصَاحَ النَّخْلُ، هَذَا الْمَهْدِيُّ، وَ هَذَا

١- «غاية المرام» ص ٦١٨، الحديث الأول. و ينقل في «نظم درر السمطين»
ص ١١٤ عن أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بسنده عن عبد الله بن حكيم الجهني
أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ فِي
عَلِيِّ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي: أَنَّهُ سَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ.
وذكر في الهامش أن أبا نعيم روى هذا الحديث في «حلية الأولياء» ج ١ ص ٦٧.

٢- «غاية المرام» ص ٦١٨، الحديث التاسع، و جاء ذلك أيضاً في «نظم
درر السمطين» ص ١١، عن الحافظ أبي نعيم الأصفهاني بإسناده عن الشعبي، و ذكره أيضاً
أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١، ص ٦٦.

الهادي ، ثم مررنا بنخل ، فصاح النخل : هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَ هَذَا عَلِيٌّ سَيِّفُ اللَّهِ ، فَانْتَفَتَ النَّبِيُّ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ سَمِّهِ : الصَّيْحَانِيَّ فُسِّمِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ : الصَّيْحَانِيَّ .^١

و نقل أيضاً بإسناده المتصل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ : هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَحْمُهُ لَحْمِي وَ دَمُهُ دَمِي وَ هُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي يَا أُمَّ سَلَمَةَ هَذَا عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ وَصِيِّي وَ عَيْبَةُ عِلْمِي وَ بَابِي الَّذِي أُوتِي مِنْهُ . أَخِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَعِي فِي السَّنَامِ الْأَعْلَى ، يَقْتُلُ النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ .^٢ (أصحاب الجمل و صفين و النهروان).

و روى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ بإسناده عن ابن أبي ليلى عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ : ادْعُوا إِلَيَّ سَيِّدَ الْعَرَبِ - يَعْنِي عَلِيًّا - فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا جَاءَ عَلِيٌّ أَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَاتَوْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : هَذَا عَلِيٌّ فَاحْبُوهُ بِحُبِّي وَ أَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي فَإِنَّ جَبْرَيْلَ أَمَرَنِي بِالَّذِي قُلْتُ .^٣ قال أبو نعيم : رووا هذا الحديث بسند آخر أيضاً عن سعيد بن جبير .

١- «غاية المرام» ص ٦١٩ ، الحديث الثاني عشر ؛ و «نظم درر السمطين» ص ١٢٤ .
و نقل صاحب كتاب «علي و الوصية» من الصفحة ١٩٦ فما بعدها ثلاثة أحاديث باختلاف يسير عن «أرجح المطالب» و «المناقب» للخوارزمي و «فرائد السمطين» .

٢- «غاية المرام» ص ٦٢٠ . الحديث الخامس عشر .

٣- «غاية المرام» ص ٦٢٠ ، الحديث السادس عشر .

و روى أبو الحسن الفقيه محمد بن أحمد بن علي بن شاذان في كتابه «فضائل عليّ و أولاده المعصومين عليهم السلام» الحاوي مائة منقبة عن طريق أهل السنّة ، روى بإسناده عن حَبَّة العُرَنِيّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ ، وَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ ؛ سَيِّدُ الْخَلَائِقِ بَعْدِي ، أَوْلْنَا كَأَخْرِنَا وَ آخْرِنَا كَأَوْلْنَا .^١

و روى ابن شاذان أيضاً عن طريق العامّة عن ابن عباس أنّه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا مَا اسْتَقَرَّ الْكُرْسِيُّ وَالْعَرْشُ وَ لَا دَارَ الْفَلَكَ وَ لَا قَامَتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضُ إِلَّا بِأَنْ كُتِبَ عَلَيْهَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ وَ اخْتَصَّنِي بِلَطِيفِ نِدَائِهِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدَيْكَ ، فَقَالَ : أَنَا الْمُحْمُودُ وَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ شَقَقْتُ اسْمَكَ مِنْ اسْمِي وَ فَضَّلْتُكَ عَلَى جَمِيعِ بَرِيَّتِي فَانْصِبْ أَخَاكَ عَلِيًّا عَلِمًا يَهْدِيهِمْ إِلَى دِينِي . يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي جَعَلْتُ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْهِ لِعُنْتِهِ ، وَ مَنْ خَالَفَهُ عَذَّبْتُهُ ، وَ مَنْ أَطَاعَهُ قَرَّبْتُهُ . يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلِيًّا إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ أَخْرَيْتُهُ ، وَ مَنْ عَصَاهُ اسْتَجَفَيْتُهُ . إِنَّ عَلِيًّا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَ حُجَّتِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي أَجْمَعِينَ .^٢

و روى هو أيضاً عن طريق العامّة عن ابن عباس أنّه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : مَعَاشِرَ النَّاسِ ! اَعْلَمُوا أَنَّ

١- «غاية المرام» ص ٦٢٠ ، الحديث السابع عشر .

٢- «غاية المرام» ص ٦٢٠ ، الحديث الثامن عشر .

لِلَّهِ تَعَالَى بَاباً مَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدِ الْحُدْرِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اهْدِنَا إِلَى هَذَا الْبَابِ حَتَّى نَعْرِفَهُ ، قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَخُو رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ . مَعَاشِرَ النَّاسِ ! مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ وِلَايَتَهُ وَ وِلَايَتِي وَ طَاعَتُهُ طَاعَتِي . يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ مَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ لِيَقْتَدِيَ بِي فَعَلِيهِ أَنْ يَتَوَالِيَ وِلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ وِلَايَتَهُ وَ وِلَايَتِي وَ طَاعَتُهُ طَاعَتِي . يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ ! مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ الْحُجَّةَ بَعْدِي فَلْيَعْرِفْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بَعْدِي وَ الْأئِمَّةَ مِنْ ذُرِّيَّتِي فَإِنَّهُمْ خُزَانُ عِلْمِي . فَقَامَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِدَّةُ الْأئِمَّةِ ؟ فَقَالَ : يَا جَابِرُ ؛ سَأَلْتَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِأَجْمَعِهِ ، عِدَّتُهُمْ عِدَّةُ الشُّهُورِ وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عِدَّتُهُمْ عِدَّةُ الْعُيُونِ الَّتِي أَنْفَجَرَتْ مِنْهُ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ حِينَ ضَرَبَ بَعْصَاهُ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، وَ عِدَّةُ نُبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا » فَلِأئِمَّةٍ يَا جَابِرُ ؛ اثْنَا عَشَرَ إِمَامًا ، أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .^١

و روى ابن شاذان أيضاً بإسناده من طريق العامة عن أبي ذر الغفاري أنه قال : نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَذَا خَيْرُ الْأَوْلِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ ، هَذَا سَيِّدُ الصِّدِّيقِينَ ، هَذَا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّبِينَ ، إِذَا

١- (غاية المرام) ص ٦٢٠ ، الحديث التاسع عشر .

كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ فَوْقِ الْجَنَّةِ قَدْ أَضَاءَتْ الْقِيَامَةَ مِنْ ضِيَائِهَا ، عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مَرْصَعٌ بِالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : هَذَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَ يَقُولُ النَّبِيُّونَ : هَذَا نَبِيِّ مُرْسَلٌ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ : هَذَا الصَّديقُ الْأَكْبَرُ ، هَذَا وَصِيُّ حَبِيبِ اللَّهِ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَيَقِفُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ يُحِبُّ وَيُدْخِلُ فِيهَا مَنْ يُبْغِضُ ، وَ يَأْتِي أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُ أَوْلِيَاءَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١ .

و روى ابن شاذان أيضاً عن طريق العامة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : سَتَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ مُظْلِمَةٌ النَّاجِي مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَنْ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ؟ قَالَ : وَ لِيَاةَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَ مَنْ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ؟ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَ مَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : مَوْلَى الْمُسْلِمِينَ وَ إِمَامُهُمْ بَعْدِي . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَ مَنْ مَوْلَى

١- «غاية المرام» ص ٦٢١ ، الحديث الحادي والعشرون . و ينقل في كتاب «عليّ والوصيّة» من ص ٢٢٣ إلى ص ٢٢٦ ثلاثة أحاديث بمضمون هذا الحديث مع اختلاف يسير ، وذلك عن الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ، و موفق بن أحمد الخوارزمي في «المناقب» و القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» و ينقل في استدراكات «عليّ و الوصيّة» من ص ٣٧٧ إلى ص ٣٧٩ ثلاثة أحاديث أيضاً عن «التاريخ الكبير» لابن عساكر ، المخطوط ومضمون هذه الأحاديث هو نفس مضمون الأحاديث السابقة لكنها أكثر تفصيلاً منها . جاء في الأوّل منها : لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَ لَا حَامِلُ عَرْشٍ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيُّ رَسُولِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ . وَ فِي الثَّانِي : هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيُّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ . وَ فِي الثَّلَاثِ : هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ إِلَى جَنّاتِ النَّعِيمِ .

المُسْلِمِينَ وَإِمَامُهُمْ بَعْدَكَ؟ قَالَ: أَخِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^١.

و روى الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي أيضاً بإسناده المتصل عن الأصبغ بن نباته أنه قال: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَ وَزِيرُهُ وَ وَارِثُهُ، وَ أَنَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ وَ وَصِيُّهُ، وَ أَنَا صَفِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَ صَاحِبُهُ، أَنَا ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَ زَوْجُ ابْنَتِهِ وَ أَبُو وَلَدِهِ، وَ أَنَا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ. أَنَا الْحُجَّةُ الْعَظْمَى وَالْآيَةُ الْكُبْرَى وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ بَابُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، أَنَا الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَ أَمِينُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا^٢.

و روى أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي منصور الطبرسيّ في كتاب «الاحتجاج» عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّ عمر بن الخطاب لما دنا أجله جعل الخلافة شوري، و عين ستة من قريش بينهم أمير المؤمنين عليه السلام و أوصى أن لا تمرّ عليهم ثلاثة أيام إلا و يختاروا منهم خليفة. و بعد مشاورات متواصلة، تمّ انتخاب عثمان بن عفان. فَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُمْ بِهِ مِنَ الْبَيْعَةِ لِعُثْمَانَ، قَامَ فِيهِمْ لِيَتَّخِذَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا مِنِّي، فَإِنْ يَكُ مَا أَقُولُ حَقًّا فَاقْبَلُوا، وَ إِنْ يَكُ بَاطِلًا فَانْكُرُوا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ صِدْقَكُمْ إِنْ صَدَقْتُمْ، وَ يَعْلَمُ كَذِبَكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا غَيْرِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَلْ فِيكُمْ مَنْ بَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا بَيْعَةَ الْفَتْحِ وَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ غَيْرِي؟ قَالُوا: لَا. وَ سَأَقُ الْحَدِيثَ بِذِكْرِهِ مَنَاقِبُهُ وَ فَضَائِلَهُ فَيُصَدِّقُونَهُ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ إِلَى أَنْ قَالَ: فَانْشُدْكُمْ بِاللَّهِ

١- «غاية المرام» ص ٦٢١، الحديث الثالث و العشرون.

٢- نفس المصدر السابق، الحديث الأول.

هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ طَالِعٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ يَا أَنَسُ؛ فَإِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْرُ الْوَصِيِّينَ وَأَوْلَى النَّاسِ»، فَقَالَ أَنَسُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَكُنْتُ أَنَا الطَّالِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَنَسٍ: مَا أَنْتَ يَا أَنَسُ؛ بِأَوَّلِ رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمَهُ غَيْرِي؟ قَالُوا: لَا.^١

نلاحظ هنا أن الإمام عليه السلام يستدل بحديث أنس . و حديث أنس من الأحاديث المشهورة والمعتبرة . و لا شبهة و لا شك في صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد ثبتته الكبار من محدثي السنة في كتبهم ناهيك عن محدثي الشيعة . و عدوه من المسلمات القطعيات كحديث الغدير ، و حديث العشيرة . و قد عرف هذا الحديث بحديث أنس . و قد روى أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء» ج ١ ، ص ٦٣ و محمد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» ص ٢١ عن أبي نعيم في «الحلية» . و أحمد بن الموفق الخوارزمي في «المناقب» ص ٥١ وإبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في «فرائد السمطين» ج ١ باب ٢٧ و الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ص ٩٢ ، تحت عنوان «تخصيص عليّ بكونه سيّد المسلمين» ، و ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ٤٥٠ ، والقندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» ص ٣١٣ ، عن أبي نعيم في «الحلية» ، و ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ٥٤٣ عن حلية أبي نعيم و ولاية الطبري ، و السيّد هاشم البحراني في «غاية المرام» ص ٦١٩ عن الحموي ، و ابن عساكر في «تاريخ دمشق

١- «غاية المرام» ص ٦٢١: الحديث الخامس .

الكبير» الجزء الخاصّ بأمر المؤمنين ، ورقة ٩٩ ، روى هؤلاء بإسنادهم عن أنس أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا أَنَسُ ! اسْكُبْ لِي وَضُوءاً ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَنَسُ ! أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَ خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ . قَالَ أَنَسُ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَ كَتْمَتَهُ ، إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَا أَنَسُ ؟ فَقُلْتُ : عَلِيٌّ ، فَقَامَ مُسْتَبْشِرًا فَاعْتَنَقَهُ ثُمَّ جَعَلَ يَمَسُحُ عِرْقَ وَجْهِهِ بِوَجْهِهِ وَ يَمَسُحُ عِرْقَ عَلِيٍّ بِوَجْهِهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَقَدْ رَأَيْتُكَ صَنَعْتَ شَيْئًا مَا صَنَعْتَ لِي مِنْ قَبْلُ ؟ قَالَ : وَ مَا يَمْنَعُنِي وَ أَنْتَ تُؤَدِّي عَنِّي وَ تُسْمِعُهُمْ صَوْتِي وَ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي .^٢

١- إن كثيراً من أجزاء كتاب تاريخ ابن عساكر لم يطبع بعد . و هي موجودة في مكتبات العالم المختلفة . و بينهما جزء كتبه المؤلف عن أمير المؤمنين عليه السلام و هو لم يطبع لحد الآن . و قد أمر المرحوم العلامة الأميني بعض فضلاء النجف أن يأخذوا نسخة من مصورة على تلك النسخة الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق . و ثبتوها في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة بالنجف . و نحن نقلنا تلك الرواية عن ابن عساكر عن تلك النسخة بناءً على ما نقله صاحب كتاب «علي و الوصية» في ص ٣٧٦ ، و قد ذكرها في استدراقات كتابه .

٢- يتفق جميع العلماء الذين نقلنا عنهم على ألفاظ هذا الحديث نفسها إلا في بعض الجزئيات المشار إليها فيما يأتي ، (١) يقول الخوارزمي : ثُمَّ جَعَلَ يَمَسُحُ عِرْقَ وَجْهِهِ وَيَمَسُحُ وَجْهَ عَلِيٍّ عَلَى وَجْهِهِ . (٢) يقول ابن عساكر : ثُمَّ جَعَلَ يَمَسُحُ عَن وَجْهِهِ وَ يَمَسُحُ عِرْقَ عَلِيٍّ بِوَجْهِهِ . (٣) يقول ابن شهر آشوب ثُمَّ جَعَلَ يَمَسُحُ عِرْقَ وَجْهِهِ بِوَجْهِهِ . فلم يذكر الفقرة الثانية . (٤) يقول القندوزي و ابن أبي الحديد : ثُمَّ جَعَلَ يَمَسُحُ عِرْقَ وَجْهِهِ . و لم يذكر الفقرة الأخرى أيضاً . (٥) ذكر ابن أبي الحديد صدر الحديث بالشكل التالي : إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ يَعْسُوبُ الدِّينِ وَ خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ .

نحن هنا ندرس هذا الحديث في مرحلتين: الأولى: نبحت عن سنده متطرقين أيضاً إلى المفردات الواردة فيه. الثانية: ندرس دلالاته.

المرحلة الأولى: تبين لنا أن كبار أئمة الحديث رووا هذا الحديث بسلسلة إسنادهم المتصل. ونحن ذكرنا عشرة منهم بأسمائهم وكتبهم ولا يقدح أحد في رواته. يقول الكنجي الشافعي: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ عَالٍ. وذكرنا أيضاً أن هذا الحديث من المشهورات ولم يقدح فيه أحد ولم يضعفه، بل ذكره أمثال الحافظ أبي نعيم، والحمويني، والطبري وهم من الأجلاء في هذا الاختصاص، ومن أعظم أساتذة الحديث، فقد رووه بإسنادهم المتصل عن أنس، وذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق الكبير». وابن عساكر هذا هو المؤرخ المشهور. وكان حافظاً ومحدثاً. وكان يسكن بلاد الشام وهو صاحب السمعاني مؤلف كتاب «الأنساب». ولد في دمشق سنة ٤٩٩ هـ. وتوفي سنة ٥٧١ هـ. روى هذا الحديث بسلسلة سنده عن أبي عليّ المقرئ، عن أنس.

وليس هناك من اختلاف في ألفاظ هذا الحديث إلا في بعض الجزئيات التي أشرنا إليها في الهامش.

الْوَضُوءُ بفتح الواو هو الماء الذي يُتَوَضَّأُ بِهِ. الأمير بمعنى الشخص الأمر والرئيس. السيد وهو الكبير وذو السيادة.

وَأَمَّا قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ. يقول في «شرح القاموس»: الْغُرَّةُ وَالْغُرْغُرَةُ بضمهما بياضٌ في الجبهة. وَفَرَسٌ أَغْرَّ عَلَى وَزْنِ أَحْمَرَ وَغَرَاءَ عَلَى وَزْنِ حَمَاءَ وَصَفٌ لِلْفَرَسِ. وَالأَغْرَّ عَلَى وَزْنِ الأَحْمَرَ الأَبْيَضُ مِنْ كَلِّ شَيْءٍ. وَيَقُولُ أَيْضاً: الْحُجْلَةُ مَحْرَكَةٌ كَالْقُبَّةِ، وَمَوْضِعٌ يَزِينُ بِالثِّيَابِ وَالسُّتُورِ، وَالأَسِرَّةُ لِلْعُرُوسِ. إِلَى أَنْ يَقُولَ: حَجَّلَهَا تَحْجِيلًا مِنْ بَابِ

التفعيل اتّخذ لها حجلةً أو أدخلها فيها . ثمّ يقول : و التّحجيل من باب التفعيل بياض يكون في قوائم الفرس كلّها ... و الفرس محجول على وزن منصور ، و مُحَجَّل على وزن مُعْظَم .

و يقول في «مجمع البحرين» : و في حديث عليّ عليه السلام «قائدُ الغرِّ المُحَجَّلِينَ» أي : مواضع الوضوء من الأيدي و الأقدام ، إذا دُعوا على رؤوس الأَشْهاد أو إلى الجَنَّة كانوا على هذا النهج ، استعار أثر الوضوء في الوجه و اليدين و الرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس و يديه و رجليه .

و يقول في «المصباح المنير» الحَجَلُ : الخَلخالُ بكسر الخاء و الفتح لغة . و يسمّى القيد حجلًا على الاستعارة ، و الجمع حُجول و أحجال مثل حَمَل و حُمول و أحمال . و فرسٌ مُحَجَّل و هو الذي ابيضّت قوائمه . و جاور البياض الأرساغ إلى نصف الوظيف و نحو ذلك . و ذلك موضع التّحجيل فيه . و التّحجيل في الوضوء غسل بعض العضد و غسل بعض الساق مع غسل اليد و الرجل .

و يقول ابن الأثير في «النهاية» : في صفة الخيل : «خَيْرُ الخَيْلِ الأَقْرَحُ المُحَجَّلُ» هُوَ الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد و يجاوز الأَسارغ و لا يجاوز الركبتين لأنّهما مواضع الأحجال و هي الخلاخيل و القيود ، و لا يكون التّحجيل باليد و اليدين ما لم يكن معها رجل أو رجلان . و منه الحديث : «أُمَّتِي الغُرُّ المُحَجَّلُونَ» أي : بياض مواضع الوضوء من الأيدي و الوجه و الأقدام . استعار أثر الوضوء في الوجه و اليدين و الرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس و يديه و رجليه .

و يقول في «لسان العرب» أوْلًا : و الحُجلة مثل القَبّة ، و حَجَلَة

العروس معروفة . وهي بيت يزين بالثياب ، و الأسرّة و الستور ، و منه «اعرّوا النساء يلزمن الحجال» ، و حَجَّلَ العروس : اتَّخَذَ لها حَجَلَةً . ثم نقل عبارة بن الأثير السابقة نفسها .

في ضوء ما تقدّم . فإنّ معنى قائد الغرّ المُحَجَّلِينَ هو أحد شيئين : أمّا الغرّ بمعنى أصحاب الجباه البيض . و المُحَجَّلُونَ بمعنى أصحاب الأيدي و الأقدام البيضاء ، و في هذا كناية عن نورانية وجوه المتوضّئين و أيديهم و أقدامهم التي تألقت في عوالم المعنى فأضاءت بنورها مسافة و أمير المؤمنين قائد الناس النورانيين و الأطهار إلى عوالم القدس و الطهارة و عوالم النور . أو أنّ الغرّ بمعنى النورانيين ، و المُحَجَّلِينَ بمعنى المُبَوِّئِينَ في الغرف ، فهو قائد المؤمنين إلى غرف الجنة حيث الأمن و الأمان و الهدوء و السكينة .

و الشاهد على المعنى الأوّل هو أنّه ذكر لفظ المُحَجَّلِينَ مع لفظ الغرّ ولما كان التحجيل هو البياض في يدي الفرس و رجليه ، و الغرّة هي البياض في جبهته ، فسيّضح لنا تماماً تشبيه المتوضّئين الذين تضي مواضعهم الخمسة و هي الوجه و اليدان و الرجلان . بالخيل التي يكون البياض في وجوها و أيديها و أرجلها . و أمّا الشاهد على المعنى الثاني فهو أنّ إحدى درجات الجنة هي العُرُفات الآمنة و الحجلات المطمئنة ، كما نلاحظ ذلك في قوله تعالى : وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا .^١ و قوله أيضاً : لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ .^٢ و قوله

١- الآية ٥٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت . ٣- الآية ٣٧ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢- الآية ٢٠ ، من السورة ٣٩ : الزمر . ٤- الآية ٧٥ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

كذلك: وَ هُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ^١. وقوله بعد تعداده أربع عشرة صفة من صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان: أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَاماً^٢.

و أما معنى خاتم الوصيين فهو كمعنى خاتم النبيين؛ لأن خاتم وخاتم بالفتح و الكسر هو ما تختم به الرسالة لكي تبقي محفوظة من التزوير. و جاء في «شرح القاموس»: و الخِتَامُ ككِتَابِ الطَّيْنِ يُخْتَمُ بِهِ عَلَى الشَّيْءِ، وَ الخَاتِمُ عَلَى وَزْنِ الكَامِلِ مَا يَوْضَعُ عَلَى الطَّيْنَةِ لِيخْتَمَ بِهِ وَ الخَاتِمُ حَلِيٌّ لِلأَصْبَعِ مِثْلُ الخَاتِمِ بِالْفَتْحِ... إلى أن يقول: يقول المصنّف: الخَاتِمُ - بكسر التاء - اسم فاعل بمعنى الذي يختم، و الخَاتِمُ - بفتح التاء - و الخَاتِمُ وَ الخَيْتَامُ. اسم الحليّ و غيرها يختم بها، و تُلبَسُ في اليَدِ.

و يقول ابن الأثير في «النهاية» «أمين، خَاتِمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ». قيل: معناه طابَعُهُ و علامته التي تدفع عنهم الأعراض و العاهات؛ لأن خاتم الكتاب يصونه و يمنع الناظرين عمّا في باطنه؛ و تفتح تاءه و تكسر لُغَتَانِ. و جاء مثل هذا المعنى في «لسان العرب» أيضاً. و في ضوء ذلك فإنّ الخَاتِمَ أو الخَاتِمَ يعني الآخر. و إذا قرأنا (خَاتِم) بالكسر بمعنى اسم الفاعل، فهو خَاتِمٌ أوصياء الأنبياء. و إذا كان بالكسر أو بالفتح بمعنى ما يُخْتَمُ بِهِ فهو ذلك الختم الذي يضرب على الطغراء الخاصة بصحيفة الأوصياء، و قد ختمت بواسطة وجود الوصي المبارك^٣.

و أما يعسوب الدين الذي رواه ابن أبي الحديد أيضاً فهو كما ذكرنا

٣- ربّما يقال: إنّ معنى خاتم الأوصياء هو أنّه وصيّ خاتم الأنبياء، فلا يشكل إذن مفهوماً مستقلاً بالنسبة إلى قوله: «أنا خاتم الأنبياء»، و إذا كان القصد هو أنّ الوصاية قد ختمت به، فالأئمّة الآخرون هم ليسوا أوصياء رسول الله، بل أوصياء وصيه، بينما هم أوصياء رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضاً.

سابقاً أمير النحل و ذكرها الذي يتولّى رئاسة الخلية ، و يعسوب الدين كناية عن مقام الرئاسة و السيادة و الحكومة الذي كان لأمير المؤمنين في جميع الشؤون الدينيّة .

و أمّا المرحلة الثانية : التي تخصّ دلالة الحديث . فقد صلى رسول الله صلى الله عليه و آله ركعتين ، و ليس لنا علم بحالاته في تلك الصلاة ، و نزول جبرئيل ، و مشاهدته عوالم الملكوت و مقامات أمير المؤمنين ، و هو نفسه لم يصرّح لنا بشيء عن ذلك ، بيّد أنّ كلّ ما نعلمه هو أنّه قال لأنس بعد الصلاة : أوّل من يدخل هو سيّد المسلمين وأمير المؤمنين و خاتم الوصيّين . و لمّا دخل أمير المؤمنين عليه السلام قام بذلك الوضع العجيب كشخص وجد ضالّته و ظفر بمعشوقة و محبوبه فاعتنقه و مسح وجهه بوجهه ، و مسح عرقه بوجهه بحيث إنّ أمير المؤمنين نفسه تعجّب ممّا صنعه رسول الله من عمل لم يعهده من قبل ، فقال متحيراً : يا رسول الله ! لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت لي من قبل ، فأشار صلى الله عليه و آله إلى مقامات الإمام . و قال : أنت تؤدّي عنيّ و تنجز عداتي ، و تُسمعُ الناس صوت التوحيد و نداء الإسلام الصادر عنيّ ، و أنت الذي إذا نشبت نار الفتن و الاضطرابات بعدي ، تشقّ للناس طريقهم من بين لجج الهوى و الهوس العميقة لتكون كموج النور المتألّق و الحقيقة الساطعة في دياجير الجهل و غياهب الشهوات ، فتوضّح لهم الحقيقة ، و كأنّ رسول الله كان يرى أنّ ما يحاك بعده من دسائس سيؤدّي بالإسلام و ينسفه من الأساس ، و ستعود الصنميّة الجاهليّة إلى الناس بشكل آخر . و يتّضح صدق كلامنا جيّداً من خلال سياسة الخلفاء الذين جاءوا بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و الأسلوب الذي انتهجه معاوية و ولده يزيد . و يتبيّن لنا من خطب «نهج البلاغة» و خطبة سيّد الشهداء عليه السلام بمِنَى

أواخر عصر معاوية . وكذلك بقيّة خطبه عليه السلام و كلماته ، أنّ الخلفاء أفرغوا الإسلام من محتواه ، وتركوه بلا رفق ولا روح^١ .
 ولما كان رسول الله يعلم بأنّ الشخص الوحيد الذي يدافع عن الحقّ و يؤدّي دَين الرسالة ، و ينجز عهود الله و رسوله ، و يقرع أسماع أهل العالم بنداء التوحيد المتمثّل بلا إله إلاّ الله وَحْدَهُ وَحْدَهُ و معنى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، هو أمير المؤمنين و حسب ، و أنّه الشخص الوحيد الذي انبثق عن أصل التوحيد مع رسول الله ، و حاز على أعلى الدرجات و أرفع المقامات في دَرَكَ الحقيقة و المعارف الإلهيّة و الفناء في الذات الأحديّة^٢ ، لذلك فهو يقول في جواب أمير المؤمنين : لِمَ لَا أُحِبُّكَ وَلَا أُعْتَفُكَ ، و لا أُمسح عرق وجهك الجميل بوجهي ؟ أنت رُوحِي التي بين جنبي ، و أنت حقيقتي و أنت الرافع راية العدل و التوحيد . و الحارس الأمين لدين الله و سنتي و أنت ناصرِي و معيني في أحلك الظروف و أخطر العقبات ، و أنت النتيجة المتولّدة عن رسالتي . و أنت الامتداد لنبوّتي و الحافظ لشريعة الله بين شرائح الناس المختلفة حتّى يوم القيامة ، و أنت المرستخ شجرة التوحيد

١- و قد سار سيّد الشهداء إلى مكّة للحجّ قبل وفاة معاوية بسنة ، يصحبه عبد الله بن جعفر و عبد الله بن عباس و جمع من بني هاشم من النساء و الرجال ، و جماعة من مواليهم و شيعتهم ، فخطب عليه السلام في منى خطبة مفصّلة قال فيها : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الطَّاعِيَةَ قَدْ فَعَلَ بِنَا وَ بِشِيعَتِنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَ عَلِمْتُمْ وَ شَهِدْتُمْ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ ﴿ صَدَقْتُ فَصَدِّقُونِي ، وَ إِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبُونِي ، اسْمَعُوا مَقَالَتِي وَ اكْتُبُوا قَوْلِي ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَمْصَارِكُمْ وَ قِبَائِلِكُمْ فَمَنْ أَمْتَمَ مِنَ النَّاسِ وَ وَثَقْتُمْ بِهِ فَادْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّنَا فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَدْرُسَ هَذَا الْأَمْرُ وَ يَذْهَبَ الْحَقُّ وَ يُغْلَبَ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ -الخطبة (كتاب «سليم بن قيس» ص ٢٠٦) .

٢- يقول أبو نعيم في «الحلية» ج ١ ، ص ٦٨ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَا تَسْبُوا عَلِيًّا فَإِنَّهُ مَسْهُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .

وولايتي .

أجل ، فإن صدر هذا الحديث و ذيله معاً شاهداً صدقٍ صريح على خلافة مولى المتقين و إمارته و وصايته .

أولاً: لفظ أمير المؤمنين ، و هو بمعنى الحاكم و المهيمن على جميع المؤمنين .

و ثانياً: سيّد المسلمين .

و ثالثاً: قائد الغرّ المحجلين و هو بمعنى الإمام و الدليل و الرائد .

و رابعاً: لفظ خاتم الوصيين ، و هو أكثر صراحة من جميع تلك الألقاب ؛ إذ يدلّ على مقام وصايته في جميع شؤون النبوة وفقاً لوصاية أوصياء الأنبياء السابقين ، بل هو أعلى منهم و أشرف .

و كذلك أداء العهود و ديون رسول الله ، و إبلاغ صوته ، و تبين الاختلافات و المشاجرات بعده ، كلّ أولئك نابع عن مقام الولاية و حسب و لذلك عدّوا هذا الحديث - كما ذكرنا - من النصوص الصريحة على وصاية أمير المؤمنين و خلافته ، و قد رووه بألفاظ متقاربة و أسانيد أخرى أيضاً .

روى البحرانيّ في «غاية المرام» ص ١٩ و كذلك في «المناقب الصغير» تحت عنوان «عليّ و السنّة»^٢ عن «مناقب» ابن مردويه عن أنس أنّه قال : كَانَ النَّبِيُّ فِي بَيْتِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ حَبِيبَةَ ! اعْتَزِلِينَا فَإِنَّا عَلَى حَاجَةٍ ، ثُمَّ دَعَا بِوُضُوءٍ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْعَرَبِ وَ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ . قَالَ أَنَسٌ : فَجَعَلْتُ أَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنْ

١- الحديث الثامن و العشرون .

٢- «عليّ و السنّة» ص ٦٤ .

الأنصار . قَالَ فَدَخَلَ عَلَيَّ فَجَاءَ يَمْشِي حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِ النَّبِيِّ (رَسُولِ اللَّهِ فِي نَسْخَةِ الْمَنَاقِبِ) فَجَعَلَ (رَسُولُ اللَّهِ فِي نَسْخَةِ الْمَنَاقِبِ) يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ عَلِيُّ : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !؟ قَالَ : إِنَّكَ تُبَلِّغُ رِسَالَتِي مِنْ بَعْدِي وَتُوَدِّي عَنِّي وَتَسْمَعُ النَّاسَ صَوْتِي وَتَعْلَمُ النَّاسَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

و روى البحراني أيضاً في ص ٢٠ ،^١ وفي «المناقب الصغير»^٢ كذلك بإسناده عن «مناقب» ابن مردويه عن أنس أته قال بينا وبينما في نسخة المناقب) أنا عند النبي (رسول الله ، المناقب) إذ قال : الآن يدخل سيّد المسلمين و أمير المؤمنين و خير الوصيين و أولى الناس بالمؤمنين (بالناس ، المناقب) إذ طلع علي بن أبي طالب ، فقام النبي (فقال رسول الله : اللهم ! وال من والآه . و قال : فجلس بين يدي رسول الله ، المناقب) فأخذ يمسح العرق عن جبهته و وجهه و يمسح به وجه علي بن أبي طالب ، و يمسح العرق عن وجه علي و يمسح به وجهه . فقال له علي : يا رسول الله ! نزل في شيء ؟ قال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ أنت أخي و وزيري و خير من أخلفه (أخلف ، المناقب) بعدي تقضي ديني و تُنجز موعدي و تبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي و تعلمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا ، و تجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل .

و روى أيضاً في «غاية المرام» ص ١٩ ، عن ابن عباس عن أنس

١- الحديث الثلاثون .

٢- «علي و السنة» ص ٦٦ .

أنته^١ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا أَنَسُ! اسْكُبْ لِي وَضُوءاً أَوْ مَاءً، فَتَوَضَّعْتُ ثُمَّ انصرفت، فقال: يَا أَنَسُ! مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ الْيَوْمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ وَ إِمَامُ الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ، فَجَاءَ عَلَيَّ حَتَّى ضَرَبَ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا أَنَسُ؛ فَقُلْتُ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: افْتَحَ لَهُ الْبَابَ.

و يقول في ص ٢٠٢. و من المناقب عن أنس قال: كُنْتُ خَادِماً لِلنَّبِيِّ، فَبَيْنَمَا أَنَا يَوْماً أَوْضِيهِ إِذْ قَالَ: يَدْخُلُ رَجُلٌ وَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ، قَالَ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

و يقول في الصفحة نفسها أيضاً^٣: عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِذْ قَالَ: يَطْلُعُ الْآنَ، قُلْتُ: فِدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي مَنْ ذَا؟ قَالَ: سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ وَ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ، قَالَ: فَطَلَعَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: [أَمَا تَرْضَى] أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى.

و من الأخبار الدالة على وصايته عليه السلام خبر كلام الله تعالى مع رسوله عند سدره المنتهى حول أمير المؤمنين؛ إذ بين فيه الباري سبحانه مقامات الإمام عليه السلام ثم قال النبي صلى الله عليه وآله و سلم: إِنَّهُ سَيَخُصُّهُ بِالْبَلَاءِ.

لقد نقلت هذه الرواية بسندين: أحدهما: عن أمير المؤمنين

١- الحديث الرابع و العشرون .

٢- الحديث التاسع و العشرون .

٣- الحديث الثاني و الثلاثون .

عليه السلام نفسه ، و الثاني : عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ . و نحن هنا ننقل الروایتين بخصوصیتتهما عن طريق العامة .

أما الرواية الأولى فقد نقلها الموفق بن أحمد الخوارزمي [حسب نقل كتاب «عليّ و الوصيّة» ص ١٩] في كتاب «المناقب» ص ٢٤٠ طبع إيران بإسناده عن غالب الجُهَنِيِّ عن أبي جعفر ، عن أجداده ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ؛ قُلْتُ : لَبَّيْكَ وَ سَعْدِيكَ ، قَالَ : قَدْ بَلَوْتُ خَلْقِي فَأَيُّهُمْ رَأَيْتُ أَطْوَعَ لَكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَبِّي ؛ عَلِيًّا ، قَالَ : صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ ؛ فَهَلِ اتَّخَذْتَ لِنَفْسِكَ خَلِيفَةً يُؤَدِّي عَنكَ وَ يُعَلِّمُ عِبَادِي مِنْ كِتَابِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَبِّ ؛ اخْتَر لِي فَإِنَّ خَيْرَتَكَ خَيْرَتِي ، قَالَ : اخْتَرْتُ عَلِيًّا فَاتَّخَذَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيفَةً وَ وَصِيًّا ، وَ نَحَلْتُهُ عِلْمِي وَ حِلْمِي ، وَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ، لَمْ يَنْلُهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ . يَا مُحَمَّدُ ! عَلِيٌّ رَايَةُ الْهُدَى وَ إِمَامٌ مِنْ أَطَاعِنِي وَ نُورٌ أَوْلِيَائِي ، وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، فَبَشِّرْهُ يَا مُحَمَّدُ بِذَلِكَ . فَقَالَ : النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : قُلْتُ رَبِّي فَقَدْ بَشَّرْتَهُ . فَقَالَ : أَنَا عَبْدُ اللهِ وَ فِي قَبْضَتِهِ ، إِنْ يُعَاقِبُنِي فَبِذُنُوبِي لَمْ يَظْلِمْنِي شَيْئًا ، وَ إِنْ تَمَّمَ لِي وَ عَدِي فَإِنَّهُ مَوْلَايَ ، قَالَ : أَجَلْ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَبِّ ! فَاجْلِ قَلْبَهُ وَ اجْعَلْ رَيْبِعَهُ الْإِيمَانَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ غَيْرَ أَنِّي مُخْتَصُّ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ لَمْ أَخْصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي . قَالَ قُلْتُ يَا رَبِّ ؛ أَخِي وَ صَاحِبِي ! قَالَ : قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ مُبْتَلَى ، لَوْلَا عَلِيٌّ لَمْ يُعْرِفْ حِزْبِي وَ لَا أَوْلِيَائِي وَ لَا أَوْلِيَاءُ

رُسُلِي .

و ذكر البحراني هذا الحديث أيضاً في «غاية المرام» ص ٣٤ تحت عنوان : الحديث الثامن عشر عن الموفق بن أحمد الخوارزمي ، و ليس هناك أي اختلاف بينه و بين حديث الخوارزمي إلا في جملة غير أنني مُخْتَصَّ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ ، فقد ذكرها كمايلي : غَيْرَ أَنِّي مُشَخَّصُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ .

و أما رواية أبي برزة الأسلمي فهي نفس هذه الرواية باسقاط صدرها و ذيلها . و نحن هنا ننقلها عن «حلية الأولياء» للحافظ أبي نعيم الأصفهاني في الجزء الأول ص ٦٦ ثم نتحدث حولها .

يروى أبو نعيم بسنده عن أبي برزة أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلَيٍّ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ! بَيْنَهُ لِي . فَقَالَ : اسْمَعْ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ . فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا رَايَةَ الْهُدَى وَ إِمَامَ أَوْلِيَائِي وَ نُورٌ مَنَ أَطَاعَنِي وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلَزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ، مَنَ أَحَبَّهُ أَحَبَّنِي ، وَ مَنَ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشَّرُهُ بِذَلِكَ . فَجَاءَ عَلِيٌّ فَبَشَّرْتُهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ فِي قَبْضَتِهِ فَإِنْ يُعَذِّبْنِي فَبَدِّنِي . وَ إِنْ يَتِمَّ لِي الَّذِي بَشَّرْتَنِي بِهِ فَاللَّهُ أَوْلَى بِي . قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ قَلْبَهُ وَ اجْعَلْ رَبِيعَهُ الْإِيمَانَ . فَقَالَ اللَّهُ : قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَيَخُصُّهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي . فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ؛ أَخِي وَ صَاحِبِي ! فَقَالَ : إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ مُبْتَلَى وَ مُبْتَلَى بِهِ .

و نقل محمد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» ص ٢١ هذه الرواية بنفس ألفاظها عن الحافظ أبي نعيم . و روى ابن أبي الحديد

المعتزلي في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ٤٤٩،^١ وفي الحديث الثالث وعن الحافظ أبي نعيم أيضاً عند نقله أربعة و عشرين حديثاً في فضائل أمير المؤمنين . في ذيل كلامه : **قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ ... الخ .** علماً أن عبارة ابن أبي الحديد في نقل الرواية هي نفس عبارة أبي نعيم التي نقلناها عن «حلية الأولياء» .

لكن الشيخ سليمان القندوزي الحنفي عندما ينقل هذه الرواية عن أبي نعيم في ثلاثة مواضع من كتابه «ينابيع المودة» فإنه يذكر لفظ **يا رَبِّ إِنَّهُ أَخِي وَ وَصِيِّي** بدل لفظ **يا رَبِّ إِنَّهُ أَخِي وَ صَاحِبِي** في جميع تلك المواضع على الصفحات ٧٨ و ٧٩ و ١٣٤ من كتابه .

لذلك لا يعلم على وجه الحقيقة هل أن كلمة **وَصِيِّي** كانت موجودة في «الحلية» و نقلها القندوزي نفسها ، ثم حذفت من «الحلية» في طبعتها المتأخرة . أو أنها نقلت عن «الحلية» بقسمين . أحدهما فيه كلمة **صَاحِبِي** كما نقل ذلك عنها ابن أبي الحديد . و محمد بن طلحة ، و الثاني فيه كلمة **وَصِيِّي** كما نقلها القندوزي في المواضع الثلاثة جميعها من كتابه . و الشاهد على الرواية الأولى ما نقلناه بكلمة **صَاحِبِي** عن «مناقب» الخوارزمي و «غاية المرام» .

الشاهد على الرواية الثانية كلامه تعالى : **فَاتَّخِذْهُ لِنَفْسِكَ خَلِيفَةً وَ وَصِيًّا** . كما جاء في صدر رواية «المناقب» للخوارزمي ، و «غاية المرام» . و منها الأحاديث التي تدلّ على أن الإيمان متوقف على التوحيد و النبوة ، و الولاية ، نحو الحديث الذي يرويه سليمان القندوزي في «ينابيع المودة» ص ٢٤٨ عن المير سيد علي الهمداني الشافعي في كتاب «مودّة

١- طبع مصر سنة ١٣٢٩ هـ الطبعة ذات المجلدات الأربعة .

القريب» ضمن المودة الرابعة . عن عتبة بن عامر الجهنّي أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على قول أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً نبياً وعلياً وصيه ، فأبى من الثلاثة تركناه كفرنا . وقال لنا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم : أحبوا هذا يعني علياً فإن الله يحبّه ، واستحبوا منه فإن الله يستحبني منه .

و يروي أيضاً في «ينابيع المودة» ص ٨٢ ضمن الباب الخامس عشر عن طلحة بن زيد ، عن الإمام جعفر الصادق ، عن آباءه ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : ما قبض الله نبياً حتى أمره الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عشيرته ، وأمرني أن أوصي إلى ابن عمك علي ، أثبتته في الكتب السالفة وكتبته فيها أنه وصيكم ، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق و ميثاق أنبيائي و رسلي ،^١ وأخذت مواعيتهم بالرؤوبية ، و لك يا محمداً بالنبوة ، و لعلي بن أبي طالب بالولاية والوصية .

و منها الأحاديث التي تدل على أن لكل نبي وارثاً و وصياً ، و أن وارث رسول الله و وصيته هو علي بن أبي طالب . فقد روى الشيخ سليمان القندوزي في «ينابيع المودة» ص ٨٦ عن «مناقب» الخوارزمي ، عن مقاتل ابن سليمان عن الإمام جعفر الصادق . عن آباءه ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم :

١- و روى في «ينابيع المودة» ص ٢٣٨ أيضاً تحت عنوان الحديث ٤٩ عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : لما أسري بي في ليلة المعراج فاجتمع عليّ الأنبياء في السماء فأوحى الله تعالى إليّ : سلهم يا محمداً ؛ بماذا بعثتم ، فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وحده و على الإقرار ببؤتك والولاية لعلي بن أبي طالب . رواه الحافظ أبو نعيم .

يَا عَلِيُّ؛ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ شَيْثٍ مِنْ آدَمَ، وَبِمَنْزِلَةِ سَامٍ مِنْ نُوحٍ، وَبِمَنْزِلَةِ إِسْحَاقَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَوَصَّيْنَا بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ - الْآيَةَ»،^١ وَبِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَبِمَنْزِلَةِ شَمْعُونَ مِنْ عِيسَى، وَأَنْتَ وَصِيٌّ وَوَارِثِي، وَأَنْتَ أَقْدَمُهُمْ سَلْمًا وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَوْفَرُهُمْ حِلْمًا وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا، وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا، وَأَنْتَ إِمَامُ أُمَّتِي وَقَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِمَحَبَّتِكَ يُعْرَفُ الْأَبْرَارُ مِنَ الْفُجَّارِ وَيُمَيَّزُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَفَّارِ.

يُبين رسول الله في هذا الحديث، أولاً: كان لكل نبي من الأنبياء السابقين مثل آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، عيسى وصياً من الأوصياء. وأنا أيضاً نبي الله فسيكون لي وصياً. وأنت وصيّي يا علي لذلك فإن مبدأ الوصاية سنة إلهية ينبغي أن تجري عند جميع الأنبياء، وأنا أيضاً لا أتخلف عن هذه السنة.

و ثانياً: ينبغي أن يكون وصي النبي أقدم الناس جميعهم إسلاماً وإيماناً، وأكثرهم علماً، وأوفرهم حلماً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كَفًّا ولما كانت هذه الصفات كلها مجتمعة فيك يا علي، وأنت أفضل الناس فيها، فقد جعلك الله إماماً لأمتي. وعلى أساس هذا المعيار الصحيح تعرف الجنة والنار حيث درجات المؤمنين من أتباعك، والمتمردين على ولايتك، وسيكون لهم مأوى في أقسامها المختلفة وفقاً لاختلاف درجاتهم. وبمحبتك يعرف الأبرار من الفجار، ويميّز بين المؤمنين والمنافقين والكفار.

و في هذا الكتاب نفسه أيضاً ص ٢٤٨ ضمن المودة الرابعة من

١- الآية ١٣٢، من السورة ٢: البقرة.

«مودّة القُربى» ينقل السيّد عليّ الشافعيّ الهمدانيّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا ، جَعَلَ شَيْثًا وَصِيَّ آدَمَ ، وَ يُوشَعَ وَصِيَّ مُوسَى ، وَ شَمْعُونَ وَصِيَّ عِيسَى ، وَ عَلِيًّا وَصِيَّ ، وَ وَصِيَّ خَيْرِ الْأَوْصِيَاءِ فِي الْبَدَاءِ ، وَ أَنَا الدَّاعِي وَ هُوَ الْمُضِيءُ .

و في ص ٧٩ منه أيضاً بإسناده عن الموفق بن أحمد الخوارزميّ بإسناده عن أمّ سلمة أنّها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ كُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا ، وَ عَلِيٌّ وَصِيٌّ فِي عِترَتِي وَ أَهْلِ بَيْتِي وَ أُمَّتِي بَعْدِي .

يقول القندوزي بعد نقل هذا الحديث ، روى الخوارزمي مثل هذا الحديث أيضاً. و روى شيخ الإسلام الحمويني حديث الوصية عن عليّ بن موسى عليهما السلام .

و منها ما جاء في كتاب «عليّ و الوصية» ص ٢٢٦ عن كتاب «المناقب» للخوارزميّ بإسناده عن أبي القاسم عبد الله بن محمّد بن عبدالعزيز البغويّ^١ عن حميد الرازيّ ، عن عليّ بن مجاهد ، عن محمّد بن إسحاق ، عن شريك بن عبد الله ، عن أبي ربيعة الإياديّ ، عن ابن بريدة ، عن أبيه بريدة أنّه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَسَلَّمَ: لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ وَ وَارِثٌ ، وَ إِنَّ عَلِيًّا وَصِيٌّ وَ وَارِثِي .

روى محبّ الدين الطبريّ هذا الحديث الشريف ، في «ذخائر العقبى» ص ٧١ عن «معجم الصحابة» للحافظ أبي القاسم البغويّ عن

١- البغويّ من مشاهير علماء العامّة . كنيته أبو القاسم و اسمه عبد الله . له كتاب

«معجم الصحابة» توفّي سنة ٣١٧ هـ .

بريدة . و في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ١٧٨ في باب «ذكر اختصاص أمير المؤمنين بالولاية والإرث» عن بريدة . و ذكره أيضاً الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ص ١٣١ ، و عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ في كتابه «كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق» المطبوع في حاشية الجزء الثاني من «الجامع الصغير» للسيوطي ص ٦٩ . و رواه الشيخ سليمان القندوزي في «ينابيع المودة» ص ٢٠٧ عن «معجم الصحابة» لأبي القاسم البغوي ، و عن الديلمي في ص ١٨٠ ، و في ص ٢٣٢ أيضاً عن الديلمي صاحب كتاب «فردوس الأخبار» ، و في ص ٧٩ عن الموفق بن أحمد الخوارزمي . و رواه أيضاً في ص ٢٤٨ ضمن المودة الرابعة من كتاب «مودة القربى» .

و منها : حديث ذكره الحموي في «فرائد السمطين» في الجزء الثاني ، الباب الحادي والثلاثين ، و ذكره العلامة البحراني في ص ٣٩ تحت عنوان «الحديث السادس والثلاثون» . و رواه القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» ص ٤٤١ عن مجاهد ، عن ابن عباس ، و هذا الحديث يدور حول مجي نعتل اليهودي إلى رسول الله . و سؤاله عن الصفات و الأسماء الإلهية ، و استفساره عن أوصياء النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، و هذا الحديث مفصل للغاية ، و نحن هنا نذكر فقرة منه تخص الوصية . قال (أي : نعتل اليهودي) : فَأَخْبَرَنِي عَنْ وَصِيكَ مَنْ هُوَ؟ فَمَا مِنْ نَبِيِّ إِلَّا وَ لَهُ وَصِيٌّ . وَ إِنَّ نَبِيَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ أَوْصَى إِلَى يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ ، فَقَالَ : نَعَمْ إِنَّ وَصِيَّيَّ وَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ بَعْدَهُ سِبْطَايَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ يَتْلُوهُ تِسْعَةَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ أُمَّةٌ أَبْرَارٌ - الحديث .^١

١- جاء هذا الحديث في كتاب «علي و الوصية» ، ص ٢٦ و ٢٧ .

و من أحاديث الوصية ، حديث سلمان الفارسي عندما سأل النبي قائلًا له : مَنْ وصيتك ؟ فأجابه : «يا سلمان ؛ تعلم من وصي موسى ؟ فقال : نعم ، يوشع بن نون . فقال صلى الله عليه وآله : اعلم يا سلمان ؛ إن وصي ووارثي وأخي ووزير و خير من أخلف بعدي ، ينجز موعدي و يقضي ديني ، علي بن أبي طالب» .

و قد ذكر هذا الحديث كثير من علماء الشيعة و السنة في كتبهم و صدقه الكبار من علماء العامة و شهدوا على صحته . و لما روي هذا الحديث بطرق مختلفة ، و عبارات متباينة فيما بينها إجمالاً . لذلك نقله هنا نصاً من الكتب المعتمدة للجمهور .

يروى العلامة البحراني في مناقبه الصغير الموسومة بـ «علي و السنة» ص ٥٧ عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن سلمان قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل نبي وصي ، فمن وصيتك ؟ فسكت عني فلما كان بعد رأيي ، فقال : يا سلمان ؛ فأسرعت إليه و قلت : لبيك ، فقال : تعلم من وصي موسى ؟ قلت : نعم ، يوشع بن نون ، فقال : لم ؟ قلت : لأنه أعلمهم يومئذ ، قال : فإن وصي و موضع سري و خير من أخلف بعدي ، ينجز موعدي و يقضي ديني ، علي بن أبي طالب .

يسأل الرسول سلمان في هذا الحديث عن السبب من جعل يوشع ابن نون وصياً لموسى ، فيجيب : لأنه كان أعلمهم يومئذ ، إته يريد هنا أن يوضح للناس بأن وصي النبي ينبغي أن يكون أعلم الأمة جميعها و أفهمها في مسائل الدين و المعارف الإلهية و رموز الدين و أسرارها . و لذلك يقول : وصي و موضع سري و خير من أخلف بعدي ، ينجز موعدي و يقضي ديني ، و يكون أهلاً للاضطلاع بهذه المهمة الشاقة ، علي بن

أبي طالب .

و روى في هذا الكتاب نفسه أيضاً ص ٥٨ عن «المناقب» عن ابن مردويه ، عن أنس ، أن سلمان قال : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : عَمَّن نَأْخُذُ بَعْدَكَ وَ بَمَنْ نَثِقُ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى سَأَلْتُ ذَلِكَ عَشْرًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا سَلْمَانَ ؛ إِنَّ وَصِييَ وَ خَلِيفَتِي وَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ خَيْرَ مَنْ أُخْلَفُهُ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، يُؤَدِّي عَنِّي وَ يُنْجِزُ مَوْعِدِي .

و يقول محبّ الدين الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ١٧٨ بعد حديث بريدة : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قُلْنَا لِسَلْمَانَ : سَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : مَنْ وَصِيُّهُ ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَنْ وَصِيُّكَ ؟ قَالَ : يَا سَلْمَانَ ؛ مَنْ كَانَ وَصِيِّي مُوسَى ؟ قَالَ : يُوشَعَ بْنِ نُونٍ قَالَ : فَإِنَّ وَصِيِّي وَ وَارِثِي ، يَقْضِي دِينِي وَ يُنْجِزُ مَوْعِدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . ثُمَّ يَقُولُ : خَرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِهِ «المناقب» .

و ذكر سبط بن الجوزي هذا الحديث نفسه و بعبارة الطبري ذاتها في «التذكرة» ص ٢٦ ، و اعتبره حديثاً صحيحاً ، و ردّ على من عدّه حديثاً ضعيفاً . و ملخص الكلام أنّ السبب الذي دفع البعض أن يضعفوا هذا الحديث هو وجود إسماعيل بن زيادة في إسناده ، و هو من الذين قدح فيهم الدار قطني . و سبب هذا القدح هو وجود الزيادة في ذيله . هذه الزيادة متمثلة في الجملة التالية : وَ هُوَ خَيْرٌ مِّنْ أَتْرُكُ بَعْدِي .

ثمّ يقول : و أمّا الحديث الذي ذكرناه فليس فيه زيادة ، و ما نقلناه عن أحمد بن حنبل ، و ليس في سلسلة رواته إسماعيل بن زيادة . و هذا الحديث غير ذلك الحديث .

ولكن محبّ الدين الطبري في كتابه الآخر «ذخائر العقبى» ص ٧١

ذكر فقط ذيل حديث سلمان ، فقال : قال : روى أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال : وصيي و وارثي يقضي ديني و يُنجز مواعي علي بن أبي طالب . ثم يقول : ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث في «المناقب» .

و ذكر ابن شهر آشوب هذا الحديث أيضاً بسندين في مناقبه ج ١ ، ص ٥٤٢ .

الأول : روى عن الطبري بإسناده عن سلمان أنه قال : قلت لرسول الله : يا رسول الله ؛ إنه لم يكن نبي إلا وله وصي ، فمن وصيكم ؟ قال : وصيي و خليفتي في أهلي و خير من أترك بعدي ، مؤدّي ديني و مُنجز عداتي علي بن أبي طالب .

الثاني : عن مطير بن خالد عن أنس ، و قيس بن مانه و عبادة بن عبد الله عن سلمان أنهما (أي ؛ أنس و سلمان) قالوا : قال النبي : يا سلمان ؛ سألتني من وصيي من أممي ، فهل تدري لمن كان أوصى إليه موسى عليه السلام ؟ قلت : الله و رسوله أعلم . قال : أوصى إلى يوشع لأنه كان أعلم أمته ، و وصيي و أعلم أممي بعدي علي بن أبي طالب .

و يروي الشيخ سليمان القندوزي كذلك في الباب الخامس عشر من «ينابيع المودة» ص ٧٨ عن «مسند» أحمد بن حنبل بإسناده عن أنس بن مالك أنه قال : قلنا لسلمان : سل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عن وصيه ، فقال : سلمان ؛ يا رسول الله ؛ من وصيكم ؟ فقال : يا سلمان ؛ من وصيي موسى ؟ فقال : يوشع بن نون . قال صلى الله عليه وآله وسلم : وصيي و وارثي يقضي ديني و يُنجز مواعي علي بن أبي طالب . ثم يقول : روى الثعلبي حديث الوصية بشأن علي بن أبي طالب عن البراء بن

عازب ، في تفسيره في ذيل الآية الكريمة : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١ .
و روى ابن المغازلي هذا الحديث بسنده عن ابن عباس ، وجابر بن
عبد الله الأنصاري ، و بريدة ، و أبي أيوب الأنصاري .
و ذكر في ص ٢٣١ من «ينابيع المودة» أيضاً ، ضمن سبعين منقبة
نقلها لأمير المؤمنين هذا الحديث عن أحمد بن حنبل ، عن أنس .

لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ

و ينقل أيضاً في ص ٢٥٣ ضمن المودة السابعة عن كتاب «مودة
القريب» عن عبد الله بن عمر أنه قال : مرَّ سلمانُ الفارسيُّ وَ هُوَ يُرِيدُ أَنْ
يَعُودَ رَجُلًا وَ نَحْنُ جُلُوسٌ فِي حَلَقَةٍ وَ فِينَا رَجُلٌ يَقُولُ : لَوْ شِئْتُ لَأَنْبَأْتُكُمْ
بَأَفْضَلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَ أَفْضَلِ مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ
فَسُئِلَ سَلْمَانٌ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَنْبَأْتُكُمْ بِأَفْضَلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا
وَ أَفْضَلِ مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ . ثُمَّ مَضَى سَلْمَانٌ . فَقِيلَ لَهُ :
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَ آلِهِ وَ سَلَّمْتُ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ هَلْ أَوْصَيْتَ ؟
قَالَ : يَا سَلْمَانُ : أَتَدْرِي مَنْ الْأَوْصِيَاءُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : آدَمُ
وَ كَانَ وَصِيُّهُ شِيثٌ وَ كَانَ أَفْضَلُ مَنْ تَرَكَهُ بَعْدَهُ مِنْ وُلْدِهِ ؛ وَ كَانَ وَصِيُّ نُوحٍ
سَامٌ وَ كَانَ أَفْضَلُ مَنْ تَرَكَهُ بَعْدَهُ ؛ وَ كَانَ وَصِيُّ مُوسَى يُوشَعَ وَ كَانَ أَفْضَلُ
مَنْ تَرَكَهُ بَعْدَهُ ؛ وَ كَانَ وَصِيُّ عِيسَى شَمْعُونُ بْنُ بَرْخِيَا وَ كَانَ أَفْضَلُ مَنْ
تَرَكَهُ بَعْدَهُ ؛ وَ إِنِّي أَوْصَيْتُ إِلَى عَلِيٍّ وَ هُوَ أَفْضَلُ مَنْ أَتْرَكُهُ مِنْ بَعْدِي .
و ينقل هذا الحديث نفسه في كتاب «عليّ و الوصية» في ص ٣٦٦

١- الآية ٢١٤ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

عن كتاب «الكوكب الدرّي» للسيد محمد صالح الترمذيّ الحنفيّ ص ١٣٣ بإسناده عن عمر بن الخطاب . بيّد أنّه لم يذكر هذه الفقرة : «فَسُئِلَ سَلْمَانُ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَنْبَأْتُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» و أضاف فقرة أخرى هي «و وَصِيُّ سُلَيْمَانَ آصِفُ بْنُ بَرَخِيَا» . و ذكر أيضاً أنّ وصيّ عيسى هو شمعون بن برخيا .

و منها : الأخبار التي تدلّ على أنّ الله جعل النبوة في محمد و الوصاية في عليّ ، نحو الحديث الوارد في «ينابيع المودة» ص ٢٥٦ :
عُثْمَانُ رَفَعَهُ : خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ رَكَّبَ ذَلِكَ النَّوْرَ فِي صُلْبِهِ فَلَمْ يَزَلْ شَيْئاً وَاحِداً حَتَّى افْتَرَقْنَا فِي صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَفِي النَّبُوَّةِ وَ فِي عَلِيِّ الْوَصِيَّةِ .
و يقول في هذه الصفحة نفسها أيضاً : عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : يَا عَلِيُّ ؛ خَلَقَنِي اللَّهُ وَ خَلَقَكَ مِنْ نُورِهِ ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أودَعَ ذَلِكَ النَّوْرَ فِي صُلْبِهِ فَلَمْ نَزَلْ أَنَا وَأَنْتَ شَيْئاً وَاحِداً ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا فِي صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَفِي النَّبُوَّةِ وَ الرَّسَالَةِ ، وَ فِيكَ الْوَصِيَّةُ وَ الْإِمَامَةُ .

و يقول ابن أبي الحديد^١ في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٤٥٠ :

الحديث الرابع عشر :

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ : كُنْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ نُوراً بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ ، فَسَمَّ ذَلِكَ فِيهِ وَ جَعَلَهُ جُزْئَيْنِ فَجُزْءٌ أَنَا وَ جُزْءٌ عَلِيٌّ . ثمّ يقول : روى أحمد بن حنبل هذا الحديث في مسنده ، وكذلك رواه في كتاب «فضائل عليّ» .

١- طبع مصر سنة ١٣٢٩ ، الطبعة ذات المجلدات الأربعة .

و ذكر صاحب «الفردوس» هذه الرواية أيضاً ، و نقل فيها فقرة إضافية فقال : **ثُمَّ انْتَقَلْنَا حَتَّى صِرْنَا فِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ، فَكَانَ لِي النُّبُوَّةُ وَلِعَلِيِّ الوَصِيَّةُ .**

و منها : الأخبار التي مفادها أنّ جبرئيل أعلم النبيّ بخبر وصاية أمير المؤمنين ، كما روى الموفق بن أحمد الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٢٨ في الفصل التاسع عشر عن محمّد بن أحمد بن شاذان ، و محمّد بن عليّ بن فضل الزّيّات ، عن عليّ بن بديع الماجشونيّ ، عن إسماعيل بن أبان الوراق ، عن غياث بن إبراهيم ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين عن أبيه عليهم السلام أنّه قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : نَزَلَ عَلَيَّ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبِيحَةَ يَوْمٍ فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا ، فَقُلْتُ : حَبِيبِي مَا لِي أَرَاكَ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا ؟ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! وَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا وَ قَد قَرَّتْ عَيْنِي بِمَا أَكْرَمَ اللَّهُ أَخَاكَ وَوَصِيكَ وَ إِمَامَ أُمَّتِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقُلْتُ : وَ بِمِ أَكْرَمَ اللَّهُ أَخِي وَ وَصِيَّ وَ إِمَامَ أُمَّتِي ؟ قَالَ : يَا هَيْ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِ الْبَارِحَةَ مَلَائِكَتُهُ وَ حَمَلَةَ عَرْشِهِ وَ قَالَ : مَلَائِكَتِي انظُرُوا إِلَيَّ حُجَّتِي فِي أَرْضِي عَلَى عِبَادِي بَعْدَ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ فَقَدْ عَفَّرَ خَدَّهُ فِي التُّرَابِ تَوَاضَعًا لِعَظَمَتِي ، أَشْهَدُكُمْ أَنَّهُ إِمَامٌ خَلَقِي وَ مَوْلَى بَرِيَّتِي .**

و نقل القندوزي الحنفيّ هذا الحديث الشريف في «ينابيع المودّة» في ص ٧٩ ، و ص ١٢٧ عن الخوارزميّ عن غياث بن إبراهيم بنفس السند السابق و باختلاف طفيف .

و روى ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ، ص ٥٤٣ عن عكرمة عن ابن عباس أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : **إِنَّ جِبْرَائِيلَ**

نَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ : هَذَا وَصِيَّتِكَ .

و منها : الأحاديث المأثورة عن النبي التي تدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام وصي رسول الله و وزيره و منجز و عده و مؤدي دينه و خيلفته في أمته . و لما كانت هذه الأحاديث قد نقلت أيضاً عن كبار العلماء بأسانيد مختلفة مضافاً إلى أن نصوصها ليست بعبارة واحدة ، لذلك نحن نتقل كثيراً منها كلاً على حده مع ذكر مصادرها .

ينقل الحموي في «فرائد السمطين» ج ٢ باب ٨ حديثاً مفصلاً بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله . و مما جاء فيه :
أَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ أَخِي وَ شَقِيقِي وَ صَاحِبُ الْأَمْرِ بَعْدِي وَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ . وَ صَاحِبُ حَوْضِي وَ شَفَاعَتِي وَ هُوَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَ إِمَامُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ قَائِدُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَ هُوَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي عَلَى أَهْلِي وَ أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَ بَعْدَ مَوْتِي وَ مُجِبُّهُ مُجِيبِي وَ مُبْغِضُهُ مُبْغِضِي ، وَ بَوْلَايَتِهِ صَارَتْ أُمَّتِي مَرْحُومَةً وَ بَعْدَاوَتِهِ صَارَتْ الْمُخَالَفَةُ لَهُ مَلْعُونَةٌ .

و روى العلامة البحراني في كتابه «المناقب الصغير» ص ٥٨ عن كتاب «الوسيلة» المتعلق بالعلامة الشيخ أحمد بن فضل بن محمد بن با كثير المكي الشافعي ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال : إِنَّ خَلِيلِي وَ وَزِيرِي وَ خَلِيفَتِي وَ خَيْرَ مَنْ أَتْرُكُ مِنْ بَعْدِي يَقْضِي دِينِي وَ يُنْجِزُ مَوْعِدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

و روى صاحب كتاب «علي و الوصية» ص ١٠٩ عن «مناقب» ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن نافع غلام عبد الله بن عمر أنه قال : قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ : مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنْتَ وَ ذَا ، لَا أُمَّ لَكَ ؟ ثُمَّ اسْتَعْفَرَ اللَّهُ وَ قَالَ : خَيْرُهُمْ بَعْدَهُ مَنْ كَانَ يَحِلُّ لَهُ مَا يَحِلُّ لَهُ ، وَ يَحْرُمُ

عَلَيْهِ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ . قُلْتُ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، سَدَّ أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ وَ تَرَكَ بَابَ عَلِيٍّ وَ قَالَ لَهُ : لَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَا لِي وَ عَلَيْكَ فِيهِ مَا عَلَيَّ ، وَ أَنْتَ وَارِثِي وَ وَصِيِّي تَقْضِي دِينِي وَ تُنْجِزُ عِدَاتِي وَ تَقْتُلُ عَلِيَّ سُنَّتِي ، كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُبْغِضُكَ وَ يُحِبُّنِي .

و روى إبراهيم بن محمد الحمويّ أيضاً في «فرائد السمطين» ج ١ الباب ٢٩ بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أته قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ : هَذَا عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ وَصِيِّي وَ عِيَّةُ عِلْمِي وَ بَابِي الَّذِي أُوتِي مِنْهُ ، أَخِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ ، وَ مَعِي فِي السَّنَامِ الْأَعْلَى ، يَقْتُلُ الْقَاسِطِينَ وَ النَّاكِثِينَ وَ الْمَارِقِينَ . و ذكر سبط بن الجوزي في «تذكرة الخواص» ص ٤٩ رسالة عمرو بن العاص إلى معاوية . و قد فصل كثيراً في ذكر فضائل عليّ بن أبي طالب . علماً بأن عمرو بن العاص لم يكن مخالفاً لأمر المؤمنين في البداية و كما هو واضح من رسالته ، فقد ذكر فيها أموراً ضدّ معاوية ، لكنّه لم يثبت على موقفه هذا ، فعندما كتب إليه معاوية رسالة أخرى يستعطفه فيها و يستعينه و ضمّها بوثيقة حكومة مصر ، تجهّز لمساعدة معاوية ، و كلّما حاول ولده و غلامه ردعه عن ذلك ، لم ينفع معه حتى تحرك لقتال أمير المؤمنين عليه السلام ملتحقاً بمعاوية .

يقول سبط بن الجوزي في ص ٤٩ : قال أهل التواريخ و السير : لمّا ولي عثمان الخلافة ، لم يلتفت إلى عمرو بن العاص و لا ولّاه ، و عزله عن مصر . و لمّا حوَّص عثمان ، خرج عمرو بن العاص إلى الشام فنزل فلسطين و كان يؤلّب على عثمان حتى قُتل .

ذكر فضائل أمير المؤمنين على لسان عمرو بن العاص

قيل لمعاوية أن عمرو بن العاص دويهة العرب فإذا أردت الحكومة والغلبة على علي بن أبي طالب فعليك به ، فكتب إليه يستدعيه إليه ويستعطفه و يعده المواعيد إن هو وافقه على قتال أمير المؤمنين و يذكر ماجرى على عثمان ، فكتب إليه عمرو :

أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَ فَهِمْتُهُ ، فَأَمَّا مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ مِنْ خَلْعِ رَبَقَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِي وَ التَّهْوُنِ مَعَكَ فِي الضَّلَالَةِ وَ إِعَانَتِي إِيَّاكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَ اخْتِرَاطِ السِّيفِ فِي وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَهُوَ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ وُلِيِّهِ وَ وَصِيِّهِ وَ وَارِثُهُ وَ قَاضِي دِينِهِ وَ مُنَجِّزُ وَعْدِهِ وَ صِهْرُهُ عَلَى ابْنَتِهِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ أَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّكَ خَلِيفَةُ عُثْمَانَ فَقَدْ عَزَلْتَ بِمَوْتِهِ وَ زَالَتْ خِلَافَتُكَ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْلَى الصَّحَابَةِ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ فَهُوَ كَذِبٌ وَ زُورٌ وَ غَوَايَةٌ . وَ يَحْكُ يَا مُعَاوِيَةَ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بَدَلَ نَفْسِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ، وَ قَالَ فِيهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ؟ فَكِتَابُكَ لَا يَخْدَعُ ذَا عَقْلٍ وَ ذَا دِينٍ وَ السَّلَامُ .

فلما قرأ كتابه ، قال له عتبة بن أبي سفيان : لا تتأس منه و رغبه في الولاية و أشركه في سلطانك . لذلك لما أرسل إليه رسالة أخرى و معها عهده إليه بحكومة مصر ، و لما رأى عمرو أنه سيكون حاكماً لمصر ، مال قلبه إلى معاوية فتحرك تلقاء الشام لقتال علي بن أبي طالب .^١
إنّ الباعث الذي دفعنا إلى ذكر رسالة عمرو بن العاص هنا هو ما ورد

١- «تذكرة الخواص» سبط ابن الجوزي ص ٤٩ - ٥٠ .

فيها من اعترافه بفضل أمير المؤمنين و اعتباره وصي رسول الله ، و وارثه و قاضي دينه و منجز وعده . و ولي كل مؤمن .

و يروي ابن شهر آشوب أيضاً في «المناقب» ج ١ ص ٥٤٢ عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن سلمان الفارسي أنه قال :
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ وَصِيَّ وَ خَلِيفَتِي وَ خَيْرَ مَنْ أَتْرُكُ بَعْدِي يُنْجِزُ مَوْعِدِي وَ يَقْضِي دِينِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

و يروي محب الدين الطبري في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ١٧٨ و في «ذخائر العقبى» ص ٧١ بإسناده عن أنس ، وكذلك القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» ص ٢٠٨ عن أحمد بن حنبل في مناقبه عن أنس أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : وَصِيَّ وَ وَارِثِي يَقْضِي دِينِي وَ يُنْجِزُ مَوْعِدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

و يروي القندوزي الحنفي في ص ١٣٣ من «ينابيع المودة» ضمن حديث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله قال : يَا عَلِيُّ ؛ أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِي وَ صَاحِبُ لَوَائِي وَ حَبِيبُ قَلْبِي وَ وَصِيَّ وَ وَارِثُ عَلَمِي .

و منها : الأحاديث التي سُمي فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خاتم الأوصياء ، و خاتم الوصيين و سيد الأوصياء و سيد الوصيين ، و أفضل الأوصياء .

منها : الحديث الذي نقلناه سابقاً عن «غاية المرام» ص ٦١٩ إذ يروي الحمويني بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه كان يوماً مع النبي في بعض حيطان المدينة ، إلى أن يقول : فمررنا بنخل ، فصاح النخل : هَذَا مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَ هَذَا عَلِيُّ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ وَ أَبُو الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ .

و ذكرنا أيضاً روايات كثيرة معروفة بحديث أنس جاء فيها أنّ رسول الله قال لأنس : **أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَ خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ .**

و نقلنا أيضاً عن «غاية المرام» ص ٦٢١ ، الحديث الثالث و العشرين أنّ ابن شاذان روى عن طريق العامة ، عن الإمام الرضا ، عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ، أنّه سئل ضمن ذلك الحديث : **وَ مَا الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ؟ قَالَ : وَ لَايَةُ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَ مَنْ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ... أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .**

و ذكرنا أيضاً ضمن حديث المناشدة الذي خاطب فيه أمير المؤمنين ، المسلمين في مسجد النبي أيام عثمان ، أنّ صاحب كتاب «عليّ و الوصية» ص ٧٣ نقل عن الحمويّ في «فرائد السمطين» بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم : **أَنَا أَفْضَلُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ ، وَ عَلِيُّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ صَيِّبِي أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ .**

و ذكر المناويّ عبدالرؤوف ابن تاج العارفين أيضاً في كتابه «كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق» المطبوع بمصر سنة ١٣٢١ ، وكذلك جاء في حاشية «الجامع الصغير» للسيوطيّ في ج ١ ، ص ٧١ حديث عن الديلميّ صاحب كتاب «فردوس الأخبار» في حرف الألف بإسناده عن أبي ذرّ الغفاريّ رحمة الله عليه أنّه قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ هُوَ يُخَاطَبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ ؛ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ .**

و روى الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ في «ينابيع المودة» ص ٧٩ هذا الحديث الشريف بلفظ آخر عن الحمويّ في «فرائد السمطين» إذ

جاء فيه : قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ ، خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

و روى القندوزي أيضاً في «ينابيع المودة» ص ٨٠ عن «المناقب» عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام : قَالَ : كَانَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الرَّسَالَةِ الضُّوْءَ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : لَوْلَا أَنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ لَكُنْتُ شَرِيكاً فِي النَّبُوَّةِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيّاً فَإِنَّكَ وَصِيٌّ نَبِيٌّ وَوَارِثُهُ ، بَلِ أَنْتَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ .

وعندما يذكر الحموي أيضاً في آخر الجزء الثاني الباب ٦١ ، ص ٣١٣ من «فرائد السمطين» أحوال الإمام المهدي قائم آل محمد عليه السلام فإنه يقول : عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رَبِيعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ ، وَأَنَّ أَوْصِيَاءِي بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

و روى القندوزي الحنفي هذا الحديث الشريف أيضاً في «ينابيع المودة» ص ٤٤٥ ، عن عبادة بن ربيعي ، عن جابر ، عن رسول الله ، وفي ص ٤٤٧ ، و ص ٤٨٧ عن «فرائد السمطين» للحموي بسنده عن عبادة بن ربيعي ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

ومنها : الأحاديث المتعلقة بكلام رسول الله مع الصديقة الكبرى عند موته ، إذ صرح فيها بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيه ، وأنه خير الأوصياء . وهذه الأحاديث مهمة للغاية أيضاً ، وهي تستحق الإمعان من وجهه نظر رجال الحديث والعلماء الذين ثبتوها في كتبهم الموثوقة .

يقول الكنجي الشافعي في الباب الأول ص ٥٥ من كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» طبع النجف: أخبرنا السيد النقيب الكامل مستحضر الدولة ، سفير الخلافة المعظمة ، علم الهدى ، تاج أمراء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أبو الفتوح المرتضى بن أحمد بن محمد بن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي ، عن أبي علي الحسن بن أحمد الحداد عن الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، عن الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . و (بسند آخر) أخبرنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل في حلب عن أبي عبد الله محمد بن أبي زيد الكراني في أصفهان ، عن فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية ، عن أبي بكر بن بريدة ، عن الحافظ أبي القاسم الطبراني (الذي تنتهي سلسلة السندين به) ، عن محمد بن زريق بن جامع المصري ، عن هيثم بن حبيب ، عن سفيان بن عيينة ، عن علي الهلالي ، عن أبيه ، أنه قال : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَكَاتِهِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا فَإِذَا فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ عِنْدَ رَأْسِهِ . قَالَ : فَبَكَتْ حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ طَرْفَهُ إِلَيْهَا قَالَ : حَبِيبِي فَاطِمَةُ ! مَا الَّذِي يُبْكِيكِ ؟ فَقَالَتْ : أَخْشَى الضَّيْمَةَ مِنْ بَعْدِكَ . فَقَالَ : يَا حَبِيبِي ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ اطَّلَاعًا فَاخْتَارَ مِنْهَا أَبَاكَ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ أَطَّلَعَ اطَّلَاعًا فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْدَكَ وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَنْكِحَكَ إِيَّاهُ ! يَا فَاطِمَةُ ! وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ سَبْعَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا قَبْلَنَا وَلَا يُعْطَى أَحَدًا بَعْدَنَا ، أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ

وَأَكْرَمُ النَّبِيِّينَ عَلَى اللَّهِ وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى اللَّهِ وَأَنَا أَبُوكَ . وَوَصِيِّي خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ بَعْلُكَ ، وَمِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضَرَانِ يَطِيرُ [بِهِمَا] فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَشَاءُ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِيكَ وَأَخُو بَعْلِكَ ، وَمِنَّا سِبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمَا ابْنَاكَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَبُوهُمَا وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ خَيْرٌ مِنْهُمَا . يَا فَاطِمَةُ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ مِنْهُمَا مَهْدِيٌّ^١ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا هَرَجًا وَ مَرَجًا ، وَ تَظَاهَرَتِ الْفِتْنُ ، وَ تَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ، وَ أَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَلَا كَبِيرٌ يَرْحَمُ صَغِيرًا ، وَ لَا صَغِيرٌ يُوقِّرُ كَبِيرًا . يَبْعَثُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْهُمَا^٢ مَنْ يَفْتَحُ حُصُونِ الضَّلَالَةِ وَقُلُوبًا غُلْفًا ، يَقُومُ بِالدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمْتُ بِهِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ ، وَيَمَلَأُ الدُّنْيَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا . يَا فَاطِمَةُ لَا تَحْزَنِي وَ لَا تَبْكِي فَإِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِكَ وَ أَرَأْفُ عَلَيْكَ مِنِّي وَ ذَلِكَ لِمَكَانِكَ مِنِّي وَ مَوْقِعِكَ مِن قَلْبِي ، وَ زَوْجِكَ اللَّهُ زَوْجَكَ وَ هُوَ أَشْرَفُ أَهْلِ بَيْتِكَ حَسَبًا وَ أَكْرَمُهُمْ مَنْصَبًا وَ أَرْحَمُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ وَ أَعْدَلُهُمْ بِالسُّوِيَّةِ وَ أَبْصَرُهُمْ بِالْقَضِيَّةِ . وَ قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ تَكُونِي أَوَّلَ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي . قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ، لَمْ تَبَقْ فَاطِمَةُ بَعْدَهُ إِلَّا خَمْسَةً وَ سَبْعِينَ يَوْمًا حَتَّى أَلْحَقَهَا اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ .^٣

١- جاء في بعض الأخبار كلمة «منا» بدل «منهما» . و أما لو كان الصحيح هو كلمة «منهما» فلعلَّ السبب هو أنَّ الإمام المهديَّ ينتهي من جهة الأب إلى الحسين بن عليِّ سيِّد الشهداء عليه السلام و من جهة الأم إلى الحسن المجتبي عليه السلام و ذلك أنَّ الإمام السَّجَّاد تزوَّج بنت الإمام الحسن فأولدها الباقر لذلك فإنَّ نسب الإمام المهديَّ إذا انتهى بالإمام الباقر فإنه من جهة الأم سينتهي بالإمام الحسن بن عليِّ عليهما السلام .

٢- كما مضى في هامش الصفحة المتقدِّمة .

٣- «عليِّ و الوصيَّة» ص ٢١٥ - ٢١٧ .

ثم يقول الكنجي: ذكر صاحب «حلية الأولياء» هذا الحديث بنفس الشكل و الكيفية في كتابه المترجم بذكر نعت المهدي . و ذكره الطبراني شيخ أهل الصنعة أيضاً في معجمه الكبير .

أجل ، فقد ذكر ابن حجر الهيتمي هذا الحديث في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٦٥ . و ينبغي أن نعلم بأن هذا الحديث الشريف حديث صحيح وفقاً لاصطلاح أهل العلم و أهل الجرح و التعديل ، لأن الطبراني ذكره في «المعجم الكبير» و هذا أمر معلوم و واضح ، و صرح الطبراني أيضاً في معجمه الكبير بأنه لم يجمع إلا الأحاديث الصحيحة كما يسميها ، لذلك فإن وصاية أمير المؤمنين عليه السلام تثبت من خلال هذا الحديث وحده . ولو فرضنا عدم وجود نص على الوصاية غير هذا الحديث ، فإنه هو فقط يكفي لإثبات الوصاية ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يصرح في هذا الحديث أن علي بن أبي طالب وصيه ، و أنه خير الأوصياء الذين كانوا للأنبياء السابقين من لدن آدم أبي البشر حتى عيسى ابن مريم . و من الثابت أن هذه الوصاية لا تحوم حول الشؤون الشخصية بل تحوم حول شؤون النبوة و الخلافة و حكومة المسلمين من كافة الجهات . و في ضوء ما تقدم ، فإن هذا الحديث الشريف ، من حيث نصه الصريح على الوصاية ، و من حيث سنده القوي جداً ، يعتبر من الأدلة على وصاية علي بن أبي طالب .

و روى الخوارزمي أيضاً في مناقبه [نقلاً عن «علي و الوصية» ص ٢١٨] ، ص ٦٧ بسنده عن الأعمش ، عن ابن ربيعي ، عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال : إِنَّ النَّبِيَّ مَرِضٌ مَرَضُهُ فَاتَتْهُ فَاطِمَةُ الرَّهَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَعُوذُهُ فَلَمَّا رَأَتْ مَا بَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مِنَ الْجَهْدِ وَالضَّعْفِ اسْتَعْبَرَتْ فَبَكَتْ حَتَّى سَالَ دَمْعُهَا عَلَى خَدَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا فَاطِمَةُ ؛ إِنَّ لِكِرَامَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
إِيَّاكَ زَوْجَكَ مِنْ أَقْدَمِهِمْ سِلْمًا ، وَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا ، وَ أَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ، إِنَّ اللَّهَ
اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ اطَّلَاعَةً فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ فَبَعَثَنِي نَبِيًّا مُرْسَلًا ، ثُمَّ اطَّلَعَ
اطَّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَعْلَكَ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَزُوجَكَ إِيَّاهُ وَاتَّخِذْهُ وَصِيًّا
وَآخًا .

و نقل هذا الحديث في «ينابيع المودة» ص ٨١ عن الخوارزمي
باختلاف يسير ، ثم قال : وَ زَادَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ : يَا فَاطِمَةُ إِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ
أَعْطِينَا سَعَةَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ لَا يُدْرِكُهَا أَحَدٌ مِنَ
الْآخِرِينَ . مِنَّا أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَ هُوَ أَبُوكَ ، وَ وَصِيْنَا خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَ هُوَ
بَعْلُكَ ، وَ شَهِيدُنَا خَيْرُ الشُّهَدَاءِ وَ هُوَ حَمْرَةٌ عَمَّكَ ، وَ مِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ
يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ وَ هُوَ جَعْفَرُ ابْنُ عَمَّكَ ، وَ مِنَّا سِبْطَانِ وَسَيِّدَا
شُبَّانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ابْنَاكَ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَهْدِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُصَلِّي
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خَلْفَهُ فَهُوَ مِنْ وُلْدِكَ . ثُمَّ قَالَ : وَ زَادَ الْحَمَوِينِيُّ : يَمَلَأُ
الْأَرْضَ عَدْلًا وَ قِسْطًا بَعْدَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَ ظُلْمًا . يَا فَاطِمَةُ ! لَا تَحْزَنِي
وَ لَا تَبْكِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ بِكَ وَ أَرَأْفُ عَلَيْكَ مِنِّي وَ ذَلِكَ لِمَكَانِكَ
وَ مَوْقِعِكَ مِنْ قَلْبِي . قَدْ زَوَّجَكَ اللَّهُ زَوْجًا وَ هُوَ أَعْظَمُهُمْ حَسَبًا ، وَ أَكْرَمُهُمْ
نَسَبًا ، وَ أَرْحَمُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ ، وَ أَعْدَلُهُمْ بِالسُّوِيَّةِ ، وَ أَبْصَرُهُمْ بِالْقَضِيَّةِ .

و لا يخفى فإن مجموع مضامين الفقرات الواردة في رواية
الخوارزمي ، و ابن المغازلي ، و الحمويني الذي نقلنا روايته تَوْأً ، هي نفس
المضامين الواردة في رواية الكنجي الشافعي التي رواها بسنديه عن علي
الهلالي ، عن أبيه (علي) باختلاف يسير . و ذكرها الطبراني في معجمه
الكبير .

و لا يخفى أيضاً أن ابن المغازلي روى حديثاً آخر قريباً من هذه

المضامين . يقول في «ينابيع المودة» ص ٤٣٦ : وَ نَذَكُرُ مَا فِي «المناقب» لابن المغازلي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَرَضَ فَآتَتْهُ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَ بَكَتْ فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ ! إِنَّ لِكِرَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ زَوْجَكَ مَنْ هُوَ أَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وَ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ اطَّلَاعَةً فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ فَجَعَلَنِي نَبِيًّا مُرْسَلًا ، ثُمَّ اطَّلَعَ اطَّلَاعَةً ثَانِيَةً فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَعْلَكَ فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَرْوِّجَهُ إِيَّاكَ وَ اتَّخِذْهُ وَصِيًّا . يَا فَاطِمَةُ ! مِنَّا خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَ هُوَ أَبُوكَ ، وَ مِنَّا خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَ هُوَ بَعْلُكَ ، وَ مِنَّا خَيْرُ الشُّهَدَاءِ وَ هُوَ حَمِزَةُ عَمِّ أَبِيكَ ، وَ مِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ وَ هُوَ جَعْفَرُ بْنُ عَمِّ أَبِيكَ وَ مِنَّا سِبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ هُمَا ابْنَاكَ . وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ هُوَ مِنْ وُلْدِكَ .

و بعد أن ينقل القندوزي هذه الرواية عن ابن المغازلي ، يقول : خَرَجَ

الحمويني كذلك هذا الحديث في «فرائد السمطين» .

و في «ينابيع المودة» ص ٤٣٤ أيضاً يروي القندوزي الحنفي عن عباية بن ربعي ، عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مِنَّا خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَ هُوَ أَبُوكَ ، وَ مِنَّا خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَ هُوَ بَعْلُكَ ، وَ مِنَّا خَيْرُ الشُّهَدَاءِ وَ هُوَ عَمُّ أَبِيكَ حَمِزَةُ ، وَ مِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ وَ هُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِيكَ جَعْفَرُ ، وَ مِنَّا سِبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ هُمَا ابْنَاكَ ، وَ مِنَّا الْمَهْدِيُّ وَ هُوَ مِنْ وُلْدِكَ .

ثم يقول : وَ خَرَجَ الطبراني هذا الحديث في «الأوسط» .

و يذكر ابن صباغ المالكي أيضاً في «الفصول المهمة» ص ٢٧٨ طبع النجف رواية مفصلة يماثل أغلب عباراتها الرواية المفصلة التي نقلناها عن

الكنجبي الشافعي ، وجاء فيها أنّ رسول الله قال لفاطمة : وَصِيْنَا خَيْرَ الْأَوْصِيَاءِ وَهُوَ بَعْلُكَ .

و يقول المولى على المتّقّي الحنفيّ أيضاً في «كنز العمّال» ج ٦ ص ١٥٣ ، الحديث المرقّم ٢٥٤١ : أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : قَالَ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ : أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَ عَلَيَّ أَهْلَ الْأَرْضِ فَأَخْتَارَ مِنْهُمْ أَبَاكَ فَبَعَثَهُ نَبِيًّا ، ثُمَّ أَطْلَعَ الثَّانِيَةَ فَأَخْتَارَ بَعْلُكَ فَأَوْحَى إِلَيَّ فَأَنْكَحْتُهُ إِيَّاكَ وَاتَّخَذْتَهُ وَصِيًّا ؟!

و هذا الحديث عينه كالحديث الذي نقله الكنجبي الشافعي في «كفاية الطالب» ص ١٦١ تحت عنوان «تخصيص عليّ بكونه من المختارين عند ربّ العالمين» بإسناده عن الأعمش ، عن عباية بن ربعي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، و لا فرق بينه و بين ذلك الحديث إلّا في كلمة واحدة موجودة فيه و غير موجودة في ذلك الحديث و هي : لِابْنَتِهِ . فقد جاء فيه : قَالَ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ، و جاء هناك : قَالَ لِفَاطِمَةَ .

و قصارى القول : إنّ هذا الحديث الشريف الذي نقلناه عن كبار علماء السنّة ، مع ما في فقراته من الاختلاف فيما بينها بيد أنّها تتفق جميعها على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وصيّ رسول الله أو أنّه خير الأوصياء و أنّ مقام وصايته منصوص عليه صراحة في هذه الروايات كلّها . و لمّا ذكره الطبراني في معجمه الكبير ، و قال بأنّه لا يذكر إلّا الأحاديث الصحيحة ، لذلك لا يبقى أيّ مجال للشبهة و التشكيك في صحّة سنده . و في ضوء ذلك ينبغي عدم الاكتراث بكلام السيوطي أو المولى عليّ المتّقّي في تضعيف عباية بن ربعي على أنّه شيعيّ غالٍ في تشييعه ، و بالتالي عدم الأخذ بكلامه ؛ لأنّ عباية بن ربعي كان شيعياً معتدلاً غير مغالٍ في تشييعه ، و من الموالين لأهل البيت ، و كان رجلاً عظيماً للغاية ، و كانت له إمامة الحرّم

وورد مدحه و الثناء عليه في كتب الرجال ، لكنّه و بسبب نقله غالباً الروايات الخاصّة بفضائل أهل البيت و خلافة أمير المؤمنين ووصايته عليه السلام و هذا يتنافى مع أصول المذهب السنّي ، لذلك يتّهمه أمثال المولى عليّ المتّقّي و جلال الدين السيوطيّ بالغلوّ في تشيّعهِ ، فلا يأخذوا بأحاديثه . بينما لا تشمّ منه رائحة الغلوّ في أيّ رواية من الروايات التي نقلها . و هذه تهمة باطلة لا مبرّر لها ، و مصدرها واضح لا غبار عليه .

أجل ، فهذه إضمامة من الأحاديث المأثورة عن رسول الله وهي تخصّ كلامه - عند مرضه الذي مات فيه - لابنته فاطمة بشأن وصاية عليّ بن أبي طالب .

و أمّا في غير ذلك المرض ، فقد نقل الخوارزميّ أيضاً رواية في كتاب «مقتل الحسين» طبع النجف ج ١ ، ص ٦٧ ، جاء فيها : **فَاخْتَارَ مِنْهُمْ زَوْجَكَ عَلِيًّا فَجَعَلَهُ لِي أَخًا وَ وَصِيًّا .**

و جاء في هذا الكتاب في الجزء الأوّل ص ٩٦ منه أيضاً ضمن حديث المعراج أنّ رسول الله قال لأبي سعيد الخدريّ : **خاطبني الله بقوله : يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ أَفْضَلُ النَّبِيِّينَ وَ عَلِيًّا أَفْضَلُ الْوَصِيِّينَ .**

و منها : الأحاديث التي نقلوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم إذ قال : **كلّ من انقضّ هذا النجم في داره ، فهو وصيّتي ، فكان كلّ واحد يتوقع أنّ ينقضّ ذلك النجم في داره ، لاسيّما العبّاس بن عبد المطلب إذ كان يتوقع ذلك أكثر من الآخرين . لكنّ ذلك النجم انقضّ في منزل عليّ ابن أبي طالب .**

و ينبغي أن نعرف بأنّ المقصود من النجم نور خاصّ على شكل نجم يراه الجميع ، كما أنّ بعض أرباب السلوك يشاهدون في بداية أمرهم أنواراً

على شكل نجوم .

لقد نقل جمع غفير من علماء الإمامية هذه الروايات عن علماء العامة في كتبهم المؤلفة في التفسير والحديث والتاريخ . و من بين هؤلاء : العلامة البحراني في «غاية المرام» إذ نقل في ص ٤٠٩ منه حديثين عن العامة ، و في ص ٤٠٩ حتى ص ٤١١ نقل أحد عشر حديثاً عن الخاصة في هذا الموضوع .

نزول النجم الدالّ على الوصاية في بيت أمير المؤمنين

ذكر ابن المغازلي علي بن محمد الشافعي حديثين في هذا المجال .

الأول : و هو الحديث الذي ذكره في «المناقب» بإسناده عن أنس بن مالك . و رواه العلامة البحراني عنه أيضاً في «غاية المرام» ص ٤٠٩ .^١ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : انْقَضَ كَوَكَبٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ : مَنْ انْقَضَ هَذَا النَّجْمُ فِي دَارِهِ فَهُوَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِي ، فَانظُرُوا فَإِذَا هُوَ قَدْ انْقَضَ فِي مَنْزِلِ عَلِيٍّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^٢

الثاني : و هو الحديث الذي رواه ابن المغازلي أيضاً في «المناقب» بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . و روى الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ص ١٣١ هذا الحديث نفسه و بإسناده و عباراته ذاتها . و رواه أيضاً ابن عساكر في «تاريخ دمشق الكبير» في الجزء الخاص بفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . و هذه النسخة لم تطبع بعد و هي موجودة في مكتبات العالم المختلفة . و قد تمّ تصوير النسخة

١- نقلاً عن كتاب «علي و الوصية» ص ٥٠ .

٢- الآيات ١-٤ ، من السورة ٥٣ : النجم .

المخطوطة الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق . و هذه النسخة المصوّرة مثبتة فعلاً في مكتبة أمير المؤمنين بالنجف الأشرف في الورقة ١٠١ . رواه ابن عساكر بإسناده عن أبي غالب بن البتاء ، عن ابن عباس . و رواه أيضاً العلامة البحراني في ص ٤٠٩ من «غاية المرام» عن ابن المغازلي . عن ابن عباس قال : كُنْتُ جَالِساً مَعَ فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْقَضَ كَوْكَبٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ انْقَضَ هَذَا النَّجْمُ فِي مَنْزِلِهِ فَهُوَ الْوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي . فَقَامَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَنَظَرُوا فَإِذَا الْكَوْكَبُ قَدْ انْقَضَ فِي مَنْزِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ غَوَيْتَ فِي حُبِّ عَلِيٍّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى * إِلَى قَوْلِهِ : -بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى .^١

و هذه الآيات في شأن نزول الكوكب في بيت عليّ تعريف غيبّي بوصايته و خلافته .

و روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي أيضاً في «ينابيع المودة» ص ٢٣٩ ، وكذلك الشيخ عبيد الله الحنفي في كتابه «أرجح المطالب» طبع باكستان الغربية ص ٧٢ ، عن ابن عباس أنه قال : كُنَّا جُلُوساً بِمَكَّةَ مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ شُبَّانِ قُرَيْشٍ وَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْقَضَ نَجْمٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ انْقَضَ هَذَا النَّجْمُ فِي مَنْزِلِهِ فَهُوَ وَصِيٌّ مِنْ بَعْدِي ، فَقَامُوا وَنَظَرُوا وَقَدْ انْقَضَ فِي مَنْزِلِ عَلِيٍّ ، فَقَالُوا : قَدْ ضَلَّتْ بَعْلِيٌّ ، فَانزَلَتْ : وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى .
و منها بالأحاديث التي تدلّ على أن أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١- الآيات ٧-١ ، من السورة ٥٣ : النجم .

وآله وسلّم وخلفاءه اثنا عشر شخصاً. أولهم عليّ بن أبي طالب ، و آخرهم المهديّ قائم آل محمّد . هذه الأحاديث كثيرة للغاية و قد نقلت بأسانيد مختلفة و ثبتها الكبار من محدّثي الشيعة و السنّة في كتبهم . و نحن نقل هنا عدداً منها عن طريق العامة كمثال على ما نقول .

الأحاديث الدالة على وصاية أمير المؤمنين و أبنائه

الأوّل : روى الحمويّ الشافعيّ في أواخر الجزء الثاني من «فرائد السمطين»^١ بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس أنّه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِمَامٌ أُمَّتِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِي ، وَ مِنْ وُلْدِهِ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَ عَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَ ظُلْمًا . وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لَأَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ . فَقَامَ إِلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَ لِلْقَائِمِ مِنْ وُلْدِكَ غَيْبَةٌ ؟ قَالَ : إِي وَ رَبِّي لِيَمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمَحِّقَ الْكَافِرِينَ . يَا جَابِرُ ؛ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ ، عَلْتَهُ مَطْوِيَّةٌ عَنْ عِبَادِهِ ،^٢ فَإِيَّاكَ وَالشَّكَّ فَإِنَّ الشَّكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ كُفْرٌ .

الثاني : روى العلامة الحمويّ الشافعيّ في «فرائد السمطين» ج ١ الباب الخامس بإسناده عن الحسن بن خالد ، عن عليّ بن موسى الرضا . عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام و كذلك ذكر العلامة البحرانيّ في «غاية

١- نقلًا عن كتاب «عليّ و الوصيّة» ص ٢٨ .

٢- و قد وردت كلمة «العلّة» في كتب اللغة مثل نهاية ابن الأثير و «لسان العرب» بمعنى السبب . و بالطبع فقد أورد الحمويّ في كتاب «فرائد السمطين» عبارة «علمه» ⇨ «مطوي» بدلًا من عبارة «علته مطويّة» .

المرام» ص ٣٥ هذا الحديث ذاته بنفس السند و المتن .
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ
 بِدِينِي وَ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النَّجَاةِ بَعْدِي فَلْيَقْتَدِ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَلْيُعَادِ
 عَدُوَّهُ ، وَ لِيُوَالِ وَلِيَّهُ ، فَإِنَّهُ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَ بَعْدِ
 وَفَاتِي ، وَ هُوَ إِمَامٌ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَ أَمِيرٌ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، قَوْلُهُ قَوْلِي ، وَ أَمْرُهُ
 أَمْرِي ، وَ نَهْيُهُ نَهْيِي ، وَ تَابِعُهُ تَابِعِي ، وَ نَاصِرُهُ نَاصِرِي ، وَ خَاذِلُهُ خَاذِلِي
 ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ فَارَقَ عَلِيًّا بَعْدِي لَمْ يَرْنِي وَ لَمْ أَرَهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ مَنْ خَالَفَ عَلِيًّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ جَعَلَ مَاوَاهُ النَّارِ
 وَ مَنْ خَذَلَ عَلِيًّا خَذَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ؛ وَ مَنْ نَصَرَ عَلِيًّا نَصَرَهُ اللَّهُ
 يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَ لَقْنَهُ حُجَّتَهُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
 وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ إِمَامَا أُمَّتِي بَعْدَ أَبِيهِمَا وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أُمَّهُمَا
 سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَ أَبُوهُمَا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ ، وَ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ تِسْعَةٌ
 أئِمَّةٌ تَسُوعُهُمُ الْقَائِمُ مِنْ وُلْدِي ، طَاعَتُهُمْ طَاعَتِي وَ مَعْصِيَتُهُمْ مَعْصِيَتِي ، إِلَى
 اللَّهِ أَشْكُو الْمُتَكْرِينَ لِفَضْلِهِمْ وَ الْمُضْيِعِينَ لِحُرْمَتِهِمْ بَعْدِي ، وَ كَفَى بِاللَّهِ
 وَلِيًّا وَ نَاصِرًا لِعَرَّتِي وَ أئِمَّةً أُمَّتِي ، وَ مُتَّقِمًا مِنَ الْجَاهِلِينَ حَقَّهُمْ « وَ سَيَعْلَمُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

الثالث : الحديث الذي رواه الحموي في آخر الجزء الثاني من
 «فرائد السمطين» بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و رواه عنه العلامة البحراني أيضاً
 في ص ٤٣ و ص ٦٩٢ من «غاية المرام»

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ
 خُلَفَائِي وَ أَوْصِيَائِي لاثْنَا عَشَرَ ، أَوْلَهُمْ أَخِي وَ آخِرُهُمْ وَلَدِي ، قِيلَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَ مَنْ أَخْوَكُ ؟ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قِيلَ : فَمَنْ وَلَدُكَ ؟

قال: المَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلأها قِسْطاً وَ عَدلاً كَمَا مُلِئت جَوْرًا وَ ظُلماً . وَالَّذِي بَعَنِي بِالْحَقِّ بَشيراً لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِي المَهْدِيُّ فَيَنْزِلُ رُوحُ اللهِ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّي خَلْفَهُ ، وَ تُشْرِقُ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ، وَ يَبْلُغُ سُلْطانهُ المَشْرِقَ وَ المَغْرِبَ .

الرابع: الحديث الذي رواه الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» ص ٤٤٧ عن الحموي الشافعي في «فرائد السمطين» يقول: وَ فِي هَذَا الكِتَابِ يَعْنِي فِي «فرائد السمطين» عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عَن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَ سَلَّمَ : إِنَّ خُلَفائِي وَ أوصِيائِي وَ حُجَجَ اللهِ على الخَلْقِ بَعْدِي لا ثَمانَ عَشَرَ ، أَوْلَهُمَ عَلِيٌّ وَ آخِرُهُمُ وَلَدِي المَهْدِيُّ ، فَيَنْزِلُ رُوحُ اللهِ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّي خَلْفَ المَهْدِيِّ ، وَ تُشْرِقُ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ، وَ يَبْلُغُ سُلْطانهُ المَشْرِقَ وَ المَغْرِبَ .

الخامس: ما رواه الحموي في «فرائد السمطين» بإسناده عن أبان بن أبي عتياش ، عن سليم بن قيس الهلالي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يوماً في مسجد المدينة أيام عثمان يتحدث عن فضائله و مناقبه أمام جمع كثير من المهاجرين و الأنصار و كان ينشدهم بها و يأخذ اعترافهم على ذلك . و ممّا جاء فيها قوله : فَأَنْشُدُكُمْ اللهُ أَتَعْلَمُونَ حَيْثُ نَزَلَتْ ، «وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^١ - «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أَوْلِيائِكَ الْمَقَرَّبُونَ»^٢ ، سئِلَ عَنْها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : فَقَالَ : أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فَخَرّاً لِأَنْبِيائِهِ وَ أوصِيائِهِمْ ، فَأَنَا أَفْضَلُ أَنْبِياءِ اللهِ وَ رُسُلِهِ وَ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طالِبٍ وَ صِيبِي أَفْضَلُ الأَوْصِياءِ ؟ قالوا : اللهُمَّ ! نَعَمْ .

١- الآية ١٠٠ ، من السورة ٩ : التوبة .

٢- الآية ١٠ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

وقوله: هل تعلمون أن رسول الله خطب يوم الغدير. فقال: أَيُّهَا النَّاسُ! أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: قُمْ يَا عَلِيُّ، فَقُمْتُ، فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، فَقَامَ سَلْمَانٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَلَاؤُهُ مَاذَا؟ فَقَالَ: وَلَاؤُهُ كَوَلَائِي، مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى تَمَامِ نُبُوتِي وَتَمَامِ دِينِ اللَّهِ وَوِلَايَةِ عَلِيٍّ بَعْدِي. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَذِهِ الْآيَاتُ خَاصَّةٌ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: بَلَى، فِيهِ وَفِي أَوْصِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بَيْنَهُمْ لَنَا، قَالَ: عَلِيٌّ أَخِي وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَوَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي، ثُمَّ ابْنِي الْحَسَنُ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ تَسَعَةَ مِنْ وُلْدِ ابْنِي الْحُسَيْنِ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، الْقُرْآنَ مَعَهُمْ، وَهُمْ مَعَ الْقُرْآنِ، لَا يُفَارِقُونَهُ وَلَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ؟ فَقَالُوا كُلُّهُمْ: اللَّهُمَّ نَعَمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ وَشَهِدْنَا كَمَا قُلْتَ سَوَاءً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ حَفِظْنَا جُلَّ مَا قُلْتَ وَ لَمْ نَحْفَظْ كُلَّهُ وَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَفِظُوا أَحْيَارُنَا وَ أَفَاضِلُنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَسْتَوُونَ فِي الْحِفْظِ.

وقوله: أَنَشِدُكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَامَ خَطِيبًا لَمْ يَخْطُبْ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ عِرَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي وَ عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ. فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ شَبَهَ الْمُغْضَبِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَكُلُّ

أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكن أوصيائي منهم، أولهم أخي وزيرِي ووارثي وخليفتي في أممي وولي كل مؤمن بعدي، هو أولهم ثم الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين، واحداً بعد واحد حتى يردوا عليّ الحوض، شهداء الله في أرضه وحججه على خلقه وخزان علمه ومعادن حكيمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله؟ فقالوا كلهم: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك.

أجل، لقد نقلنا هذه الفقرات من حديث المناشدة من كتاب «عليّ و الوصية». و ذكر هذا الكتاب جميع فقراته من الصفحة ١٥٧ حتى الصفحة ١٦٣.

و ينبغي أن نعلم بأن أمير المؤمنين عليه السلام ناشد القوم عدّة مرّات:

الأولى: بعد وفاة الرسول العظيم في مسجد النبي. الثانية: بعد وفاة عمر بن الخطّاب عندما احتجّ بمقاماته و فضائله لاسيّما مقام الوصاية و الوزارة و الخلافة أمام أصحاب الشورى الستّة. الثالثة: في مسجد النبيّ أيام حكومة عثمان حينما كان عدد كبير من المهاجرين و الأنصار مجتمعين في المسجد قبل الظهر، و كلّ واحد منهم كان يتحدّث بفضيلة أحد، و كان الإمام صامتاً فقالوا: يا عليّ بن أبي طالب! لم تقل شيئاً. فطفق الإمام يناشدهم مبيّناً فضائله و مناقبه مستشهداً عليها بآيات الكتاب الحكيم و الأحداث التي وقعت في عصر النبيّ، و خطب النبيّ و كلماته. و أثبت بمناشدته هذه أنّ الخلافة له لا لغيره، و أنّ الخلفاء السابقين اغتصبوا هذا المقام منه.

و بشأن مناقشته في عصر عثمان، وردت عدّة أحاديث يختلف

أحدهما عن الآخر في المتن .

و أهمّها مارواه العلامة البحرانيّ في «غاية المرام» الباب الرابع والخمسين من ص ٥٤٩ إلى ص ٥٥٣ عن سليم بن قيس الكوفيّ ، عن سلمان الفارسيّ ، و قد قسّم هذا الحديث كلّهُ إلى قسمين في أصل الكتاب طبع النجف بدون نقصان . ورد القسم الأوّل على الصفحة ٦٩ فما بعدها حتّى الصفحة ٧٣ . و القسم الثاني على ص ٧٩ فما بعدها حتّى ص ٩٢ . وورد هذا الحديث أيضاً في كتاب «عليّ و الوصيّة» تحت عنوان الحديث الثالث و الثلاثين . و نصّه يبدأ من ص ٧٢ ، و حوله شرح و تفصيل حتّى ص ١٣٠ .

و روي الحديث أيضاً في «غاية المرام» في الباب الرابع عشر تحت عنوان : الحديث الثاني عشر ، في ص ٦٧ و ص ٦٨ ، و ذكر موجزاً أيضاً في الكتاب نفسه في ص ٦٤٢ منه .

لقد نقل كثير من علماء الشيعة و السنّة بأسانيدهم هذا الحديث المشهور بحديث المناشدة بسند متصل ، و دوّنوه في كتبهم ، منهم الحموينيّ الشافعيّ في «فرائد السمطين» . و الخوارزميّ الحنفيّ في مناقبه ص ٢١٧ ، و الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ في «ينابيع المودّة» ص ١١٤ . و ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص ٧٧ . و ذكره العلامة البحرانيّ . مضافاً إلى الموارد التي أُشير إليها في «غاية المرام» ، في كتابه الآخر المعروف بالمناقب ، و طبع هذا الكتاب مع تعليقات العلامة الجليل العسكريّ المسمّاة : «عليّ و السنّة» . و قد فضّل ابن شهر آشوب حديث المناشدة في «المناقب» و ذكر كلّ جزء منه في بابه حسب كلّ واحد من الأبواب و الفصول . ففي باب الوصاية و الولاية ذكر فقرة تخصّ

الوصاية في ج ١ ص ٥٤٢، فقال: الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِأَصْحَابِ الشُّورَى: أُنَاشِدُكُمْ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَصِيًّا غَيْرِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ: لَا.

و أما مناشدته عليه السلام أصحاب الشورى بعد موت عمر، فقد جاءت في كتاب «عليّ و الوصيّة» من ص ١٢٦ إلى ص ١٣٠.

و منها: الأحاديث التي أمر رسول الله فيها الناس باتّباع أمير المؤمنين عليه السلام و قدّمه إليهم بوصفه وصيّاً مفروض الطّاعة . وهذه المجموعة من الأحاديث كثيرة للغاية ، نذكر فيما يلي عدداً منها كأمثلة على ما نقول :

روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق الكبير» الجزء الخاصّ بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام الذي تمّ تصويره من المخطوطة الموجودة في المكتبة الظاهريّة بدمشق و هو موجود الآن في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة بالنجف الأشرف في الورقة رقم ١١،^١ روى بإسناده عن ابن عبّاس أنّه قال: سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَإِنْ أَدْرَكَهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِخَصْلَتَيْنِ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَلِيٍّ - هَذَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ فَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُوَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالَ يَعْسُوبُ الظَّالِمِينَ، وَهُوَ الصُّدِّيقُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ بَابِي الَّذِي أُوتِيَ مِنْهُ، وَهُوَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي.

و روى ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ٥٤٣ عن أبي رافع أنّه قال: لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

١- نقلاً عن كتاب «عليّ و الوصيّة» ص ٣٧٢.

وَسَلَّمَ عُشِّيَ عَلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِقَدَمَيْهِ أُقْبِلُهُمَا وَ أَبْكِي ، فَأَفَاقَ وَ أَنَا أَقُولُ : مَنْ لِي وَلَوْلَدِي بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسَهُ وَ قَالَ : اللَّهُ بَعْدِي وَ وَصِيِّي صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ .

و في «ينابيع المودة» ص ٢٤٨ حديث عن ابن عباس أنه قال : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : فَقَالَ لِي : أُبَشِّرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيَّدَنِي بِسَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَ الْآخِرِينَ وَ الْوَصِيِّينَ عَلَيَّ فَجَعَلَهُ كُفُوَ ابْنَتِي فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَنَفَّعَ فَاتَّبِعْهُ .

و فيه أيضاً ، ص ٢٣٩ حديث عن أنس بن مالك أنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : جَالِسًا مَعَ عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنَا وَ هَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ خَلْقِهِ . رَوَاهُ صَاحِبُ «الفرديوس» وَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

أجل ، فقد طال بنا المقام في بيان الأحاديث المأثورة في الوصاية مع أننا لم نذكر هنا عشر الأحاديث الواردة . و نختم كلامنا بحديث عن سيّد الشهداء عليه السلام يضم فضائل جمّة .

فقد جاء في «ينابيع المودة» الباب ٤١ ص ١٢٣ عن «مناقب الخوارزمي» ، عن أبي سعيد عقيصا ، عن سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام عن أبيه أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا عَلِيُّ ؛ أَنْتَ أَخِي وَ أَنَا أَخْوَكُ ، أَنَا الْمُصْطَفَى لِلنُّبُوَّةِ وَ أَنْتَ الْمُجْتَبَى لِلْإِمَامَةِ . أَنَا وَ أَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَ أَنْتَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ أَبَوُؤَلَدِي ، أَتْبَاعُكَ أَتْبَاعِي وَ أَوْلِيَاؤُكَ أَوْلِيَائِي وَ أَعْدَاؤُكَ أَعْدَائِي ، وَ أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ وَ صَاحِبِي فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَ صَاحِبُ لِي وَارِثِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا أَنْتَ صَاحِبُ لِي وَارِثِي فِي الدُّنْيَا . لَقَدْ سَعِدَ مَنْ تَوَلَّاكَ وَ شَقِيَ مَنْ عَادَاكَ . وَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِمَحَبَّتِكَ وَ وِلَايَتِكَ وَ إِنَّ أَهْلَ مَوَدَّتِكَ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . يَا عَلِيُّ ؛ أَنْتَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ

النَّاسِ بَعْدِي ، قَوْلِكَ قَوْلِي ، أَمْرِكَ أَمْرِي ، نَهْيِكَ نَهْيِي ، وَ طَاعَتِكَ طَاعَتِي
وَمَعْصِيَّتِكَ مَعْصِيَّتِي ، وَ حِزْبُكَ حِزْبِي ، وَ حِزْبِي حِزْبُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : «وَمَنْ
يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» .

فقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في هذا الحديث المبارك مقام الإمامة والوصاية والخلافة والأبوة لأمر المؤمنين عليه السلام . و اعتبره قريناً ومعادلاً له من جميع الجهات ، بحيث إنّ مخالفة عليّ واتباعه وأمره ونهيه ، هي كمخالفة النبيّ واتباعه وأمره ونهيه . و قدّمه بوصفه حجّة على الأرض كنفسه . وجعل السعادة والشقاء في توكّله و التبرّي منه . و بصورة عامّة ، فإنّه اعتبر أمير المؤمنين الشخص الوحيد و النموذج الفريد للتأسيّ به و اتباعه ، و جعل الإعراض عنه عين البؤس و الشقاء و الهلاك . يقول المرحوم السيّد إسماعيل الجُميريّ :

مَنْ ذَا الَّذِي أَوْصَى إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ يَقْضِي الْعِدَاتِ فَأَنْفَذَ الْإِيصَاءَ^١
و يقول أيضاً :

وَصِيٌّ مُحَمَّدٍ وَ أَبُو بَنِيهِ وَ أَوَّلُ سَاجِدٍ لِلَّهِ صَلَّى^٢
و يقول كذلك :

وَ كَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَذْكُرُ أَحْمَدًا وَ وَصِيَّ أَحْمَدَ نَيْطَ مَنْ ذِي مِخْلَبِ
بِذْرَى الْقَوَادِمِ مِنْ جَنَاحِ مُصْعَدٍ فِي الْجَوِّ أَوْ بِذْرَى جَنَاحِ مُصَوَّبِ
حَتَّى يَكَادَ مِنَ النَّزَاعِ إِلَيْهِمَا يُفْرِي الْحِجَابَ عَنِ الضُّلُوعِ الصُّلْبِ^٣

١- «ديوان الجُميريّ» ص ٥٩ عن «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢١٢ ، و قد تمّ تخريج سبع حالات عن كتاب «المناقب» .

٢- «ديوان الجُميريّ» ص ٦٣ عن «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢١٤ ، و تمّ تخريجه من المناقب ج ٢ ، ص ١٣ و ج ٣ ، ص ٥٨ .

٣- «ديوان الجُميريّ» ص ١١٤ ضمن القصيدة المعروفة بالمُذهبة و قد تمّ تخريجها

ويقول:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي غَالِبٍ
هَذَا نَبِيٌّ وَوَصِيٌّ لَهُ
وَيَقُولُ أَيْضًا:

وَبَعْدَهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ
وَيُعَزَلُ الْعَالَمُ فِي جَانِبِ^١
جَهْرًا وَ مَا نَجَى بِهِ إِسْرَارًا
لَا تَجْهَلُوهُ فَتَرْجِعُوا كُفَّارًا^٢
وَلَهُ كَذَلِكَ:

فَطُوبَى لِمَنْ أَمَسَى لِأَلِ مُحَمَّدٍ
وَقَبْلَهُمَا الْهَادِي وَوَصِيُّ مُحَمَّدٍ
وَلَهُ أَيْضًا:

وَلِيًّا إِمَامَاهُ شُبَيْبٌ وَ شُبَيْرٌ
عَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطَهَّرِ^٣
بِمَحْضَرِهِ قَدْ دَعَاهُ أَمِيرًا
وَكَانَ الْخَصِيصَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ
وَيَقُولُ:

عن «أعيان الشيعة» و «الكنى والألقاب» و «طبقات الشعراء» و «المناقب» و «الحيوان» للجاحظ، و «كشف الغمّة» و كثير من المصادر الأخرى. دُرَى جمع ذرّوة و هي أعلى الشيء .
قوادم جمع قادمة ، و القوادم هي أربع ريشات في مقدّم جناح الطائر . و خلفها المناكب ، ثمّ الأباهر ، و بعدها الخوافي ، تلوها الذنابي . أربعاً أربعاً ، و مجموعها عشرون ريشة .

١- «ديوان الحميري» ص ١٢٨ تخريجها من «أعيان الشيعة» ج ٢ ، ص ٢١٧
و«المناقب» ج ٢ ، ص ٣٦ و ج ٣ ، ص ٥٠ .

٢- نفسه ص ٢١٦ ، و تمّ تخريجها من «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٤٨ و «الغدِير»
ج ٢ ، ص ١٩٦ «المناقب» ج ٢ و ٣ في عدّة صفحات .

٣- «ديوان الحميري» ص ٢٠١ و تمّ تخريجها من «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٥١ .

٤- «ديوان الحميري» ص ٢٢٤ ، و تمّ تخريجها من «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٤٧
و«المناقب» ج ٣ ، ص ٥٦ .

هَذَا أَخِي وَ وَصِيِّي فِي الْأَمْرِ وَ مَنْ يَقُومُ فِيكُمْ مَقَامِي عِنْدَ تَذْكَارِي^١
 وَ لَهُ :

عَلِيٌّ وَ صِيِّي الْمُصْطَفَى وَ وَزِيرُهُ وَ نَاصِرُهُ وَ الْبَيْضُ بِالْبَيْضِ تُقْرَعُ
 وَ أَكْرَمَ خَلَقَ اللَّهُ صِنُو مُحَمَّدٍ وَ مَنْ لَيْسَ عَنْ فَضْلِ إِذَا عَدَّ يُدْفَعُ^٢
 وَ لَهُ أَيْضًا :

أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَ الْآلِهِ وَ الْمَرْءُ عَمَّا قَالَهُ يُسْتَلُّ
 إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي يَعْدُلُ
 وَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَحْمَدَ كَمَثَلِ هَارُونَ وَ لَا مُرْسَلُ
 لَكِنْ وَ صِيِّي خَازِنٌ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ بِهِ يَعْمَلُ^٣

وَ قَالَ عْتَبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ مُخَاطَبًا عَائِشَةَ :

أَعَايِشُ ! خَلِيٌّ عَنِ عَلِيٍّ وَ عَتْبِهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ إِنَّمَا أَنْتِ وَ الْوَدَّةُ
 وَ صِيِّي رَسُولِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ فَأَنْتِ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ شَاهِدَةً^٤
 وَ كَتَبَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ فِي جَوَابِهِ عَلَيَّ كِتَابَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

أَتَانَا الرَّسُولُ رَسُولُ الْوَصِيِّ عَلِيٍّ الْمَهْدَبِ مِنْ هَاشِمٍ
 وَ صِيِّي النَّبِيِّ وَ ذُو صِهْرِهِ وَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ فِي الْعَالَمِ^٥
 وَ يَقُولُ كَثِيرٌ عَزَّهُ :

١- «ديوان الجُميرِي» ص ٢٣٢ ، وَ تَمَّ تَخْرِيجُهُ مِنْ «الغدِير» ج ٢ ، ص ٢١٩ وَ «الأغاني»
 ج ٧ ، ص ٢٦٩ ، وَ «المناقب» ج ٣ ، ص ٣٣ .
 ٢- «ديوان الجُميرِي» ص ٢٧٥ ، وَ تَمَّ تَخْرِيجُهُمَا مِنْ «مجموعة المكتبة الظاهريّة»
 ص ١٩٥ .

٣- «ديوان الجُميرِي» ص ٣٠٤ ، وَ تَمَّ تَخْرِيجُهَا مِنْ «الغدِير» ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

٤- «المناقب» لابن شهر آشوب الطبعة الحجرية ج ١ ، ص ٥٤٤ وَ ٥٤٥ .

٥- «المناقب» ، ابن شهر آشوب ج ١ ، ص ٥٤٥ .

وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَفَكَأُكَ أَغْلَالٍ وَقَاضِي مَعَارِمٍ^١

و يقول صاحب بن عباد :

إِنَّ الْمَحَبَّةَ لِلْوَصِيِّ فَرِيضَةٌ
أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا
قَدْ كَلَّفَ اللَّهُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
وَاخْتَارَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيًّا^٢

و يقول فضل بن عباس :

وَكَانَ وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
عَلِيٌّ وَفِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ صَاحِبُهُ
وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا وَصِهْرُهُ
وَأَوَّلَ مَنْ صَلَّى وَمَا ذَمَّ جَانِبَهُ^٣

و يقول الكميت :

وَ نِعْمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ نَبِيِّهِ
وَ مُتَجَعِّعُ التَّقْوَى وَ نِعْمَ الْمُؤَدِّبُ^٤ وَهُوَ

يَتَّضِحُ جَيِّدًا بِمُلَاحَظَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ خِلاَفَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ وَصَايَتَهُ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ، لَمْ تَحْتَمِلِ الشَّبَهَةَ وَ التَّرْدِيدَ . وَ كَانَتْ وَاضِحَةً وَ ثَابِتَةً عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَ كَلَّمَهُمْ أَذْعَنُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ .

لقد أكد رسول الله في مواطن كثيرة ، في السفر والحضر ، و في الحرب و السلم ، و في الجلسات الخاصة و العامة ، و عند الصديق و العدو سواء سألوه ، أو هو ابتدأهم ، أكد على أمير المؤمنين بوصفه وارثاً لمواهب الرسالة ، و وصياً على أعباء النبوة ، و خليفة على جميع الأمة . و كثر ما سمّاه

١- نفس المصدر السابق ج ١ ، ص ٥٤٥ .

٢ و ٣- نفس المصدر السابق ج ١ ، ص ٥٤٦ .

٤- نفس المصدر السابق ج ١ ، ص ٥٤٦ .

٥- و يقول ابن أبي الحديد أيضاً في شرح النهج « ح ١١ : ص ١٢٠ (عشرون جزءاً) :

وَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى
أَعْظَمُهُمْ يَسُومُ الْفَخَارِ شَرَفًا
السَّيِّدُ الْمُعَظَّمُ الْوَصِيُّ
بَعْلُ الْبَسْتُولِ الْمُتَرْضَى عَلِيٌّ

وليتاً لكل مسلم ، وإماماً لكل مؤمن ، وقائداً لكل تقيٍّ «وَلِيٌّ كُلِّ مُسْلِمٍ وَإِمَامٌ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَقَائِدُ كُلِّ تَقِيٍّ» وصفه مراراً بأنه «سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَيَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَسَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَخَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَخَيْرُ الْوَصِيِّينَ وَأَفْضَلُ الْوَصِيِّينَ» .

ليست وصاية أمير المؤمنين في الشؤون الشخصية

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ الوصاية الواردة لأمير المؤمنين من قبل النبي لا تتعلق بشؤونه الشخصية بل تتعلق بشؤون النبوة والولاية العامة للمسلمين . ودليلنا على ذلك هو أنه جعله في مصافِّ أوصياء الأنبياء ، مثل شيث بالنسبة إلى آدم ، و سام بالنسبة إلى نوح ، و يوشع بالنسبة إلى موسى ، و شمعون بالنسبة إلى عيسى ، و آصف بن برخيا بالنسبة إلى سليمان . ثم إنّه جعله وصياً لمقام نبوته ، و اعتبره أشرف الجميع و أفضلهم و أعلمهم ، و شرفه بلقب سيّد الوصيين و خير الوصيين .

و حتى في بعض المواطن التي سئل فيها ، أجاب بأن سبب وصاية شمعون و يوشع و آصف أعلميتهم بالنسبة إلى جميع الأمة ، و على هذا الأساس جعل وصاية أمير المؤمنين مترتبة على أعلميته ، و عدّه مع نفسه أبوي هذه الأمة ، و حجّتي الله على عباده ، و وصفه مراراً بأنه خليفته في حياته و بعد مماته . و مضافاً إلى ذلك ، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال بأنّه هو و عليّ بن أبي طالب من شجرة واحدة ، و من نور واحد ، و غصنان متفرعان من أصل واحد . و ذكر في بعض الأوقات مجملاً أنّ عدد أوصيائه اثنا عشر : كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

وقال في أوقات أخرى: **كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**. وقال في بعض الآونة: أوصيائي اثنا عشر أولهم أخي ووزيرى، و وارثي و وصيى علي بن أبي طالب، و آخرهم المهدي القائم من ولدي، و في آونة أخرى ذكرهم واحداً بعد الآخر، و أولهم علي بن أبي طالب، و بعده الحسن، ثم الحسين، و بعده تسعة من ولده، و عدّهم واحداً واحداً، و آخرهم قائمهم رافع راية التوحيد و العدل، و هادم صرح الشرك و الظلم.

و بين في بعض الأحايين أسماء الأئمة واحداً بعد الآخر بالتفصيل. و أمر الأمة جميعها في أوقات كثيرة بلزوم اتباع علي بن أبي طالب و اعتبر إطاعة علي إطاعته، و مخالفة علي مخالفته، و أمر علي أمره، و نهي علي نهي، و قول علي قوله، و حبّ علي حبّه، و بغض علي بغضه. و حزب علي و أنصاره حزبه و أنصاره، و حزبه حزب الله.

وقال في بعض المواطن ما مضمونه: ستظهر بعدي فتن، فعليكم بكتاب الله و وصيى علي بن أبي طالب، فهما لا يفترقان. و ذكر المسلمين في جميع المراحل بالرجوع إلى الإمام بوصفه وصياً، و سيد الأوصياء و إمام المسلمين، و أمير المؤمنين، و خليفة الناس، و اعتبر السعادة و النجاة في ولايته، و الشقاء و الهلاك في الإعراض عنه. و رتب وصايته على أساس تفرده في العلم، و الحلم و السبق إلى الإسلام. و وصفه بأنّه قاضي ديونه و منجز عاداته و وارثه.

و من المعلوم أنّ الديون الظاهرية لرسول الله لم تمثل شيئاً. و المقصود بها هنا هي مسؤوليته و اشتغال ذمته بالنسبة إلى جميع الناس من حيث هدايتهم و الأخذ بأيديهم نحو مقام الإنسانية الشامخ، و إيصالهم إلى أعلى درجة من درجات القرب و التوحيد. و عهده صلى الله عليه وآله و سلم هي تلك المواثيق التي أخذها الله عليه بتبليغ الناس المعارف

و الأحكام ، و توجيههم نحو السعادة ، و لذلك قال له : **وَ أَنْتَ تُسْمِعُهُمْ صَوْتِي .** و من الطبيعي ، فإنّ هذا العمل يصدر عن شخص هو في درجة رسول الله **وَ كَالصَّنُوِّ مِنَ الصَّنُوِّ ، وَ الذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ .** و الإرث المقصود في وصفه على أنّه وارثه ، هو ذلك الإرث الذي وصل إلى عليّ بن أبي طالب في الشؤون المتعلقة برسول الله .

فهو وارث مقام العلم ، و وارث مقام التوحيد و المعارف الإلهية و وارث الولاية و الأولوية بالمؤمنين من أنفسهم ، و وارث القدرة و السيطرة ، و وارث الأمر و النهي ، و وارث مهمة إيصال النفوس إلى هدفها المنشود ، و السلطة التكوينية على النفوس و الملكوت ، و وارث الوحي و القرآن .

و لذلك قال صلّى الله عليه و آله ما مضمونه ، لو لم أكن خاتم النبيين لكنت شريكاً في النبوة ، و لكنك وصيّتي و خليفتي ، و لكي يأتي بشاهد من عالم الغيب حتّى لا يظنّ أصحاب الأفق الضيق أنّ خلافة عليّ و وصايته كلام شخصي صدر عن الهوى و المحاباة و علاقة القربى و المصاهرة استلهم من نزول النجم في بيت عليّ دليلاً بوصفه شاهداً غيبياً ، أو استشهد بدخول عليّ من الباب على أنس بن مالك كأوّل داخل عليه .

أجل ، فإنّ رسول الله قد ذكر بجميع هذه المواضيع التي كانت فهرساً لهذا الفصل ، و ذلك من خلال تأكيداته الشديدة و ترغيباته الأكيدة .

و العجب بل كلّ العجب من جحود و إنكار البعض من متعصبي العامة ، إذ إنّهم - تقليداً لآبائهم - لم يتركوا الجمود و التعصّب ، على الرغم من وجود الأحاديث الصحيحة و الصريحة التي بلغت حدّ التواتر و البدهة فحملوا الأحاديث التي ورد فيها قضاء الدين و الوفاء بالعهد على الديون الشخصية و العدّات الجزئية لرسول الله . و حملوا عنوان الوارث على

الإرث في بعض المجالات الجزئية ، مثل إرث السيف ، و الدرع ، و المغفر و الفرس ، و سوغوا لأنفسهم أن يفهموا الوصاية على أنها وصاية في غسل رسول الله و تكفينه ، أو وصايته صلى الله عليه و آله بالعرب ، و ما إلى ذلك من التأولات و التعسفات .

و هذا ما نلمسه في كلام محبّ الدين الطبريّ في كتابه «ذخائر العقبى» ص ٧٢ ، و في «الرياض النضرة» ج ٣ ، ص ١٧٨ ، و كذلك في كلام غيره من متعصبي العامة .

فهل يمكننا أن نحمل الأحاديث الكثيرة التي ورد فيها عنوان سيّد الوصيّين ، و خير الأوصياء على الإيضاء بالشؤون الجزئية الخاصة كالغسل و التكفين و الدفن ؟ و هل ينبغي لنا أن نعرض كلياً عن هذه التأكيدات و التشديدات في لزوم اتباع أمير المؤمنين ، و نصدف عنها ؟

و هل ينبغي لنا أن نطوي كلّ تلك التذكيرات المتتابعة و التوصيات الأكيدة في ملفّ النسيان ؟ و هل من الإنصاف أن نتعسف فنأول معنى الوافي بالعهود و القاضي للديون ، و هما صفتان متألقتان و علامتان خاصّتان جعلهما رسول الله لأمر المؤمنين في مواطن مختلفة و أماكن متنوّعة و مقامات عديدة ، بالوفاء ببعض العدّات التافهة و أداء بعض الدراهم المعدودة ؟

إنّ جميع هذه التأولات تهكّم و استهزاء بكلام رسول الله ، بل بشخص رسول الله ، بل بمُرْسِلِهِ ، و الباعث عليها هو تبرئة الحكّام الغاصبين و محرّفي الشريعة عن محورها الأصلي .

و لو وُطن هؤلاء العلماء الكبار من أهل السّنة أنفسهم على أن ينسبوا اللهو و اللعب إلى كبارهم من أرباب السقيفة ، لكان خيراً لهم من أن يسخروا برسول الله من خلال التلاعب بمثل هذه الألفاظ ، و يُؤوّلوا

وصاياه في الرجل الإلهي الفريد الذي يمثل رمز بزوغ التوحيد في مظاهر الصفات و الأسماء الإلهية ، أعني : مولى الموحدين و أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يُؤوّلوها تأويلات واهية باهتة لا تصدر حتى عن الإنسان البسيط العامّي .

و لو نسبوا الذنب و الخطأ إلى رؤسائهم لكان خيراً لهم من أن ينسبوهما بصورة غير مباشرة إلى رسول الله . إنّ هؤلاء قد حرفوا الطريق المستقيم . و ذلك لإسدال الستار على جرائم الحكّام الغاصبين ، و تبرير حُبهم للجاه و الرئاسة و التحكّم في رقاب المسلمين بعناوين متنوّعة . و بالتالي فإنّهم أوّلوا الأحاديث الصادرة عن النبيّ التي لا يرتاب فيها أحد و ولاية أمير المؤمنين و حكومته الظاهريّة و الباطنيّة التي تتلأأ بإشراقها على جميع الناس كالشمس . أوّلوا ذلك كلّهُ تأويلات باهتة خائرة يأبأها العقل السليم ، و هبطوا بقيمة صاحب الرسالة و مقامه إلى أسفل سافلين .

أيّ شخص يعرف سيرة الرسول الأكرم و مقامات أمير المؤمنين و يخبر لنفسه أن يؤوّل تلك الأحاديث ، و يبرّر حكومة الظالمين بتحمّسهم على الإسلام ، أو يخطّئهم في ذلك !؟

نحن لا ننتظر من عوامّ أهل السنة شيئاً . فكلّ ما يُلقى إلى أولئك المساكين المستضعفين ، يلقفوه ، فيكون إكسيراً لأرواحهم ، و كلّ موضوع يلقّنهم به كبارهم ، يقبلوه و يترّبوا عليه ، فليس لنا مع هؤلاء كلام ، بل كلامنا مع من له اطلاع على الأحاديث المأثورة .

و كلامنا مع الذين ذكروا الفضائل و المناقب الفدّة لأمير المؤمنين في كتب مستقلّة أو في ثنايا أحاديث أُخرى . و مع الذين يلمّون بالعربيّة و آدابها ، و يفهمون المراد من كلام الله و رسوله حسّناً ، لكنّهم حرّفوا الأحاديث معنوياً بدهاء و مكر عجيبيين ، و اتبعوا سبيلاً بعيداً و خاطئاً

و حجبوا عقولهم و أفكارهم عن أداء دورها . إنهم يعرفون أمير المؤمنين جيداً ولكن الأنايية و العناد يصدانهم عن أن يصموا ما فعله أسلافهم بالبطلان و الخيانة ، فيصفوا حاملي لواء السقيفة بالخيانة و الإجرام بكل صراحة .

وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا^١ فقد أنكروا ولاية عليّ و هم على يقين بأن الحق معه ، و لم يقرّوا بها و لم يتواضعوا أمام الحق ؛ لأنّ رين الظلم و العصيان قد تراكم على نفوسهم الأمارة بالسوء .
الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ^٢ . فَإِنَّ أَوْلَئِكَ
الأشخاص يعرفون ولاية أمير المؤمنين و فضائله و مناقبه كما يعرفون أبناءهم .

و العجيب هو ما يلاحظ في كثير من أحاديث العامة أنّ أبا بكر، و عمر و عثمان ، و معاوية ، و عمرو بن العاص ، و المغيرة بن شعبة ، و أبا عبيدة بن الجراح أنفسهم يعترفون بفضائل عليّ ، و يرونه أهلاً للخلافة من جميع الجهات ، و يعتبرون أنفسهم غاصبين و مضيعين لحقه الثابت ، و يصفون أمير المؤمنين بأنه مظلوم . و هذه اعترافات ذكرها كبار العامة في كتبهم !!
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الزَّلَلِ وَ لَا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً
عَيْنٍ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَ صَلَوَاتِهِ وَ تَسْلِيمَاتِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

١- الآية ١٤ ، من السورة ٢٧ : النمل .

٢- الآية ٢٠ ، من السورة ٦ : الأنعام .

